وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر





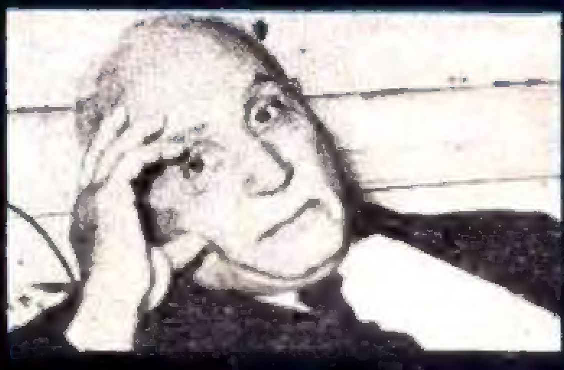
أدباء في صور صحفية



تأليف
محمد نصر







٣

أدباء في صور صحفية

تأليف

محمد نصر

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

مقدمة

عزيزى القارىء

هذه لقطات صحفية من حياة بعض قادة الفكر والأدب .

لقطات سجلتها لهم فى مناسبات كانت حديث الناس عامة ، والأدباء خاصة ، فى بلدنا ، وفى سائر أنحاء العالم العربى .

ومما لا شك فيه أننى لمست فى شخصيات هؤلاء القادة ، وفى حياتهم الاجتماعية الخاصة جوانب مجهولة ، كانت بعيدة عن أنظار الكثيرين من قراء الأدب والمؤرخين ..

ومن هنا كان ارسال الضوء على تلك الجوانب ضروريا للكشف عن ملامح أصحابها ، فان سير الأدباء وسيلة لازمة لفهم آثارهم ونقدها ، وتقديرها ..

كما أن الدراسات الحديثة تحاول تفسير النص الأدبى من خلال شخصية قائله .

ولقد عمدت فى هذا التفسير الى أسلوب الحوار المباشر ، ذلك لأن الحوار يشوق القارىء ، وفيه يسمع أصواتا ، ويجد مجالا فسيحا للحكم على مدى ما يمتاز به كاتب عن كاتب ..

كما أنه يتيح الفرصة للقارىء ليسمع أكثر من صوت .

غير أنى لم أعتمد على الحوار وحده ؛ بل عرضت — فى تركيز بالغ — لكل أديب بالبحث والتحليل ..

وهذا تقديم ضرورى لتصوير الجو الذى يدور فيه الحوار .

ان شخصية كل أديب هنا مستقلة بمزاياها ، كما أنها مشتركة مع غيرها فى صفات أخرى ..

ستجد هنا — أيها القارىء العزيز — أن المرح من الأدباء كانت اجاباته تكشف عن بساطة وخفة روح ، والمتزمت كان يتحفظ فى كل كلمة وحركة .

ظهر فى حديث عزيز أباظه مثل ما ظهر فى بيته من نظام وأناقة تحب الشعر فى قوالبه المأثورة ، وبدا أحمد رامى — على العكس منه — بسيطا سهلا ، بل ربما دلت عباراته على نوع الحياة المتحررة التى يعيشها والتى تميز شعره من غيره .

وظهر أن المؤرخ كان يعود دائما الى الوراء ، وكأنه يستأنس بالماضى ، على حين كان السياسى يتكلم فى أناة وكياسة !

وكانت عبارات الموسيقى أشبه بالأنغام الحلوة التى تجذب الأسماع ، وتسبى القلوب .

كل هذا سيتضح لك فى هذه الصور الصحفية ؛ تلك الصور التى اختفى من عالمنا بعض أصحابها أمثال : لطفى السيد ، وعباس العقاد ، وشفيق غربال ، ومحمود شلتوت ، ومنصور فهمى ..

ومع ذلك فان أسماءهم وآثارهم ما تزال تضيء لنا الطريق ، وتنفع الوطن والانسانية .

وأرجو أن تجد فى هذه المحاولة ما يشجعك على التعمق فى دراسة هذه الشخصيات — التى اخترتها لك فى هذا الجزء — كل منهم على حدة ، بما يتوفر لك من وسائل البحث والتعمق فى أخباره ، وبما يتاح لك من آثاره « التى أنفق فيها أجمل سنوات عمره .

محمد نصر

أحمد لطفي السيّد



لطفى السيد يجلس فى حديقة البوريفاج
بالاسكندرية صيف ١٩٦٠

هذا هو الرجل الذى قاد جيلين .. وظفر بأولويات تميزه عن الرواد ، فهو أول من ترجم أرسطو ، وهو أول من دعا الى انشاء مجمع اللغة العربية ، وهو أول من عين مديرا للجامعة ، وهو أول صحفى عندنا تولى الوزارة .. ثم هو أول وآخر من سمى أستاذ الجيل .

وبطاقاته الضخمة تتقلب مع الحياة ففهمها متجدد دائما فكان هو مجددا على الأيام .. كل شيء عنده يتجدد .. الأفكار .. الآراء .. القيم .. الصحافة !

ويكشف عن طاقاته بمنطق قوى نماه عمله الأول .. فقد كان محاميا ، ومرن على الجدل والمناقشة ، فلان أسلوبه ، واتسع حتى شمل الحياة كلها .. ومن ثم أصبح كاتبا وخطيبا ، له فى دنيا « الكلمة » مدرسة تحترم المنطق وتعجب بالاتزان وتميل الى الفقه . ومن ثم كان شعارها وشعاره : هاجم فى اعتدال وصاول بلا ابتذال .

لم يكتب كتابا ، ولم يضع مؤلفا ، ولكنه أطلق آراءه اطلاقا .. مثله فى ذلك مثل كل أساتذة الأجيال ! سقراط لم يضع مؤلفا وانما روى له تلاميذه ، والأفغانى ومحمد عبده لم يسجلا شيئا فى كتب وانما أطلقا أفكارهما ومبادئهما فحملها الناس مقدرين لها .. وهكذا كان لطفى السيد .

ومما خلفه أستاذ الجيل نحس أنه ككل قادة الجيل الماضى .. أرستقراطى ، متزن ، نفور من الاجتماعات ، ولكنه يؤمن بجدوى الحياة المترابطة ، ومن هنا كان ايمانه بالديموقراطية قويا .

اللقـــاء الأول (١) :

كيف يعيش الآن أستاذ الجيل .. وفيلسوف مصر بعد أن وقف على أبواب المائة عام ؟ !! .

هل لا يزال يتمتع بقوة الفصاحة وحضور البديهة المنقطعة النظير ؟

وهل يستطيع آن يحاور الأدباء ويطارح الشعراء كما كان يفعل أيام الشباب ؟ .

والى آى حد يمكنه أن يقاوم الشيخوخة ورهبة العمر الطويل ؟

ان الأدباء المعاصرين شيوخا وشبابا .. يودون لو عرفوا الكثير عن أستاذهم الكبير لطفى السيد .. ويحبون أن يسمعوه يحكى ويتكلم ..

ولقد بذلت محاولات كثيرة لاخراجه من صومعته .

وكانت كلها تبوء بالفشل !!

حتى جاء اليوم الذى جلس فيه أرسطو يحاور بعض أبنائه الخالدين أعضاء المجمع اللغوى بعيدا عن دنيا المصطلحات والقواميس ومشاكلها ..

وتكلم لطفى السيد عن الجيل الحاضر والمخترعات الحديثة . قال عن جمال عبد الناصر « انه أول مصرى صميم يحكم مصر منذ أكثر من ألف عام ! .. » وناقش أحدث نظريات الفلسفة .. وأبدى رأيه فى الدعـــوات الجديدة فى الشعر ، وفى عبد الله النديم وقال عنه انه كان أدباتيا لا أديبا .. كما تحدث عن صديقه شوقى .. وأم كلثوم ! .

ولقد كان العملاق يحمل على شعراء الندوة بقسوة ويراوغهـــم .. ويصحح لهم اجاباتهم حينما يخطئون ..

وكان مذهلا .. رائعا .. هو .. هو فيلسوف زمانه لم يتغير ولم تنل من عبقريته السنون !!

---

(١) سبتمبر ١٩٥٧

أقول هذا بعد أن استمعت الى كل كلمة قالها هذا الأسبوع حينما هبط من برجه العاجى وسمح لى .. و « لصوت العرب » بحضور الندوة الأدبية التى عقدت فى مكتبه والتى اشترك فيها عدد من تلاميذه .. وأحفاده .. ومن بينهم العقاد .. منصور فهمى .. أحمد زكى .. محمود تيمور .. الشيخ حمروش .. رمسيس جرجس .. زكى المهندس .. حامد عبد القادر .. أحمد عبد المجيد الغزالى .

— ثم ماذا بعد ذلك ؟

ان الشاعر المرحوم أحمد عبد المجيد الغزالى هو الذى رسم خطة اخراج العملاق من برجه ليتحدث الى الناس وليناقش الأدباء .. ويجيب عن أسئلتهم ..

اللحن الجميل يطربه . !

ولقد بدأ نشاط الندوة الأدبية .. بالشيخ الباقورى وزير الأوقاف حينما سأل أستاذ الجيل عن صديقه — أحمد شوقى أمير الشعراء .. وهو فى شرخ الشباب بقوله :

— ان شعر شوقى يتردد فى ألحان كبار المطربين أمثال : عبد الوهاب .. وأم كلثوم فأى هذه الألحان يميل أستاذنا الى سماعها ؟ ..

وابتسم لطفى السيد .. ونظر الى محدثه من وراء نظارته ثم قال :

— أنا أهوى اللحن .. وأهوى الموسيقى فى مستوياتها الرفيعة ، بغض النظر عن شعر شوقى أو غيره ، فكل جميل — لحنا أو موسيقى — يطربنى ويغرينى بالسماع !

وبعدها نرى (الباقورى) يتمتم بأبيات شعرية لشوقى ويترحم عليه

ثم يذكر أعضاء الندوة بخلود شوقى فى أكثر قصائده فيقول هل تذكرون مطلع قصيدته فى مدح الرسول :

ولد الهـــدى فالكائنات ضياء   وفم الزمان تبســـم وثنـــاء ..

وكيف تجرى الأغنية هادئة ناعمة على فم أم كلثوم ..

ويمط الدكتور منصور فهمى شفتيه ، ويهز رأسه اعجابا بخلود شوقى، ثم يبدأ أسئلته لأستاذه لطفى السيد قائلا :

— هل يسمح أستاذنا أن أسأله عن أهم البواعث التى دعته الى محاولة تكوين مجمع اللغة العربية قبل تكوين مجمعها الحالى بمصر ؟ ..

وهنا يروى لطفى السيد ذكرياته ومحاولاته لانشاء المجمع .

وما يكاد لطفى السيد ينتهى من سرد ذكرياته حتى يفاجئه العقــاد بالسؤال قائلا :

— هل أستطيع أن أتعرف رأى الأستاذ فى القائلين باطلاق الشــعر من القافية والوزن .. أو كليهما ؟ ..

وبسرعة يعلو صوت لطفى السيد » وهو يقول فى ثورة :

— الأستاذ العقاد أول من يوافقنى على أن الشعر لو تجرد من واحد من هذين فليس بشعر ! ..

دور الفلســـفة

وأراد الدكتور أحمد زكى عضو المجمع أن يحول دفة الحديث الى جانبه . ويفض المشكلة التى قامت بسبب الشعراء القــدامى والمحدثين فنراه يسأل :

— كيف استطاعت الفلسفة أن تعيش بعد أن سلخ منها العلم الحديث الظواهر الكونية والكثير من الظواهر الانسانية ؟

وفى الحال نجد لطفى السيد يستعرض تاريخ الفلسفة منذ ثلاثة قرون ، وكأنه يقرأ الرد من كتاب أمامه حينما يقول :

— ان الفلسفة استطاعت أن تعيش لأنها لم تجانب جذور العلم الضاربة فى أعماق تاريخ العقل البشرى .

وكنت ترى لطفى السيد يدخل فى مصطلحات فلسفية .. وكانوا يستمعون اليها وكأن على رؤوسهم الطير ..

ثم يخلص من حديثه الى أنه لا غنى للعلم عن الفلسفة وقواعدها ..

عبد الله النديم .... ادباتى

ولما أراد محمود تيمور أن ينقل التيار من أعماق الفلسفة الى شواطىء الأدب رأيناه يبتدر لطفى السيد قائلا :

— هل تعتبرون عبد الله النديم أديبا أو داعية ثورة ؟ وهل خلد أدبه الثورى .. أو ذهب بذهاب ملابساته ؟ ..

وفى سخرية لاذعة تسمع لطفى السيد يقول :

— فى رأيى أن عبد الله النديم لم يكن أديبا .. وانما تستطيع أن تسميه « أدباتى » !

فعقب تيمور متسائلا :

— بعد هذا أظن أن مسألة الخلود قد تحدد مكانها فى الاجابة ؟ !!

وينتقل الحديث على لسان الأستاذ زكى المهندس عميد دار العلوم السابق حينما يسأل :

— الأستاذ قال لى مرة ان الجيل الحاضر خير من الجيل الماضى ، فهل لم يزل على رأيه ؟

— أنا مصمم على أن هذا الجيل خير من الأجيال الماضية .. غير أنه يقف أمامنا فى الطريق شواذ .. يقف أمامنا أمثال موسى ، وعيسى ، ومحمد هؤلاء الكبار .. وحتى هؤلاء لا يؤثرون فى رأيى لأن الامام الشافعى قال « ما من عام الا وخصص .. حتى هذه » ..

فوجود هؤلاء الأنبياء على قمة الزمن يبعدهم عن المقارنة ، وهذه هى سنة التطور .. فجيلنا هذا خير من سابقه .. وسابقه خـــير من سابقه .. حتى آدم !!

وبعدها يخرج الشاعر أحمد عبد المجيد الغزالى من صف الجالسين ليشق طريقه بين العمالقة ، ويتجه الى لطفى السيد ، ويهمس فى أذنه ثم نراه يوجه على لسانه سؤالا الى العقاد :

— هل يتعارض رأى العقاد مع رأى لطفى السيد فى مقومات هذا الجيل؟.

ويمط العقاد رقبته .. وهو يميل ناحية منصور فهمى ثم يقول :

— نعم . ألتقى مع أستاذنا الكبير ..

ويعقب عليه المهندس بقوله :

— ان أفضلية هذا الجيل تتمثل الآن فى الأقمار الصناعية ، وأبحاث الذرة والصواريخ .

ويهز رأسه فى اعجاب قائلا : « نعم .. نعم هذا هو مثار الأفضلية ..
ونرى العقاد يعقب بقوله :

— أنا مع الأستاذ الكبير فى أن هذا الجيل خير من الأجيال الماضية لأن هذا الجيل اخترع الصواريخ والأقمار .. ومع ذلك فمن بين الأجيال الذاهبة من وصلوا الى معجزات هى فى الموازنة تسبق هذا الجيل ..

عضو من الخالدين ... ليس له فى النحو ! !

ويتكهرب جو الندوة حينما يسأل الغزالى محمود تيمور عن بيت شوقى الذى يقول فيه :

حديثهـا السحر الا أنه نغـم   جرت على فم داوود فغنـاها

وكيف أن شوقى « أنث » كلمة « نغم » فأعاد الضمير عليها فى جرت مؤنثا مع أن كتب اللغة التى فى المجمع تقول « النغم حسن التطريب وجمعه نغمات » .

وينتظر الجميع اجابة تيمور .. ويقول له لطفى السيد :

— أجب يا تيمور ..

واذا تيمور يقول — بكل بساطة — :

— أنا ليس لى فى النحو !!

وتكاد الدهشة تستولى على الجميع حينما يعلن عضو المجمع الخالد أن ليس له فى النحو ! وحينما يأتى دور الباقورى فى الاجـابة على أسئلة لطفى السيد : يكون المطلوب منه تفسير بعض أبيات من القصيدة التى تنشدها أم كلثوم لشوقى .. والتى مطلعها :

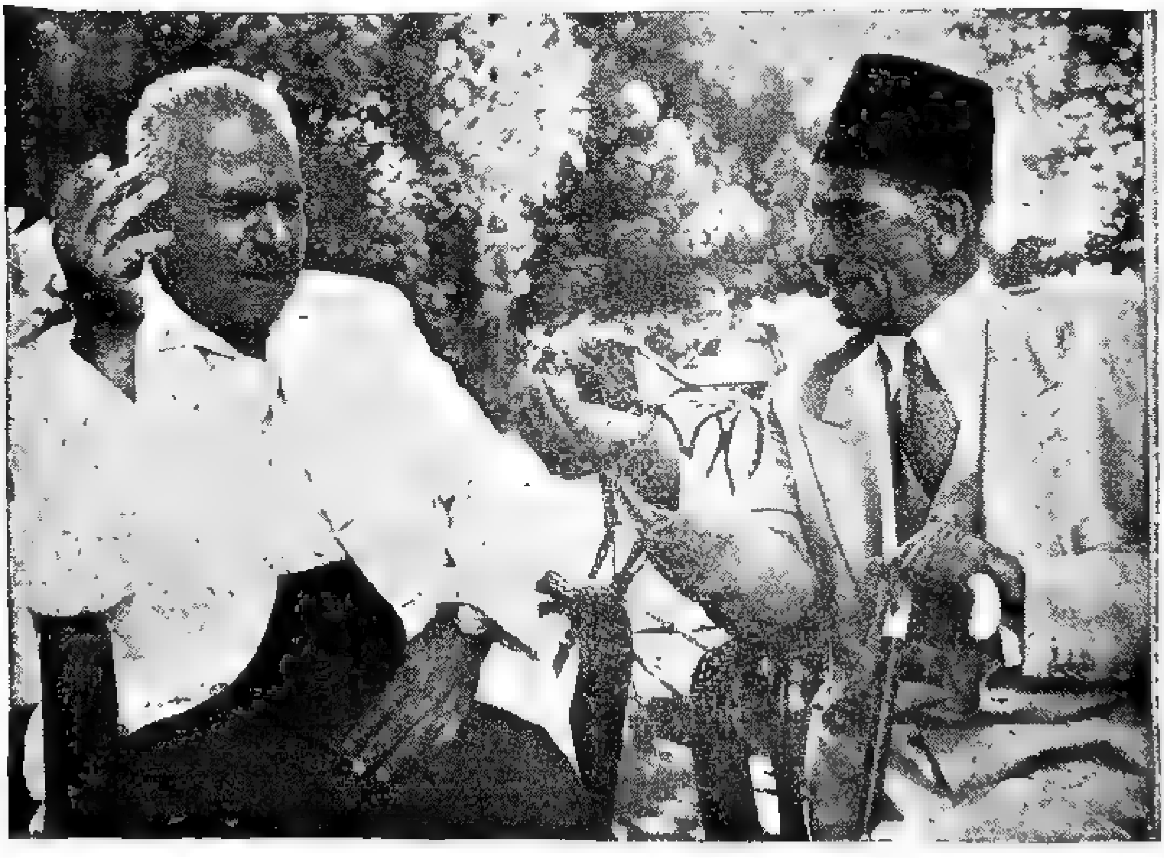
من أى عهـد فى القرى تتدفق   وبأى كف فى المدائن تغـدق

وبأى نول أنت ناسج بردة | للضفتين جديدها لا يخلق
لو أن مخلوقا يؤله لم تكن | لسواك مرتبة الالوهة تخلق

ويكون السؤال الموجه اليه :

— أفلا يؤخذ على شوقى أنه ضيق على نفسه ، وأوجد تشابها كان فى غنى عنه .. لو ضبط يخلق الأولى بفتح اللام والفعل من الباب « نصر » ، « وسمع » و « كرم » ثم ألا يؤخذ عليه كذلك انه كرر الفعل ، ببيتين متعاقبين مع اختلاف المعنى ؟ .. ويسرح بخياله طويلا .. ثم يقول :

— ان شوقى لم يثبت أنه ضبط بخط يده البيت بالضم ، واذن فدم هذا البيت فى عنق الذين لم يضبطوه بالفتح .. على أن الموسيقى — فى



حديث صاخب بين لطفى السيد و د .توفيق شوشة

أذنى أنا على الأقل — هى بالضم خير منها بالفتح ، وبقى أن تكلفوا أم كلثوم بأن تغنيه مضبوطا بالفتح .. وحتى يحدث هذا فالحق بجانبى وجانب شوقى ..

أما من جهة الشعراء فانهم يعتمدون على حسن ظن القراء .. وفهمهم لتباين المعنى للكلمة المشتركة فى اللفظ !

ولقد كان بيت شوقى :

الحـق عرض الله ، كل أبيـة بين النفوس حمى له ووقاء ..

كان هذا البيت مثار جدل طويل فى الندوة ، وساعتها ثار لطفى السيد.. واختلج وجهه منكرا على شوقى هذا التعبير ..

ولم يخلص الشاعر الغزالى من سخرية لطفى السيد الا عندما قدم له النص مكتوبا فى القصيدة ..

* * *

اللقـــاء الثانى (١) :

اجتاز أستاذ الجيل أزمة المرض .. ومضى فى طريقه الى المائة سنة ، كان يمضى الصيف فى الاسكندرية .

وقبل أن ينتهى الصيف عاد فجأة الى القاهرة ولزم فراشه ولم يكن يستطيع أن يقابل أحدا .

واستطاع أستاذ الجيل لطفى السيد أن يطرد الأزمة بقوة ارادته واستطاع بمقدرته أن يغالب المرض ويصارع رهبة العمر الطويل ، ويعود ليستأنف نشاطه وحياته اليومية الرتيبة .. ويزحف — فى هـدوء وبساطة — الى المائة عام .

---

(١) أغسطس ١٩٥٩ .

ان أستاذ الجيل يعيش فى « فيلته » الأنيقة بمصر الجديدة ..

والفيلا تجذب انتباه الناس بطرازها العربى الجميل .. وبالسكون المحيط بها .. والهدوء الظاهر فيها .

على يمينك تلمح حديقة صغيرة مشحونة بأقفاص الدجاج اليابانى .. والانجليزى . ومعها قفص الببغاء .. وعن يسارك ترى حديقة أخرى تحيط بالفيلا الأنيقة من الناحية البحرية .. ثم يستقبلك أحد الخدم وبعده تتقدم اليك الآنسة قدرية لتقودك الى قاعة المكتبة الضخمة وهى المكان المفضل الحبيب الى قلب أستاذ الجيل ..

ان الآنسة قدرية هى التى تقوم على خدمته ..

انها آنسة وقور فى الحلقة الخامسة من عمرها ..

التحقت بخدمته منذ خمسة عشر عاما .. انها تعرف مواعيد طعامه .. ونومه .. وتحدد مواعيد استقبال زواره .. انها حركة دائبة وذوق سليم .

والشخص الثالث هو السفرجى .. وهو رجل عجوز أيضا ..

ان المكتبة لا يعرف عدد ما فيها من كتب .. انها أضخم من مكتبة طه حسين .. وتمتاز عنها بأنها منسقة وتضم ذكريات تاريخية غالية .. هذه صورة والد لطفى السيد بعمامته الكبيرة .. وهذه صور أصدقائه حملة الأقلام أمثال جمال الدين الأفغانى .. ومحمد عبده .. وسعد زغلول .. ومصطفى كامل .. وقاسم أمين .. وعبد العزيز فهمى .. وبعض صور تلاميذه أمثال محمد حسين هيكل ، ومصطفى عبد الرازق .. ومنصور فهمى .. وصور تلاميذه أعضاء مجمع الخالدين .. انها متحف كامل لا نظير له . انه يروى لك تاريخ كل صورة وبالذات صورة والده وذكرياته مع صديق طفولته الشيخ محمد عبده .. وكيف جمعهما الكفاح المشترك فى سويسرا عام ١٨٩٧ ..

ثم كيف عادا معا الى قريته فى العام التالى .. وكيف التقط له ولأبيه صورة نادرة وهما يمرحان ..

الفين ســـــلامة .. !

ولتنتظر معى قليلا .. لتشاهد هذا الهارمونى المنسجم فى أنحـاء قاعة المكتبة .. وهذا الاطار الساحر ، والذوق الســـليم فى توزيع اللوحـات والفازات .. لقد كنت أتصور أن الآنسة قدرية ستصحبنى بعد ذلك الى حجرة نومه .. واننى سأجده ممددا فى فراشه .. والطبيب يجلس بجواره .. ولكن شد ما كانت فرحتى حينما عادت لتقول ان الأستاذ فى طريقه الى المكتبة ..

وفى مهابة ووقار رأيته يخطر ببطء وفى يده مسبحته الكهرمان وكتاب عنـــوانه : L'Evolution Divine du sphinx au Christ أى « التطور المقدس من أبى الهول الى المسيح » ..

واذن فقد شفى والحمد لله ..

واذن فلقد رأيته بخير وهو يقرأ فى كتاب حروفه دقيقة جدا .. وبلا نظارة!

ومع ذلك فلقد كانت لهفتى ظاهرة .. وكان فضولى يسبقنى الى الباب حيث يتقدم ببطء ظاهر .. وتقدمت نحوه وما زال بعد يخطو الى قاعة المكتبة ثم قلت له :

— ان البلد كله يدعو لك .. ألف سلامة ..

وأجاب بصوت خفيض :

— الحمد لله على كل حال ..

ومضى يقول :

— حالة هبوط .. السن له حكم .. دا ٨٦ سنة ..

وبسرعة قلت له :

— ان أستاذ الجيل لن يستطيع أن يتصور كم اضطربت القلوب .. وكم ساد الألم نفوس الجميع لهذا المرض الطارىء ... !

وببطء .. وعمق .. وفى نظرات فاحصة سمعته يقول :

— هل تعلمت الشعر .. ؟

ولما أجبته بالنفى قال :

— لأنك تقول شعرا ..

ومضى قائلا :

— اننى أتمنى أن تعيش مثلى لتدرك مسئولية العمر الطويل ومتاعبه ! ..

وقلت له :

— أين هذا العمر من الذين عمروا مائة وثلاثين عاما .. مثل : قلينى فهمى .. وفارس نمر .. وغيرهما من المعمرين ؟ ..

وبسرعة قال :

— قلينى فهمى ما تعيش زيى .. أنا تعبت كثير ..

ثم سمعته يقول ببطء :

— أنا مش قادر أرد على أسئلتك .. ولا أسمح لك الا بالتصوير فقط ..

وما كاد المصور يبدأ عمله حتى نظر اليه فى صرامة وقال له :

— انت عاوز تعمل ايه ؟

قلت له :

— حيعمل شوية صور للأستاذ وللمكتبة .. ولبعض مظاهر الحياة فى الفيلا .. زى حجرة النوم .. والطعام .. والخدم .. وهكذا ..

وسمعته يعقب بدهشة قائلا :

— حجرة النوم ؟ ..

ثم عاود الكلام قائلا :

— طيب يروح يصور ..

ورأيته بعدها أخذ يتحسس بيده اليسرى موضع الجرس فى المنضدة التى كانت بجانبه وبعد برهة دخلت الآنسة قدرية فقال لها :

— هاتى حاجة سقعة وبعدين وريه اللى عايز يصوره ..

وانصرف المصور لعمله .. وانصرفت أنا أحاول مزيدا من الحديث واذا أنا أراه يلتفت الى وابتسامة قصيرة تداعب شفتيه وهو يقول :

— قوللى انت عايز ايه بالضبط .. اطمأنيت على صحتى ، وعايز تانى ايه ؟

قلت :

— شوية اجابات على بعض الأسئلة :

وتلقيت هزة رأس وابتسامة عريضة .. وأدركت أننى فعلا قد ضايقته — وهو متعب — ثم برقت فى رأسى فكرة .. فقلت بسرعة :

— الحقيقة أنا عاوز أعيش ٢٤ ساعة مع أستاذ الجيل .. أعيشها بالكلام فقط ! ..

(فولتير) مات خــلاص !

ونظرت اليه — فى يأس — من أن أستطيع الحصول على أية اجابة .. وكنت أنظر وأنا أبتسم ..

وفجأة غلبه الضحك .. وحملق فى وجهى قائلا :

— اسمع الحكاية دى ..

ومددت رأسى نحوه أنصت لما يقول :

— كان فولتير الله يرحمه يعرف واحد مؤلف .. والمؤلف ده كل كام يوم يحب يشوفه ويبعت له كتير .. مرة يطلب منه مقدمة لكتاب جديد .. ومرة يطلب منه مقالة .. وكان يلح عليه كثيرا اذا لم يجبه الى طلبه .. وأخيرا كتب اليه فولتير جوابا يقول له فيه :

يا صديقى أنا مت ! ..

واستمر يقول :

— اعتبرنى فولتير .. وأنا مت خلاص .

وبسرعة قلت :

— أطال الله بقاء أستاذ الجيل الى مائة عام أخرى ! ..

فصاح :

— قلت لك بلاش شعر .. أنا — بالقياس الى نفسى — لا أريد أكثر مما كان ! ..

وعقبت على كلامه بقولى :

— سمعت الأستاذ يطلب الرحمة لفولتير ، ويقال ان الرحمة لا تطلب الا للمسلم .. فهل هذا القول حقيقة ؟

ونظر الى على الفور قائلا :

— رحمة الله وسعت كل شيء .. ونص القرآن يقول : (ورحمتى وسعت كل شيء) والرحمة تجوز والأصل الاباحة فى كل شيء ! ..

حسب قوة المنوم

وانتهزت الفرصة لأحقق أهدافى فتابعت الحديث بهذه الأسئلة الخاطفة :

— متى يستيقظ الأستاذ من النوم ؟

— الساعة ٧ صباحا ..

— ومتى ينـــام ؟ ..

— الساعة العاشرة مساء .

— وما هو الوقت المناسب للقراءة والاطلاع على الكتب والصحف ؟

— من ٢/١ ٨ الى ١٠ مساء .

— وكم عدد ساعات النوم ؟

— على حسب قوة المنوم .

— ومتى كنتم تستعملون المنومات ؟ .

— السنة دى بس .

— وأى أنواع المنومات تستعمله الآن ؟ .

— فانودورم وهو منوم خفيف كما يقول الطبيب .

— وكم شهرا أمضيتها فى الاسكندرية قبل الوعكة الأخيرة ؟

— ٣ أشهر و ٢٠ يوما .. سافرت فى أول يونية وجيت فى ٢٠ سبتمبر .

— ومتى تقل ساعات الاطلاع ؟

— اذا مرضت .. ومع ذلك مفيش يوم يمر على دون أن أشتغل ٤ ساعات على الأقل .

— وكيف وجدت الكتاب الذى بيدك ؟

— أقرأه للمرة الثالثة .

— ومتى تلتقى بأصدقائك ..

— حينما أخلو من العمل فى الجمعية الخيرية الاسـلامية وفى المجمع اللغـوى .

— ومن هم أحب تلاميذك وأصدقائك الى قلبك ؟

— اسألهم .. ولا تسألنى ..

— من هم ؟

— بهى الدين بركات وسعيد أخويا ، وكامل حسين وطه حسين وسليمان عزمى وغيرهم .

— ومتى تمارس هواياتك ؟

— كان زمان لما كنت شاب أركب خيل وألعب بلياردو .

— يا أستاذ الجيل .. الشباب شباب القلب . وقلبك ما زال يتمتع بنبض قوة الشباب !

— هذا ممكن .. وضده ممكن !

ليس لى طعـــام مفضـــل

واتتقل الحديث بسرعة خاطفة أيضا الى الطعام ومواعيده .. وألوانه .. فقلت له :

— هل تسمح لى أن أسألك عن طعامك ؟

وسكت بضع دقائق ثم قال :

— قل ما تشاء .

فسألت :

— متى تتناول فطورك ؟

— الساعة الثامنة .

— والغداء ؟

— الواحدة والنصف .

— والعشاء ؟

— الثامنة والنصف .

— وأى الأطعمة تفضل ؟

— اللى يأكلوه كل الناس ..

— هل تتناول غذاءك فى الخارج أحيانا ؟

— فى كلوب محمد على أتناول غذائى فى كثير من الأوقات .

ان فطور أستاذ الجيل لا يزيد على كوب من الشاى وبسكوته .. ثم فنجان قهوة وبعد تناوله يذهب الى عمله فى المجمع اللغوى .. أو فى الجمعية الخيرية ومنها يذهب الى نادى محمد على ليلعب الطاولة مع أحد تلاميذه .. وأكثرهم مصاحبة له الأستاذ ابراهيم رشيد .. أو سليمان عزمى .

لا يذكر من الصحفيين الا هيـــكل

وتناول الحديث جانبا من صلاته بالصحافة ومحرريها .. فقلت له :

— هل تطلعون على ما يكتب عنكم فى الصحف ؟

فقال بعد صمت طويل ..

— أحيانا ..

— الا تذكرون ما كتب عنكم أخيرا فى بعض الصحف .. ومن هم الذين سجلوا معكم بعض الأحاديث التى ما تزال موضع اعجابكم ؟

— لا أذكر شيئا ولا أذكر أحدا سوى محمد حسنين هيكل .. !

— وندوة المجمع اللغوى التى سجلتها لكم آخر ساعة منذ شهور ؟

— لم أقرأها .. وقد سبق أن وعدتنى باحضارها .. فأين هى ؟

وشعرت بالخجل يهزنى .. لقد كنت أظن أن عملاق الأدباء نسى وعدى له بارسال عدد « آخر ساعة » الذى عرض لمناقشـــاته وســجلها مع تلاميذه أعضاء مجمع الخالدين .. منذ نحو عام تقريبا .

وبعد أن استغرق الحديث ساعة كاملة أحسست أن الأستاذ الكبير لم يعد يحتمل المناقشة وظهرت عليه أمارات الاعياء .. فأردت أن أنهى الحديث بسؤال أخير فقلت :

— ما هى النصيحة التى تود أن تنصح بها الشباب عامة والمتأدبين خاصة..؟

وسرح بخياله بعيدا .. وبعد فترة طويلة من الصمت سمعته يقول :

— أنا تعبت من أنى أقول لكم اننى غير مؤمن بالنصائح القولية وعندكم القرآن .. خذوا منه ما شئتم ولازم أن يكون فى البلاد أشخاص تشع الاستقامة من حولهم فيقلدهم الغير . والتقليد عريق فى الآدميين ! ..

* * *

اللــقاء الثالث (١) :

وهذا هو اللقاء الثالث بينى وبين أستاذ الجيل فى الاسكندرية . حيث كان يمضى أيام الصيف فى الغرفة رقم ١ بالدور الأول فى فندق سيسيل كعادته كل عام ..

وفى حديقة البوريفاج .. بدأت حديثى بهذا السؤال :

— ما رأيك فى الأدب الحديث ؟

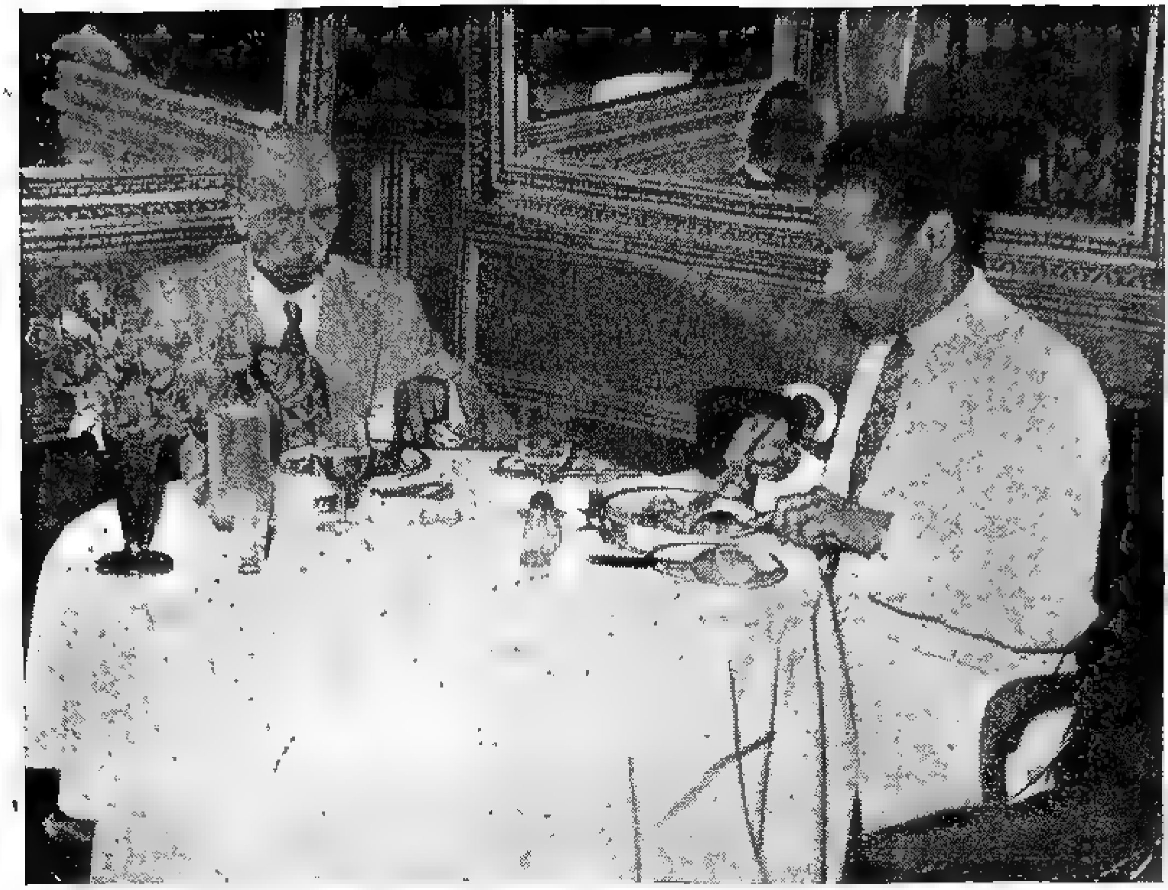
وبصوت خفيض سمعته يقول :

— يعجبنى تعريف ڤولتير حين يقول : (الأدب هو الكلم الطيب من النثر أو الشــعر) ولكن كلمة الأدب فى لغتنا عائمــة أو زى ما بيقولوا (مايعه) لأن الأدب قال عنه صلى الله عليه وسلم :

« أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .. ولم يعلمه الشعر ..

---

(١) أغسطس ١٩٦٠ .



أستاذ الجيل والمؤلف فى فندق سيسل صيف ١٩٥٩

وأضاف قائلا :

— فالأدب هنا علم الأخلاق ، ولكنهم ذكروا فى القرون الأولى من فجر الاسلام أن فلانا مؤدب أولاد فلان ، يعنى أنه يعلمهم الشعر والأدب.. اذن فنحن مضطرون الى أن نعتبر الأدب لفظا مشتركا بين علم الأخلاق وأدب اللغة .. مفيش زيادة عن كده ..

— وما هو الرأى فى أصحاب المذاهب الجديدة من الأدباء والشعراء ؟
قال أستاذ الجيل :

— مفيش مذاهب جديدة .. الأدب ككل كائن حى .. خاضع للتطور !
— وهؤلاء الذين لا يتقيدون بالوزن والقافية ..

— من غير وزن وقافية ما ينفعش شعر ،

سؤال من الدكتور شوشه :

— طيب .. والشعر المنثور ؟

لطفى السيد يرد فى ثورة :

— اسمع .. الشعر عندنا هو المركب .. هو الكلم الطيب .. موزون ومقفى وكل ما ليس كذلك ليس من الشعر .

— آخر سؤال يوجهه الدكتور شوشه :

— أنا عاوز أعرف كلمة شعر جاية من ايه .. مش من شعور .. وشعر الريحانى .. والمحدثين مثل نزار قبانى وشعراء المهجر وغيرهم أدى له اسم ايه غير الشعر ؟

لطفى السيد يقول :

— ما هو كويس من جهة أنه كتابة مركبة من مقدمات خيالية أو خطابية .. أما كونه شعرا ، فلا أقول حسن ولا طيب .. انما الشعر عندنا هو المقفى والموزون .. وأنا مش لاقى أحسن من تعريف فولتير ..

— وماذا ترون فى بعض الكتاب المحدثين ؟

أستاذ الجيل يقول :

— مرة ثانية .. كل موضوع قابل للتطور .. فناس هذا الجيل غير ناس الجيل الماضى لأنهم تطوروا ..

ثم تكلم الدكتور سليمان عزمى واشترك فى المناقشة وقال :

— أنا يا أستاذنا عاوز أعرف معنى كلمة « الأدب » وهل هى تطلق على الأدب اللغوى فقط . أو اتسع افقها وتطورت ، لأننا بنقول فى كتب الطب Littéature du Médcine ، فهل هذا يعنى أدب الطب ؟

الأستاذ ينظر اليه كأنه يفحصه وهو يقول :

— لأ .. دا يعنى الكتابة الطبية ..

المجتمـــع

قلت له :

— والمجتمع الجديد كيف ترونه الآن ؟ ..

قال بعد فترة صمت :

— الأمة هى موضع للتطور .. والمجتمع هو الخاضع للتطور ..

قلت :

— وما الرأى فى فتاة اليوم ..

— فقال وابتسامة تداعب أخاديد وجهه :

— ان فتاة المجتمع اليوم هى الأخرى خاضعة للتطور .. والتطور لا يقف ..

— منذ وقت والصحف تتحدث عن الجامعة الأهلية ، فهل تتوقعون لها النجاح .. ؟

— اذا نجحت تبقى أحسن من كل جامعة أخرى ترأسها الحكومة . زى ما فى جامعات انجلترا ذات البرامج المتعددة .

— وماذا يرى أستاذنا فى الاتجاه الذى يرمى الى اختبار الراغبين فى الالتحاق بالجامعات قبل دخولهم .. ؟

— الحكم على الأشياء لا يتم الا بعد التجربة ..

الحـــرب

سألت فيلسوف الجيل :

— يريد الناس أن يعرفوا رأيك فيما ينتظرهم من وراء التجارب الذرية ، أو الحرب الذرية ؟

قال الفيلسوف : أنا ضد الحرب .. ذرية .. أو غير ذرية .
(وقالها بضم الذال)

وحملق فيه أحد الحاضرين بعينيه وهو يستوضح :

— هل الاسم بالفتحة أو بالضمة ؟ .

وبسرعة أجابه :

— فى لسان العرب «ذرى» بالضم ! واعتبر أن الحرب ليست طبيعية ، لأنها استمرار لعادة قديمة كالرق يزول بمرور الزمان ويستحيل التنافس فى الحياة الى صور ليس منها الحرب المسلحة .

وفجأة عاد بذاكرته الى الوراء .. الى أيام صدور الجريدة .. وأخذ يضحك بصوت مرتفع وهو يقول :

— كان المرحوم سعد ناظر المعارف ، وأنا كنت صحفى .. ورحت مرة أقول له : (الرأى العام عاوز يشوف موقفك من المسألة دى) ، كان يقول لى وهو يضحك :

— مش تنور عشان أشوف الرأى العام ؟

وسكت الفيلسوف وقال :

— لا شك ان اللغة الفصحى تقدمت خطوات من أيام فتح المحاكم والجرائد والسنما .. اللغة العربية استفادت من هذا كله والجرائد كان لها أثر مفيش شك .. احنا لغتنا القرآن ملاكها !

دكتور عزمى :

— والأزهر ؟ .

الأستاذ يعقب فى ثورة عنيفة قائلا :

— القرآن يا أخى ! .

واتتقل الجدل حول موقف الأزهر والتطور الذى أصابه وضرورة ادخال العلوم الحديثة اليه .. وكيف دعا الشيخ المراغى شيخ الأزهر أستاذ الجيل مرة ليرأس امتحان الفلسفة وكيف وجد الأزهريين أيامها يدرسون ارسطو وفلسفته ..

ومن حديث الفلسفة فى الأزهر بادرت بسؤال جديد :

— وفلسفة العقاد .. ما رأى الأستاذ فيها ؟ .

— لا شك أن العقاد من أعظم أدبائنا .

— من الذى ترشحه فى العام القادم لجائزة الدولة التقديرية ، وهل يوجد بين الشباب من يستحقها ؟ .

— فى الشبيبة كل خير .. والتطور لا يقف ، وأنا لا أستطيع الحكم على أشخاص لأن الحكم على أشخاص منهى عنه . ولكنى أرشح العقاد لجائزة الدولة .

— هل تقيم أم كلثوم فى نفس الفندق ؟

— نعم هى وجوزها الخوجه فى كلية الطب .. بس يومين ما شفتهاش .. آخر مرة قبلت يدها .. ان ما كناش نكرم الفن فى أم كلثوم ، نكرمه فى مين ؟

— وكم سنة تتردد على هذا الفندق ؟

— بقى لى سنتين .. .

— والأسكندرية ، كم مرة تصيف فيها ؟

— من زمان .. وأول مرة جيت هنا كانت سنة ١٩٠٥ .. يومها جيت مع أبويا وعبد العزيز فهمى ونزلنا فى (رچينا أوتيل) وززنا الشـــيخ محمد عبده .. أصله كان عيان أيامها .

* * *

اللقــاء الرابع (١) :

فى اليوم الخامس عشر من يناير ١٩٦٢ .

احتفل الرجل الذى فاد حيين بعيد ميلاده التسعين بعد أن اجاز أزمة المرض الأخيرة بسلام ومضى فى طريقه عملاق الى المائة عام ! ..

وفى هدوء كهدوء الأمسية التى لقيته فيها دخلت فيلته الأنيقة بمصر الجديدة . وقبل أن ألقاه فى حجرة نومه كانت أسئلة كثيرة تتزاحم فى رأسى :

* ما هى أمنيات أستاذ الجيل فى عامه الجديد ؟



احتفل تلاميذ لطفى السيد أعضاء المجمع اللغوى بعيد ميلاده التسعين

---

(١) يناير ١٩٦٢ .

* ما هى مشروعاته فى السنوات العشر القادمة ؟
* ما هو البرنامج اليومى الذى يسير عليه ابن المائة عام ؟
* كيف يقود جلسات مجمع الخالدين الآن ؟
* ماذا يقول تلاميذه فى المجمع ؟

مفيش كلام !

ان الآنسة قدرية خليل أحمد (٧٠ سنة) اللبنانية الأصل التى ترعى شئونه تسبقنا الى حجرة نومه .. انها التحقت بخدمته قبل خمسين عاما ، ولا تفارقه الا حينما يستسلم للنوم !

ها هو الأستاذ يجلس على الكرسى وفى يده كتاب توماس جيفرسون أبو الديمقراطية .. وعلى المنضدة أمامه مجموعة أخرى من الكتب من بينها القرآن . وكتاب الانسان وأدواته تأليف وليام بيرنز ، والمائدة على يساره مشحونة بزجاجات الدواء وأنابيب الأقراص المهدئة ..

وفى ابتسامة وديعة كشفت عن التجاعيد التى ملأت صفحة وجهه سمعت صوته العميق القادم من بعيد :

— مفيش كلام !

فسكت .. فابتسم وقال : تكلم .

قلت :

— كل سنة وأنت طيب .

ومن بين شفتين ضامرتين خرجت هذه الكلمة :

— متشكر . ممنون .

قلت :

— ازاى الصحة ؟
— قال :
— زى ما أنت شايف .
قلت :
— بتنام كام ساعة ؟
أجاب :
— ٧ ساعات .. من عشرة مساء الى خمسة صباحا .
قلت :
— ان شاء الله تكون بتنام اليومين دول من غير المنوم .. ؟
أجـاب :
— لسه واخد قرص امبارح بالليل ، وهنـا تدخلت الآنسـة قدرية في الحديث قائلة :
— الحمد لله بقى كويس خالص . ولا بياخد منوم ولا حاجة ..
ورأيته يرمقها بعينى صقر وهو يسألها :
— انت واقفه كده ليه ؟ .. وايه اللى معاكى ده يا بنت التركى ؟ !
وفى ابتسامة حانية قالت قدرية :
— أنا لبنانية يا سيدى ولست تركية وعرفت منها — فيما بعد — انه حينما يغضب منها يقول لها : انت بنت تركى .
قلت لأستاذ الجيل :
— الحقيقة كنا مشغولين عليك خالص فى الأسابيع اللى فاتت .. وأنت تحت رعاية الله والدكتور سليمان عزمى وربنا استجاب لدعاء الناس كلها لك بالشفاء .

قال فى صوت خافت :

— لسه باخد كورامين ٢٠ نقطة ٣ مرات فى اليوم ..

ومضيت أتابع الحديث قائلا :

— الدكتور طه حسين كان مريضا هو الآخر ، لعل الأستاذ سأل عنه ؟

وبسرعة قال :

— صحيح هو محضرش الجلسة اللى فاتت فى المجمع ، والنهاردة راح له الدكتور كامل حسين أستاذ العظام وسألته عنه بعد زيارته له وقال لى انه كويس .

قلت :

— يقول الناس ان جوائز الدولة فى الأدب أصبحت وقفا على أعضاء المجمع ، كل اللى أخذوها — حتى الآن — من هؤلاء الأعضاء : طه حسين . العقاد . توفيق الحكيم ويرشح المجمع هذا العام اثنين من أعضائه أو ثلاثة وهم أحمد حسن الزيات ، وفريد أبو حديد ، وعزيز أباظه ، وقد رشحت أنت العقاد لجائزة الدولة منذ عامين فمن الذى سترشحه هذا العام ؟ .

صمت .. وبعد أن طالت لحظة الصمت تجهم وجه لطفى السيد وقال :

— مفيش كلام !

ومضت فترة صمت قطعها هو قائلا : ما تتكلم ..

ولم أتكلم .. انما بدأت أسحب الكتب التى وضعها أمامه — كتابا بعد كتاب — وأقرأ أسماءها وهنا سمعته يقول :

— كده اهو بتأخد الكتب من غير ما تستأذن ..

قلت :

— أستاذنا الكبير أريد أن أعرف آخر كتاب تقرأه هذا الأسبوع ؟

قال :

— الحقيقة كتاب مترجم عن الديموقراطية « لتوماس جيفرسون » وهو ترجمة عباس محمد .

قلت :

— لعل الأستاذ راض عن أساليب الترجمة التى يقرأها للأدباء العرب هذه الأيام ؟ .

قال :

— تعجبنى .

ووجدت الفرصة قد سنحت لأمضى فى الأسئلة فقلت :

— لقد أدخلت الفتاة المصرية الجامعة ، فمتى تدخل المرأة المجمع اللغوى ؟

ولأول مرة أسمع قهقهة عالية — تبدد الصمت الذى يغلف حجرته — قبل أن يقول :

— الست اللى عاوزة تخش المجمع لازم تثبت ان عمرها ستين سنة ، ومفيش واحدة تعترف بحقيقة عمرها أبدا !

قلت له :

— ألا تستثنى سهير القلماوى ؟

وعادت تجاعيد وجهه السمح تختفى وراء ابتسامة عريضة وهو يقول :

— والله واحشانى سهير ..

وأردف قائلا :

— مشفتهاش من زمان .

وسألت الأستاذ عن حقيقة ما نشرته احدى المجلات الشهرية عن

حبه لمى » وعن الرسائل التى كتبها اليها فى ذلك الحين ، وقال وكأنه يعود بذاكرته الى الوراء :

— كان ذلك منذ أكثر من خمسين عاما .

قلت :

— ومن صاحبة هذه الصورة الجميلة المعلقة فى غرفتك ؟

وتدخلت قدرية فى الحديث للمرة الثانية قائلة :

— دى حفيدة الأستاذ .. وحبيبته .. تلميذة فى الدليفراند بمصر الجديدة .

ولمحت راديو صامتا بجانب سريره .. فقلت :

— لمن الأغانى التى تسمعها فى الراديو ؟

قال :

— لأم كلثوم .. مين زى أم كلثوم ؟

قلت :

— سمعت ألمظ ؟

قال : فى ابتسامة ساخرة :

— لم ألحق ألمظ .

قلت :

— أين التليفزيون ؟

فقــال :

— علشان ايه التليفزيون ؟

قلت :

— فيه برامج كويسه يمكن الأستاذ يشوفها ..

قال :

-- محدش فى البيت طلب منى تليفزيون .

وحاولت أن أنتقل بالحديث الى زاوية أخرى فقلت :

— متى تشغل الكراسى الخالية فى المجمع ؟

قال :

— متتعبش خاطرك .. أنا قلت لك مفيش كلام .

قلت :

— طيب دا فيه كراسى كتير خالية . ؟

وبعد فترة صمت قال :

— المجمع حيشغلها فى القريب ثم يوافق عليها الوزير بعد ذلك .

قلت :

-- الأعضاء بيشتكوا منك .. بيقولوا انك بتتعبهم من كتر الشغل فى الجلسات ..

قال :

— مين اللى اشتكى ؟

قلت :

— الزيات .

قال :

— متصدقوش .

وفى هذه اللحظة كان محمد يوسـف منهمكا فى تصويره من جميع الزوايا .. فقال لطفى السيد : انت بتعمل ايه ؟

فرد محمد يوسف : أنا بارسمك !

فقال لطفى السيد :



أحمد لطفى السيد عندما بلغ التسعين

— أمال ايه اللى بيلمع ده ؟

فقال محمد يوسف : نور الكاميرا .

فقال لطفى السيد : طيب مش كفاية صورة واحدة ؟

ودخلت علينا سيدة فالتفت اليها ورحب بها ثم رأيتها تنحنى وتقبل يده ووجنته ، فالتفت الى الأستاذ وهو يقدمها لنا قائلا :

— دى بنت أخويا ، قعدت فى كلية العلوم ٣ سنين وبعدين اتجوزت وعندها أولاد .

وانصرفت بعد أن تمنيت له السعادة فى الأعــوام المقبلة .. لألتقى بالأعضاء الخالدين من تلاميذه .. ولأقف على مزيد من أخبار لطفى السيد ، وعلى أسرار حيويته وحرصه على حضور جلسات المجمع بانتظام ..

* * *

النــكتة لا تفوته

قال أحمد حسن الزيات .. عضو المجمع .. وصاحب الرسالة :

— ان أستاذ الجيل قواه كما هى كالشباب ذاكرة قوية .. وبديهة حاضرة واطلاع واسع ويقظة طيبة بكل ما يدور فى الجلسة ، ونكتة لطيفة فى بعض الأوقات ، وحرص شديد على النظام . اننا نحضر الجلسات منذ عشرات السنين ابتداء من الحادية عشرة كل يوم الى الواحدة والنصف تقريبا أو أكثر حسب حاجات العمل .. اننا نراه يدير الجلسة ويبدى رأيه فى بعض ما يستعصى علينا منه ، ولا يخرج قبل الموعد المحــدد الا اذا انتهت أعمالنا ، وكثيرا ما يعارضنا فى فض الجلسات اذا كان الموضوع المطروح للمناقشة لم ينته بعد أنه أكبر العلماء المعمرين الآن .

ويقول محمد فريد أبو حديد .. عضو مجمع الخالدين :

— ماشاء الله وتبارك الله ، ومد الله فى عمره لأننا ما نزال نشعر بأنه شاب مكتمل الشباب ، وقد يضج الأعضاء من التعب والارهاق حين يبدأون جلسات خاصة ، ويستأنفون بعد ذلك اجتماع المجلس وهو معهم فى الجلسة الأولى ، والجلسة الثانية فيأبى أن يفض المجلس قبل أن يحين موعد انفضاضه الرسمى . فاذا عرضت مسألة تحتاج الى نص من النصوص رأيناه — حفظه الله — يورد النص من ذاكرته صحيحا ، كأنه يقرأه من مرجع .

نتفاهم بالعيون

وقال الدكتور مراد كامل .. عضو المجمع وأستاذ الدراسات الشرقية بكلية الآداب :

— اننا فى حضرة لطفى السيد أستاذنا لا نستطيع أن نطلب فض الجلسة مهما لقينا من تعب .. انه يحاور ويجادل بعنف ويصحح أبيات الشعر لمن يخطىء فى رواية بيت من قصيدة أو أكثر .. اننا حينما نتعب ينظر كل منا الى أخيه وكأننا نتبادل الأسئلة فى صمت ، واذا لمح أحدنا على هذا الوضع يقول على الفور وهو ينظر الى ساعته :

— لسه بدرى على الميعاد .

انصرفوا !

ويقول اسماعيل مظهر .. عضو الخالدين :

— ان علاقتى بأستاذ الجيل ترجع الى أكثر من ستين عاما ، حينما كان يصدر الجريدة ، وكنا نتردد عليه فى دار الجريدة التى كانت تتخذ

من بيت المرحوم سامى البارودى بغيط العدة — مقرا لها — وأنا من بلدة برقين ، وهو صهرى فى نفس الوقت ، وقد عرفت فيه الحرص على المواعيد بدرجة مذهلة ، أما ذاكرته فلم تضعف ، ويستطيع أن يتذكر حوادث وقعت من ستين أو سبعين عاما كما لو كانت قد وقعت اليوم ، ويستطيع أن يتذكر تفاصيلها ، ووقائعها ، ومن جهة ما يحفظ من الأدب العربى فهو محصول كبير جدا ، فقد كنا فى جلسة بالاسكندرية وعرض ذكر الشاعر ابن أبى ربيعة ، وذكر أحدنا بيتا من قصيدة له وسكت فالتفت اليه أستاذنا وقال له أكمل ..

فقال : لا أتذكر ..

وهنا روى الأستاذ لطفى السيد القصيدة من أولها الى آخرها .

شباب الروح ابقى !

وما رأى الأطباء وخبراء التربية فى سر اليقظة التى يتمتع بها أستاذ الجيل ؟

ان الدكتور محمد أحمد نصر وكيل وزارة الصحة السابق وأستاذ الأمراض العصبية الزائر بكلية الطب يقول :

— ليس كل من وصل الى التسعين عاما يكون فى يقظة لطفى السيد ، ان الله يختار أناسا بعينهم ويمنحهم هبات معينة . وقد منح الله لطفى السيد حيوية خاصة جعلت ذاكرته لا تتأثر بالسن. انه كما يقول الاختصاصيون « متمكن أمكن » ولابد أنه حصل فى الماضى أساسا متينا من الثقافة والمعرفة . والمعروف أن أول ما يتأثر فى الانسان المعمر هو الذاكرة الحديثة أما القديمة فتظل فى يقظة تامة ما دامت قد نشئت تنشئة قوية ..

وقال الدكتور أبو الفتوح رضوان .. وكيل كلية التربية أن لطفى السيد

يتمتع بما يسمى الروح المعنوية القوية التى قلما تبقى ملازمة للمعمرين أمثاله ، ولكن ذلك يرجع — فى رأيى — الى عدة أسباب من بينها أنه لم يكن ضحل الثقافة فى نشأته الأولى ، وانما استقى — ولا يزال — من النبع الثقافى الخالد العميق ، ولهـذا سيظل لطفى السيد يتمتع بشباب العقل . وان كان قد جاوز التسعين .

برنامج دقيق

بقى آخر ما ينبغى أن تعرفه وهو :

* انه يستيقظ فى الساعة الخامسة صباحا ويتناول فطوره المكون من البيض والفول والزبدة والمربى أو العسل النحل ، والتوست ، والقهوة التركى .
* وأما غذاؤه فمكون من صدر فرخة أو مكرونة أو أرز مسلوق وفواكه مسلوقة مع التوست ويتناوله عادة فى كلوب محمد على .
* وأن قائمة عشائه تتكون من الفراخ المسلوقة ، أو السمك مع الخضار والفاكهة .
* وأنه يتردد بانتظام على مجمع اللغة العربية فى أيام الاثنين طوال فترة انعقاد المؤتمر ليرأس جلساته ويشترك فى مجلس ادارة الجمعية الخيرية الاســـلامية .
* وأنه — فى وقت فراغه — يتردد على كلوب محمد على ويلعب الطاولة مع اصدقاء عمره الدكاترة سليمان عزمى وتوفيق شوشه أو كامل حسين وغيرهم .

ثم ماذا ؟

— ادعوا له معى بطول العمر وهنئوه بالتسعين ربيعا .

أحمد حسن الزيات



أحمد حسن الزيات ما يزال يحتفظ بالطربوش حتى الآن !

لما قدمه للأدب العربي من جهود صادقة . للمجلة التى كان يصدرها ، وكانت منبرا الأدباء الشبان والكبار ، وتكريما لفضله وشيخوخته واستمراره فاز هو أيضا بأسمى جوائز الدولة ..

فاز بجائزة الدولة التقديرية فى الآداب .. وقبلها فاز بعضوية الخالدين.. وهكذا وصل الى نهاية القمة التى يحلم بها الأدباء المفكرون .. والفلاسفة!.

انه صاحب الرسالة أحمد حسن الزيات (٧٦ سنة) [١] المعلم الأديب الذي أنجبته احدى قرى أرضنا الطيبة .. الضاربة فى أعماق الدلتا والتى اسمها (دميرة) ! .

انه واحد ممن تعتنى بهم الحياة الأدبية فى الشرق العربى .. عاش طوال عمره يتعبد فى محراب الأدب .. يبحث ليعود فى تواضع الأنبياء ويتحدث بخفـوت !

واذا كانت ثقافة الانسان وأسلوبه انعكاسين لروحه رأينا فيه النظرة الحالمة والفكرة الناعمة .. والبلاغة العميقة .

وعند القديم والجديد .. والماضى المتعلق بالعرب والمستقبل الذى يتمسح بالغرب يقف الزيات تعلو وجهه حمـرة الخجل ويفتح عينيه من وراء منظار سميك !

ولقد رشحته سبع هيئات لنيل جائزة العمر .. لأنه كما سجل تقريره — الذى يحتفظ به يوسف السباعى فى مكتبه الخاص — فى مقدمة كتابنا الذين ساهموا فى حركة النهضة الأدبية الحديثة ، وشاركوا فى معـركة

---

(١) شتاء ١٩٦٢ .

التجديد .. وهو صاحب منهج فى الكتابة تخرج فيه على يديه كثير من أصحاب القلم والفكر فى مصر والعالم العربى والى جانب ذلك أخرج عددا من الكتب القيمة تأليفا وترجمة وبأسلوب ناصع ممتاز ، وله فى كتاباته شجاعة ممتازة فى اعلانه الحق فى وجه الظلم والطغيان ألف كتبا كثيرة منها .. (دفاع عن البلاغة) .. (فى أصول الأدب) .. (وحى الرسالة) وترجمة (روفائيل) ، (آلام فرتر) .

وله فى الطريق الى المكتبة العربية — كما قال لى : (عبقرية الاسلام) و (ذكريات الطفولة والشبيبة) .

اليكم ما أتمناه

وبنفس الهدوء الذى يمتاز به الزيات دون سائر أدبائنا .. والهدوء الذى يحيط « بفيلته » الأنيقة فى المنيل بالقرب من النيل ، بدأنا الحديث .. وخلال ساعتين لم أسمع الا صوتا ينساب هادئا .. معبرا فى أناقة وحرص ذكى ! .

قلت للفائز بجائزة الدولة — وقدرها ٢٥٠٠ جنيها والميدالية الذهبية :

— ما هى الأحلام التى تريد أن تتحقق فى العام الجديد ؟ .

فقال وهو يتحسس بيديه الشعرات البيضاء المنتشرة فى رأسه وفوق حاجبيه :

— أن تعود الى قوة بصرى .. فمنذ أربع سنوات لا أستطيع القراءة بنفس المقدرة التى كنت أقرأ بها . لقد أثرت (الكتراكت) على عينى . وفى نيتى فى العام الجديد — وفى شهر يوليو بالذات — أن أسافر الى أسبانيا ليجرى لى جراح العيون العالمى جراحة أرجو أن تكلل بالنجاح.

قلت : وهذا ما يتمنـاه لك الجميع .. ولكن لم تكشف لى عن مشروعاتك الأدبية الجديدة فى العام الجديد .

قال : بعد لحظة صمت :

— ليست هناك مشروعات أدبية جديدة وانما هو تكميل لمشروعات قديمة وأهمها الفراغ من كتاب (عبقرية الاسلام) ، وكتاب (ذكرياتى فى الطفولة والشبيبة) .

قلت : وأمنياتك الغالية الأخرى ؟ قال : نحن نسير فى طريق النهضة والتجديد ، وكل ما أرجوه فى العام الجديد أن تستمر هذه النهضة الشاملة الكاملة فى السياسة ، والأدب ، والاجتماع والاقتصاد حتى تبلغ مداها .

هذا ما جناه أئمة اليمن

وانتقل الحديث الى مستقبل الأدب فى اليمن بعد أن تحررت وماذا يتمناه الزيات لهذا القطر الشقيق فى العام الجديد ؟

قال : ان علاقة اليمن بالأدب العربى علاقة قديمة ، باعتبارها جزءا من الأمة العربية ، ولكن اليمن لم تشارك فى النهضة الأدبية . فى الأدب القديم كانت نجد طاغية على اليمن .. وفى الأدب الحديث لم يشارك أبناء اليمن فى تطور الأدب لضعف التعليم وجهل الأئمة .. ولسوء الحـالة السياسية والاجتماعية فانحصرت ثقافتهم فى الكتب القديمة خصوصا الفقه ، وفقه الزيدية والشافعية ولكنهم لم يتأثروا بالنهضة الحديثة فى مصر والشام بل ظل الشعر عندهم على الخط القديم كما سمعنا من شعر الامام الذى حارب كل تقدم وثقافة فى بلاده .

وينتظر — فى القريب — أن يكون لهم شأن فى الأدب بعد أن انساقوا

فى ركب الثورة والتحرر وبعد انتشار التعليم ، وأخذهم بالمنهج الجديد فى الحضارة .

فريد أبو الحديد وجائزة الدولة

قلت للزيات :

— بوصفك عضوا فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية من الذى ترشحه لنيل جائزة الدولة فى العام الجديد ؟

قال : رشحت محمد فريد أبو حديد ، والمجمع اللغوى رشحه .

— والأسباب المبررة للترشيح ما هى ؟

— لسببين : علمه بالأدب ، وجودة انتاجه ، وأنا دائما أشترط فيمن يرشح أن يجمع بين العلم بالأدب وجودة الانتاج فيه ، والصفتان متوافرتان فى فريد أبو حديد ، وأكثر أعضاء المجمع يستحقون هذا الترشيح ولكن نحن نفضل الجهاد الطويل فى الأدب ، والتفسير فيه .. والسن !

أنا والأدباء

وقطع حديثنا رنين التليفون .. وسمعته يبرر لمحدثته على الجانب الآخر أسباب اعتذاره .. وأنا لا أعرف لماذا .. ولكنى سمعته يقول :

— التعارف الجديد لا يسمح للواحد بالانطلاق فى الحديث ثم أردفه قائلا :

— الفنان يتأثر بأى شيء .. وشوية كلام أثروا على قبل كده !

— هل وقع خلاف بينك وبين بعض الأدباء ؟

— أجاب أنا طول عمرى مسالم ، ولا أتدخل فى شئون غيرى .. وانما

الذى يمسنى أو يهددنى أضطر للرد عليه ، والهجوم الذى أذكر أننى رددت عليه كان بمناسبة نقد بنت الشاطىء لكتابى (دفاع عن البلاغة) وكان ذلك على أثر ما نشره المرحوم عبد العزيز فهمى (باشا) فى الرسالة من أن هذا الكتاب يصح أن يقرر فى الجامعة .

— قالت ايه بنت الشاطىء ؟

— نقدته نقدا ظالما ليس مبنيا على حقـائق علمية ، وأنا رددت على تهجمها فى مجلة الكاتب .

وفى هجومى عليها قلت : — انها كتبت ما كتبت بعلم زوجها وتأثيره والحقيقة التى عرفتها — فيما بعد — انها كتبت بأسلوبها ورأيها .

قلت لعلك تتابع المعارك الأدبية الناشبة بين العقاد من جهة ، وبين أمين الخولى ، وكامل حسين من جهة أخـرى . ترى لمن تنتصر .. وأيهما — العقاد أو أمين — على حق ؟

قال : وابتسامة طيبة تداعب شفتيه : — أنا لا أحب أن أنصر أحدهما على الآخر .. المسألة أن هذا يكتب والآخر يرد .. والحكم الأخير لجمهور الأدباء !

— ومسرحية (يا طالع الشجرة) لتوفيق الحكيم هل ترى شخصياتها متوائمة مع نفسها ؟

— لم أقرأها بعد .. وانما قرأت ما كتب عنها .

— وشخصيات قصص طه حسين ماذا ترى فيها ؟

— الشخصيات التى عالجها الدكتور طه فى قصصه كلها نابعـة من

الحياة ، ومن البيئة التى نشأ فيها ، وهو لم يتأثر بالأدب الغربى الا فيما ترجم .

— وما رأيك فيما تقرأه للأدباء الشبان ؟

فرأيته يهرش فى رأسه ثم يقول بعد تفكير : — فيما يتعلق بالمضمون والفكرة أكثرهم يجيدها ، أما الذين يدعون الى العامية فيخرجون على الأساليب الصحيحة ولا يرضينى ما يكتبون وعلى الأخص الشعر !

— وبماذا تنصحهم ؟

— بدراسة اللغة العربية ، والتعمق فى أدبها وبناء أدبهم عليها ..

— ومن كان مثلك الأعلى من الأدباء فى مطلع حياتك الأدبية ؟

— فى الأدب العربى كان (ابن المقفع) و (الجاحظ) و (بديع الزمان الهمزانى) . وفى الأدب الأوربى (شاتوبريان) و (فلوبير) و (لامارتين).

— وآلام فرتر كيف حققت ترجمتها ؟

— ترجمتها عن أربع تراجم فرنسية ترجمتها الأكاديمية الفرنسية .

— ومن هو الأديب الأصيل فى رأيك ؟

— هو من يتقن لغته أولا ، ومن يجمع بين أصالة الفكر وبلاغة الصورة لأن الأسلوب — فى رأيى — يجب أن يجمع بين سلامة الفكرة وأصالتها ، وقوة التعبير وبلاغته .

— وأهم ما حققته مجلة الرسالة فى رأيك ؟

— انها جمعت على صفحاتها كل كتاب العالم العربى .

— وأحب الذكريات الى نفسك ترى ما هى ؟

— ذكرياتى فى بغداد فقد عملت ثلاث سنوات فى دار المعلمين العالمية .

وكنت أول أستاذ عربي يدرس الأدب العربى هناك ، ومن بعدى ذهب زكى مبارك ، ثم عبد الوهاب عزام . وسوف يصدر لى كتاب جديد بعنـــوان (العراق كما رأيته) .

وبعد ساعة ممتعة قضيتها معه تركته لينصرف الى المطالعة — هوايته المفضلة بعد أن همست فى أذنه :

— مبروك عليك ... وكل سنة وانت طيب !

احمد رامي



احمد رامي .. يظل دائما شاعر الشباب حتى بعد احالته الى المعاش !

هو الشاعر الذى أحب الحب لأنه حب ، وليس لأن أمامه الوجه الجميل والروح الجميل .. وهو الشاعر الذى أفعمَ قصائده بأكثر صور الحب رقة ورشاقة ودفئا ، فيقدم الدليل على أن القلب قلما يشيخ .

وهو الشاعر العجوز الذى يصر على أنه شاعر الشباب وبكل قيم الرجل العجوز — فيما عدا ما لا يتصل بقلبه — يعيش رامى ، فينكر على الشباب تفاهته وتهالكه ويتحداه بصلابته وبحيويته .

غير أنه يمعن فى تحديه .. فيزعم أن شعره هو الشعر الجديد ، وأن نزعات الشباب عمليات تخريب .

الجديد فى الشعر هو التجربة ، أما الاطار وأما التصميم وأما الأسلوب.. أما ذلك كله فينبغى أن يظل قديما ومن ثم ينبغى على الشباب أن يعودوا الى الشعر العمودى والى الأساليب التقليدية .. فان القديم يستطيع أن يظفر بحياة متجددة على الدوام .

وشعر رامى بعد ذلك دليل آخر على أن أدوات الفن لا تحسن الا فى يد الفنان الماهر الذى يعرف سر فنه .. ومن ثم امتازت بطلاوة ولمعان وبريق ، بل امتازت بسرعة نفاذها الى القلوب .. ولعل هذا هو سر نجاحه فى تقديم قصائده للغناء .

ويستطيع رامى أن يكون شاعر مناسبات الا أنه يؤمن بأن مثل هذا الشعر أضعف من أن يعيش ، ومن ثم قصر طاقاته الفنية على الغزل وما يدور فى فلكه .

ان حيويته الدافقة تجعلك تعتقد أن السن لم تتقدم به يوما واحدا ،

كأنما وقفت به عند الثلاثين عاما ولم تتزحزح الى الأمام خطوة واحدة .. وجهه هو هو ، عيناه الدقيقتان البراقتان همــا همــا ، حتى أشــعاره ومونولوجاته ما تزال تنبض بقوة الشباب وأطماعه فى الحب الدافىء .

كان موعدنا على شاطىء النيل بعد أن فرغ من أعماله فى دار الاذاعة ، وتحت خميلة تظلل المكان الذى كان يتردد عليه فى فجر شبابه ، جلس يتحدث فى كل شىء . كان كلما مرت به حسناء رمقها بعينى صقر ، ثم عاد يتحدث . البدلة الأنيقة . الكرافتة الحمراء .. حتى الجورب الأحمر .. والكلام عن الحب شىء فى طبعه .. والحركات المعبرة جزء من تصرفاته ..

قلت للشاعر الذى جاوز الخامسة والستين وتغنت بمقطوعاته الملايين وراء أم كلثوم [١] ..

— هل لك أن تفتح لى قلبك بعض الشىء لأعرف ما هو سر شــبابك الدائم ؟

وسمعت قهقهة عالية لفتت الينا الأنظار قبل أن يجيب قائلا :

— لأنى أمارس الرياضة بالمشى كل يوم لمدة طويلة .

— وأين السيارة ؟

ورنت ضحكة أخرى وهو يجيب :

— منين أجيبها والستر من عند الله ..

الحب يحــرقنى

قلت لرامى :

— لم لا يتطور الشعر مع حركات التطور التى شملت كل مرفق فى

---

(١) ربيع ١٩٦٠ .

البلاد ولم لا نسمع أحد الشعراء وهو يتغزل فى مدخنة أو عاملة فى مصنع ؟

قال وابتسامته تغمر كل وجهه :

— الشعر أولا هو تعبير عما يشعر به الانسان ، والانسان دائما يستجيب لما تنفعل به نفسه ، ومن أجل ذلك سماه العرب شعرا لأنهم شعروا به . كل شاعر يتكلم عن بيئته ، ومفيش واحد يتكلم عن الغزل ولا يحب .. أبو فراس الحمدانى تكلم عن الحرب لأنه كان محاربا .. والشىء الذى لم أتخصص فيه لا أقدر أن أقول فيه شعرا .

— طيب وانت بتوصف الحب ازاى فى شعرك ؟

— أوصفه لما أجربه وألاقيه بيوجعنى ويحرقنى ..

— وكيف ومتى يحرقك ؟

— حينما يستجيب له قلبى أترجم الاستجابة بالشعر ، وأحيانا تستغرق المقطوعة شهرا أو شهرين من وقتى ، وأحيانا يوما واحدا ..

وانتقل الحديث مع الرجل الذى أفنى شبابه فى الشعر الغنائى ولم يرتو منه بعد ، الى نوع الأغنية التى تتردد فى الاذاعة فى هذه الأيام ؛ وكيف أن مستواها فى هبوط ، والى مسئوليته كشاعر غنائى قلت له :

والأغنية الآن ؛ ألا ترى أنها لم تعد نظيفة البناء والهدف ؟

قال رامى :

— زمان كان عبده الحامولى يلحن الأغنية ويغنيها ونفس ألفاظ الأغنية يعمل لها لحن آخر ، كان المغنون يرددون الأغنية الواحدة مع شوية نغبشة فى النغم .

أما الآن فمن أين لنا بالمعانى الجديدة ، وأين المؤلفون الذين يستطيعون مواجهة هذا العدد الضخم من المغنين وأشباههم ؟



رامى عندما يستمع الى أم كلثوم

سألته :

— وأى جديد تعتقد أنه طرأ على القصيدة العربية شكلا ومضمونا ؟

قال بعد فترة صمت وسرحان :

— أنا لا أعتقد أن هناك قديما وحديثا . التجديد يكون فى عدم المحاكاة ، التجديد فى الاحساس والمعانى والصور ، من أيام الأندلس فيه موشحات ومواويل ، وكل اللى استجد علينا هو المونولوج .

قلت :

— وأنت بوصفك شاعر الشباب هل تعتقد أن هناك حدودا فنية للشعراء المحدثين تميزهم عن الشعراء القدامى ؟

قال :

— نحن نعرف أن البارودى هو أول من نهض بالشعر الحديث . لقد بدأ حياته يعارض الشعراء القدامى ، وهذا اللون لا وجود له الآن ، أما اليوم فان الشعراء يطرقون معانى جديدة ويصورونها فى أسلوب جديد أيضا .

قلت :

— الجميع يعرفون عنك أنك تعالج — باستمرار — أحاديث الهوى فى شعرك ، فهل هناك دواع معينة ، أو هو صدى لتجارب وقعت فعلا ؟

وابتسم رامى ابتسامة تحمل أكثر من معنى وهو يقول :

— أنا أعتقد أن الشعر هو ما شعرت به ، ثم الحب نفسه أعتبره من طبعى ، والحب أنواع ، فمنه الحب الذى يوجع القلب ، ومنه الود ، والرعاية والذكرى ، وهذه معان انسانية سامية يطيب فيها الكلام .

قلت له :

— اسمع هذه الأبيات ، وهي من مقطوعة لك تغنيها أم كلثوم :

هجـــرت كل خليـــل لى   وفضـلت عايش مـع روحى
أحسن يبـــان شيء فى عنى   من كتر خـــوفى على روحى

— مم كنت تخاف على روحك ؟

— من عين الحسود . احنا المحبين دايما نخاف نتكلم فى رضا الحبيب خوفا من الحسد ..

المبسوط لا يضحك

ورأيت أحمد رامى يترنم ببعض أبيات قصيدة له ، ولمـا طالبته بأن يسمعنى شيئا منها قال :

— لو أن الانسان يصور سعادته ورضاه عن حبه كما يجب ، فانه لا ينتهى من حسد الناس . انه يصور موضـــوع الشكوى ، وعند الشعراء المبسوط لا يضحك ، اللى يضحك هو المحروم .

— ألست القائل :

كيف مرت على هواك القلوب   فتحيرت من يكون الحبيب ؟

ألا ترى أن فى هذا التساؤل منتهى الغيرة والحرمان ؟

ولمحت عينيه تختفيان وراء الضحكات العالية وهو يقول :

— أحيانا أحس بالغيرة والحرمان فلا يخفف لوعتى غير الشعر ..

قلت لرامى :

— ومتى تهبط عليك شياطين الشعر ، وهل لك شيطان معين كما روى شوقى على لسان الأموى شيطان قيس فى مجنون ليلى ؟

ألم تعلمـوا أن لى صـاحبا   من الانس أحكم فى شـعره
أجل أنت توحى له ما يقـول   وتقـذف ما شـئت فى فكره

قال :

— قطعا . فيه حالة غير طبيعية تنتابنى حينما أنظم .. ولكننى لا أنسبها الى الشيطان ، بل الى ملاكى الحارس هذا الملاك الذى أشعر بأنه يوحى الى فقرات الشعر بما يشبه البرق الخاطف أو الخطرات ، ولو كانت غير ذلك لقبضت عليها ..

ومضى رامى يقول :

— مرة واحد من أولادى سألنى مالك يا بابا ، ووقتها كنت سارحا كمن غاب عن وعيه ، ومرة قالت لى أمى وهى ترانى وحيدا فى غرفتى أتمرغ على الأرض دون وعى : ربنا يتوب عليك من الشعر . وأنا فى الغارات اللى فاتت — أيام الاعتداء على بلادنا — تصادف أن خرجت من بيتى فى حدائق القبة ، وكنت مشغولا بنظم قطعة غنائية ، وفجأة حدثت غارة ، وأنا لا أضطرب من شىء قدر اضطرابى من الغارات ، ومع ذلك وقفت أنظم لأنى ساعتئذ كنت فى حالة غير طبيعية .

وقلت له :

— أتعنى أن ساعات الالهام لا يحددها مكان أو زمان ؟

— أبدا . أنا لا أنظم فى النور ، ولا أكتب الا اذا كان خافتا ، واذا ألفت حاجة أغنيها من أولها لآخرها ، أفضل أزن وأتقلب شمال ويمين لغاية ما أنتهى منها ، وفيه من الشعراء من يمتاز بالغرابة عندما ينظم . مثلا : « كيتس » — الشاعر الانجليزى — كان يدهن فمه بالفلفل ، و « جبرائيل دانزيو » كان يلبس حريرا وقت النظم ، ولكل شاعر طريقته ما دام مطبوعا .

انغامى مع هيصة الناس !

— وما هى الأماكن التى تفضلها عادة وقت النظم ؟

— أحسن قصائدى نظمتها فى الترام ، أو على شاطىء النيل ، عشان لما أغنى محدش يسمعنى ، وعجل الترام والهيصة بتاعة الناس لا تشغلنى أبدا ...

خلوتى فى غمرة الناس ، وأنا أشعر أننى لست معهم وان كنت بينهم .. ساعات أرد على زوجتى ردودا منافية لأسئلتها ، فتعرف أننى لست معها فتنصرف الى أن أعود الى نفسى !

— وهل تشعر بلذة وأنت مع نفسك ؟

— بل قل منتهى اللذة حينما أرانى مع نفسى وحيدين لا ثالث بيننا ..

وانطلق رامى على سجيته يروى لى مغامراته مع الحسان ، وكيف تهفو نفسه الى الجمال فى مختلف صوره وألوانه ، شأنه شأن الشعراء الذين يهيمون وراء كل شىء جميل ، حتى وراء الرائحة الزكية . ووجدتها فرصة لأسمع رأيه فى بعض زملائه الشعراء المعاصرين ، وبالذات المحدثين منهم فقلت :

— ما رأيك فى الشعر الذى لا يتقيد بوزن ولا قافية ؟

وبدت على ملامحه علائم الاشمئزاز وهو يقول :

— ان الشعر الذى لا يتقيد بوزن ولا قافية ، لا أسميه شعرا . وهؤلاء الذين لا يتقيدون بالوزن ولا بالقافية يعتبرون أنفسهم مجددين فى غير نظام ولا قواعد ، وما الذى يدعوهم الى الهروب من القواعد ، وليس فى العالم لغة أوسع من اللغة العربية .

ورأيته يتحمس وهو يقول :

— لسان العرب فيه ٢١ جزءا والشعر شعور ، وكل الشعراء — حتى الشعراء الانجليز — يتخيرون اللفظ والمعنى ، أما هؤلاء الشعراء الذين يعتبرون أنفسهم محدثين فلا يتخيرون المعانى أو الألفاظ ، فهم يعالجون أغراضا لا يصح أن يتناولها الشاعر ، زى واصف « الغسيل الوسخ » .

ان الشعر لابد أن يخرج عن الواقع ، وهذه المبالغات هى التى تجعله جميلا ، فلماذا لا يتقيدون بالوزن والقافية ويدخلون فيها الجديد من المعانى والصور ، احنا عندنا ٢٥ بحرا من الشعر ، منها ١٦ بحرا من البحور الأصلية ، والانجليز عندهم ٥ فقط .

* * *

وأوشكت الشمس أن تغيب ، ورأيت الشاعر الغنائى الكبير يتطلع الى النيل الحالم وكأنه يستقبل احدى عرائس الالهام فقلت له :

— وملاكك الحارس ، ألم تسمعه يهتف فى أذنيك بشىء الآن ؟

فأجاب بعد فترة صمت حالمة :

— بلى .

— وما هذا الشىء ؟

— اللقاء الخاطف .

— وماذا قلت فيه ؟

أو كلما عرضت بقربك خلوة ... مرت على خوف أو استعجال
لم أدر ما طيب اللقاء وأنسه ... ما دام قد خطر الفراق ببالى
نجواى ألفاظ تذوب على فمى ... من غير أن أحظى برد سؤالى
وتطلعى لبهاء وجهك خلسة ... أرضى بها خوفا من العذال



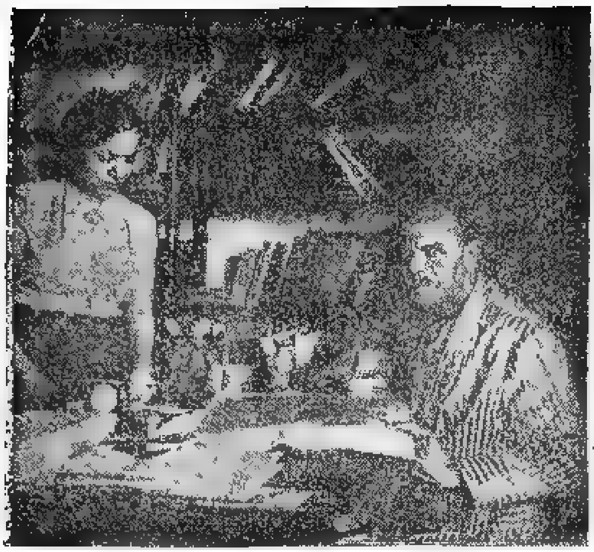
الشيخ أمين الخولى والدكتورة عائشة عبد الرحمن وبينهما طفلتهما الأولى

قوة وصلابة وذكاء ومنطق أخاذ وجدل موضوعى ..

هذه هى عناصر شخصية الشيخ أمين الخولى .. الرجل الذى نادى بأن أدب مصر هو الذى ينبع عن طبعها فى مكوناتها الخاصة وفى مكونات الأمة العربية بصفة عامة .. انه حين نادى بذلك هوجم دون ادراك الى حقيقة « المنهجية » التى يؤمن بها .

وكأى أستاذ مخلص انصرف الى تلامذته عن الانتاج الكتابى الا فيما ندر ، وهذا النادر الذى له يكشف عن العقل الذى ينظم ، والفكر الذى يشعر والأسلوب الذى ينبض بعراقة وبحرارة وببصيرة .

عندما تزور الأستاذ أمين الخولى يستقبلك حفيده على باب الفيلا الأنيقة التى بناها فى مصر الجديدة .. ويقول لك جدى فوق .. فى الدور الثالث ..



الشيخ أمين فى مكتبته الخاصة
مع الدكتورة عائشة

وهناك يعيش الرجل الذى أمضى ربع قرن [1] وهو يعلم الأدب فى جامعة القاهرة ، الشيخ الذى يلعن العمامة ولابسيها كلما اضطر لتغيير الشال .

والذى يقول : انها ليست صالحة لا للعمل .. ولا للجو .. ومع ذلك لا تفارق العمامة رأسه الا حينما ينام أو يغادر مصر الى الخارج .

كان يلقى محاضراته فى الادب المصرى فى كلية آداب القاهرة .. وأثناء احدى المحاضرات دخلت الطالبة عائشة عبد الرحمن لتستمع اليه ..وبعد أن انتهت من الماجستير تزوجها .

وتحدث أمين الخولى عن الأدب .. والأدباء .. والفن والاذاعة وقال رأيه بصراحة فى خريجى كليات الآداب هذه الأيام .. وتحدث عن زوجته الدكتورة بنت الشاطىء الأستاذة بكلية آداب عين شمس والتى ما زالت تعيش فى دنيا الحريم .. حتى الآن !

---

(١) فبراير ١٩٥٧ .

لم افكر فى الانتحار بعد !!

قلت للشيخ الذى يبلغ من العمر ٦٩ عاما :

— كم سنة عملت فى الجامعة ؟ .

— ربع قرن !

— كم لغة تتكلم ؟ .

— الألمانية والايطالية ، والأسبانية ، والفرنسية ، ولعلى أجيد العربية .

— لماذا احتفظت بالعمامة ولم تستبدلها كطه حسين ؟

قال بالحرف الواحد :

— أنا لست متمسكا بالعمامة وانما مثلى فى لبسها مثل الرجل الذى مهما ضايقته الدنيا لا ينتحر .. لأن الدنيا أهون عنده من أن يدبر للخروج منها ، فأنا ألبس العمامة لأنى أرى أن الاهتمام بخلعها اهتمام بشىء تافه .. أنا ألبستنى الظروف العمامة وعرفت بها فأصبحت أشعر أن الاهتمام بتغييرها — هو كما قلت — اهتمام بشىء تافه .. ومسألة الزى عندى يجب أن يتحكم فيها شيئان لاغير .

* أولهما : العمل الذى يمارسه الانسان فيلبس ما يسبغه عليه وتكون مباشرته لعمله سهلة .

* ثانيهما : الجو ، فألبس من الزى ما يناسب الجو الذى أعيش فيه .. وآسف لأن الزى عندنا لا يتحكم فيه هذان الاعتباران الأساسيان ..

والعمامة بالذات ليست صالحة لا للعمل ولا للجو .. وطالما لعنتها ولعنت لابسيها كلما اضطررت — وأنا مستعجل — الى أن أجلس

لأغير الشال .. وألفه على ركبتي لفة مضبوطة .. أو غير مضبوطة .. فأغـــيرها !

وأخسر بذلك من الوقت ما هو أثمن بكثير من أن أضيعه فى لف القماش على الطربوش !

وقد فكرت — قديما — أن أغـيرها تحت تأثير العـاملين الجوهريين وهما العمل والجو ، ولبست فترة قصيرة غطاء رأس عسكرى الشكل مع ادخال تعديلات عليه ويمكن من تغطية الرقبة وتظليل العينين ولكن حرمت على الأوامر العسكرية لبســها ، لاشتباهها بالأزياء العسكرية — فى ذلك الوقت — فلم أر معنى للبس الطربوش ، ولا حتى القبعة لأنه ليس فيهما ما يحقق المعنيين المطلوبين من العمل والمصلحة !

— ومتى تخلعها ؟ .

— عند النوم .. وعند سفرى للخارج !

حب بنت الشاطىء

— كم مرة تزوجت ؟ .

— اعتزمت كتابة حياة زوج أودعه — بكل صراحة — تجاربى فى الحياة الزوجية . لأنى جربت الزواج من قروية .. كما جربت الزواج من ناظرة مدرسة .. ومن دكتورة جامعية !

— متى فكرت فى الزواج من بنت الشاطىء ؟ .

— بين سنة ٤٠ أو ٤١ .

وبسرعة قالت بنت الشاطىء :

— دى أسئلة اسمها فى القانون أحوال شخصية واذا كان الجمهور مولعا بهذا النوع فالصحافة هى التى دفعته الى ذلك !

— والشيء الذى تحبه فى بنت الشاطىء ؟.

— شخصيتها الأدبية .. التى تلتقى مع شخصيتى عند أهداف الأمناء .. ولعلها تخل بهدف هام من أهداف الأمناء فنختلف عليه أحيانا .. فى مصر وفى الخارج .

— متى تثور أعصابك ؟.

— اثارة أعصابى ليست سهلة .. أحب دائما أن أضع الأشياء الى جانبى لا فوق رأسى !

— كم سيجارة تدخن فى اليوم ؟.

— أعفـــر !

— وأول كتاب أو كاتب تأثرت به ؟.

— لا أستطيع أن أعين شيئا بذاته .

— وآخر ما قرأت ؟

— التعبير الموسيقى .

طه حسين فى مكان عال !

— من أقرب الأدباء الى قلبك ؟

— افسح مكانا فى قلبى لكل أدب فنى . وليس كل انتاج الأدب فنيــا دائما .. فقد أفسح المكان لأثر أدبى أكثر مما أفسحه لشخص بعينه .

— هل لطه حسين مدرسة ؟ وما رأيك فى شخصيته ؟.

— نعم له مدرسة لها أسلوبها الخاص فى التناول الأدبى .. وطبعها .. وتمييزها .

أما شخصيته فهى من الوضوح والقوة والتأثير فى مكان عال .. وظلال تلك الشخصية قد انعكست على الجيـل الحاضر انعكاسا لا يمكن انكاره .. وأرجو ألا أكون قد ظلمت لأشتهر بالعدل فخفت أن أتأثر بصداقتى القوية وزمالتى الطويلة — بل بحبى الشخصى — للدكتور طه فاقتصدت فى التعبير . خشية الاتهام !

الأستاذية ليست وسيلة للارتزاق !

— ما عدد مؤلفاتك ؟ .

— كنت — كأستاذ جامعى — أعطى كل قواى للدولة فليس من حقى أن أفعل ما قد يفعله بعض الناس أحيانا من جعل الدرس وسيلة للكسب عن طريق الكتب أو المحاضرات !

— كم يبلغ ايرادك من مؤلفاتك ؟

— غالبا ما أعطى كتبى لتلاميذى يطبعونها . ولهم كل الحرية فى تصريفها . ولن يكون فى نيتى أن أعتبر الكتب مصدرا للارتزاق .. ومن أول هدف الأمناء عدم الارتزاق بالفن .. فان الفنان اذا أجر ليفعل كذا لا يمكن أن ينتج عملا فنيا .

ويؤسفنى أن أقول أن بعض أساتذة الجامعة حينما يتكلم فى موضوع ما فتلوح له فكرة يمسك عن الحديث فجأة ويهمس . دى تنفع مقـالة ؟ !

وأنا — كمدرس — أعطى وقتى للدولة لأنى أعتبر نفسى كنحلة

فى خلية الدولة الا أنى — رغـم ذلك — نشرت كل ما نشرت من مؤلفات ، ولم يجعلنى أقبل على نشره الا لأنه — فى تقديرى على الأقل - مثل وشاهد لخطوة منهجية مثل خطـوات تصحيح منهج الدراسة الأدبى وهكذا تجد كتاب فن القول هو المحاولة التجديدية التى أريد بها جعل البلاغة فنية .. ومثلا كتاب رأى فى أبى العلاء كان خطوة لتصحيح دراسة الشعراء .. والأدباء دراسة نفسية وكذلك مثلا كتاب مالك بن أنس .. كان مثلا — فيما أقدر — لفن الترجمات أو لكتابة الترجمات للأشخاص .. وكذلك كتاب الأدب المصرى كان كما ورد فى عنوانه فكرة منهجية لشرح نظرية الاقليمية فى الدراسة الأدبيـة .

— وأحسن وقت للانتاج عندك ؟ .

— الساعة اتنين .

— وبنت الشاطىء ؟

— أحسن وقت عندى حين يتوافر الهدوء فى أى ساعة من ساعات النهار أثناء غياب الأولاد فى المدرسة .. وبحكم الضرورة أمضى الساعات من ٩ الى ١ مساء فى البحث والتأليف ..

بنت الشاطىء .. فى الحريم !

— من الذى يستقبل الضيوف ؟

وقالت بنت الشاطىء :

— الأستاذ أمين هو الذى يستقبلهم .. لأنى ما زلت أعيش فى الحريم .. ولا أسلم على الضيوف الا بعد اذنه !

— وطلبة الجامعة كيف تواجهينهم فى المحاضرات ؟

— دول حاجة تانية زى أبنائى .

— يقال أن خريجى كليات الآداب فى السنوات الأخيرة — ليس عندهم ملكة تصور .

الأساتذة غير مصممين على تأدية مهمة الأستاذ الجامعى الذى يصنع الرءوس ؟

وقالت بنت الشاطىء :

— الرغبة لا تعوز الطلبة !

على بلد المحبوب !

— هل تشاهد الأفلام السينمائية ؟

— بندرة .. وأفضل الحفلة المسائية ، وكثيرا ما أنام أثناءها !

— كم رسالة تتلقاها من أصدقائك ؟

— سكرتيرتى غير منظمة .. والذنب على زوجتى الدكتورة بنت الشاطىء .

— هل لك أصدقاء من الأدباء العالميين ؟

— صلاتى بالعلماء الغربيين أكثر منها بالأدباء نظرا لما للثقافة الاسلامية من نصيب فى كيانى العقلى !

— وأحب أغنية اليك ؟

— على بلد المحبوب .. لأم كلثوم لأن فيها ألفاظا تثير ذكريات ومشاعر ريفية أصيلة .

وتعجبنى أيضا القصائد التى تتضمن معانى وجدانية أصيلة .. لا تتكلف العبارات المرصوصة .. وأذكر — على سبيل المثال — وطنى أحببتك يا وطنى .

الاذاعة .. مشكلة :

— لماذا لا تلقى أحاديث اذاعية ؟

— ليس عندى قابلية نفسية لأن أذيع .

— ورأيك فى الاذاعة ؟

فأجابت بنت الشاطىء :

— احنا خايفين على أولادنا من ركن ساعة لقلبك !

وكان من الممكن استثمار الاذاعة لأوسع نطاق لخير البلد .

ولكن هل تفعل ؟ . دى مشكلة !

— هل تؤمن بالقدر ؟

— لا أستطيع انكاره ! .

— ما هى الأحداث التى مرت بك ؟ .

— أهمها ما كان فى سبيل حرية الفكر . وما كان فى سبيل الدفاع عن الكرامة وأزمات كهذه فى العمل الحكومى كثيرة .

— ومستقبل الأدب ؟ .

— أنا واثق بمستقبل الأدب ثقتى بمستقبل النهضة المصرية مهما تتعثر .

— من الذى يعد لك طعامك ؟

— بنت الشاطىء .

وقالت بنت الشاطىء :

— انه لا ينتظرنى .. انه يلتهم الطعـــام قبل أن ألحق به .. وأنا مشغولة فى المطبخ .

— والطبـــاخة ؟

— سافرت الى ألمانيا . قبل الاعتداء الاجرامى على مصر ، ولم تعد بعد .

— وما هى السعادة ؟

— السلام النفسى !

ان عائشة عبد الرحمن زوجة الشيخ أمين الخولى بدأت مدرسة ريفية لا تملك الا طموحا واصرارا على الحياة وبهذا الطموح وذلك الاصرار ذللت كل ما صادفها من عقبات .. فتتحول الى الجامعة ، وفى الجامعة تبرز وتبذ أقرانها بذكائها الحاد وطلاقتها المستحبة فتكون الى جانب الدكتورة سهير القلماوى نمطا آخر من القدرة النسائية ، وتستطيع بجدها وبذكائها أن تظفر بالدكتوراه ثم بالأستاذية فى احدى الجامعات ..

وانها آمنت بدور المرأة فيما سجله التاريخ فعكفت على الأعلام البارزة فيهن وسجلت لهن أعمق تجاربهن التى خلقت منهن رائدات ومرشدات .

وأما بنت الشاطىء الأديبة الناقدة بجريدة الأهرام فأرق من أن تصدم الأذن بتقريرات تشبه تقريرات العالمة الأستاذة . وانما هى تصدر عن طبع موات وصدق جميل وقوة هى قوة التجربة الانسانية التى تعيشها والتى تعبر عنها بصدق وايمان .

إلياس فرحات



فى حديقة الأزبكية عندما زار القاهرة لأول مرة
بدعوة من الجمهورية العربية المتحدة فى مارس سنة ١٩٦٠

تفتحت عيناه على أجمل ما فى الوطن العربى كله .. على طبيعة رائعة شهر بها لبنان ، وامتدت اذناه لتسمعا وشوشات الناى وأغانى الجبل ، فلما رحل مهاجرا الى البلد البعيد وراء البحار كان يحفظ كل شبر فى بلده .. وكل نغمة تغنيه .

ولد سنة ١٨٩٣ أو نحوها .. فهو لا يقطع بهذا التاريخ ، وطرق أرض المهجر عام ١٩١٠ وهو فى السابعة عشرة .. ! يحمل ذلك القلب المثقل بالآمال والآلام .. وتفتحت شاعريته على قصائد غنائية تصور حنينه وترصد

لأمانيه ، وترسل النغمة عاتية على الأتراك الذين شددوا الوطأة على وطنه . حتى اذا أقبلت سنة ١٩٢٥ كان قد أعد المجموعة الأولى من قصائده فأصدرها فى ثوب مجتمعى يسجل فيه أصدق المشاعر الانسانية ، وكانت هذه القصائد هى الخطوة الأولى نحو ميله الى مجتمعه الأكبر .. المجتمع العربى بمعناه الذى ندعو اليه هذا اليوم . لقد حرص المؤلف فى هذا الديوان على أن يمجد وطنه ، الا أن شاعريته هدته الى أن هذا الوطن جزء من الوطن الكبير فتبلورت فكرته وتحددت معالم فلسفته ، واذا دواوينه التى يصدرها بعد ذلك فيها هذا النغم العربى الرشيد . وفيها هذا الهتاف بالقومية العربية ، وفيها تلك الرغبة فى مجتمع عربى له هدف عربى وبه كل ملامح العرب .

لقد رسم — فى غربته — معالم هذه القومية العربية .. وتغنى بها فى قوة ودعا اليها فى قوة ، على مستوى أكبر شعراء العرب . وبمعان ربما لم يصل اليها شاعرنا القديم أبو الطيب المتنبى .

والحق أن الياس فرحات فيه عرامة المتنبى وفيه حدته وفيه هذا الأمل الدفاق فى مجتمع عربى يحكمه عرب ولا يستطيع أن يطرقه دخيل .

كل ذلك فى اطار تقليدى وبثوب كلاسيكى تحدده روحه المتوثبة اليقظة .

هذا هو أحد شعراء العرب فى المهجر أنه صيحة عربية للحرية والانطلاق والقوة والمجد .

شاعر على مستوى المتنبى انه — كما قلت — يملأ فمه بالشعر بدلا من الكلام !

أصله من كفر شيما فى لبنان . أما جوليو التى تزوجها قبل ٣٩ سنة فانها من البرازيل ، وأصلها عربى . وهو جد لسبعة أحفاد ، ومن أبنائه المحامى وخبير أجهزة الطيران ويعيش فى المهجر منذ خمسين عاما !

كان فى السابعة عشرة ، وكان لبنان الشقيق خاضعا للحكم التركى ، وكان يشعر بوطأة ظلم الأتراك ، الى جانب الشعور بحب الحرية والانطلاق والتمتع بالخيال الخصيب مما صور له الحياة فى المهجر سعادة دائمة ، وثروة هائلة ، فأبحر اليه فى عام ١٩١٠ !

وأقام فى « بيلو اوريزونتى » من أجمل قرى البرازيل ، وتعريبها « الأفق الجميل » وكان يتجر فى العينات من البضائع ، واشترى بيتا وباعه قبل حضوره لزيارة القاهرة (١) ليغطى نفقات رحلته .

قلت :

— وأولادك كيف تركتهم ؟

قال :

— كلهم كبار يقيمون فى مساكن خاصة بهم ، ومجموع ما أنجبوه من الأبناء سبعة .

وسمعته يضحك وهو يقول :

— يعنى أنا جد عتيق !

— ومتى تزوجت ؟

— تزوجت وعندى ٢٧ سنة .

---

(١) مارس ١٩٦٠ .

— وكم عدد دواوينك بعد الزواج ؟ .

قال :

— ما بعرف كيف عددهم !

ان تاريخ فرحات يؤكد أن ديوانه الأول صدر تحت عنوان (رباعيات فرحات) وقد ضمنه أقوى مشاعره نحو المجتمع والحياة ! .

ولم يخل ديوانه الثانى الذى أصدره سنة ١٩٣٢ من تمجيد القومية العربيـة وذكرى الحب والألم والحنين الى الوطن ، وتمجيـد العـزة والكرامة ! . وكأى شاعر مرهف الحس والوجدان . أحب فرحات بنت الجيران فى صغره .

قلت له :

— والآن وبعد أن تجاوزت السابعة والستين ، أما تزال تذكر بنت الجيران أمام زوجتك ؟

وضحكت جوليو وزوجها يجيب :

— شخنا ما عدنا نخاف !

قلت له :

— وماذا قلت فى جوليو بعد وقوعك فى حبها .

قال وهو يتطلع الى عينيها :

سـكرت بعينيك منـذ الأزل   وهل أنا فى سـكرتى لم أزل ؟

* * *

وحينما تسأل فرحات عن أصدقائه الأجانب فى قريته «بيلواوريزوتتى» وكيف عقد الحب بين قلبه وقلوبهم تسمعه يقول لك :

يقولون لى صادق فلانا فانه　　　أخو نجدة يرجى لساعة ضيق
فقلت لهم هذا صحيح وانما　　　عدو بلادى لن يكون صديقى

ان هذين البيتين يكشفان عن حقيقة فرحات ومبادئه وعزة نفسه .

قلت :

— وعلاقتكم بالشعراء فى الجمهورية العربية ؟

قال :

— نحب أناشيدهم باللغة الفصيحة فقط ، ونحب نشيد « الله أكبر » كنا نسمعه فى اذاعة صوت العرب فنشعر بالتجاوب معكم .

وفجأة رأيته يثور على اذاعتنا وعلى الأحاديث التى تتردد فيها باللغة العامية قائلا :

— ان اذاعتكم تستعمل العامية ، حتى فى الأحاديث والندوات التى يعقدها بعض رجال الجامعات والأساتذة الكبار ما يفرق بين العرب .. ان الأساليب العامية وسائط للتفريق .. المفروض فى ثورتكم أن تسعى للوحدة ، وأكبر أداة فى يدها هى الفصحى .

ومضى بنفس الحماسة يقول :

— اننى أطالب المسئولين فى اذاعتكم أن يخصصوا يوما واحدا فى الأسبوع لاذاعة الأغانى العامية ، وأياما للغة الفصحى ، ويوما للشعراء المجيدين .

سألته : وما هى أحب قصائدك الى قلبك ؟

فأجاب بسرعة :

— التى أقول فيها :

فيم التقاطع والأوطــان تجمعنــا ؟
قم نغسل القلب مما فيه من وضر

ما دمت محــترما حقى فأنت أخى
آمنت بالله أو آمنت بالحجـــر

توفيق الحكيم



توفيق الحكيم .. فى لحظة تفكير .. وما أكثر لحظاته!

وأخيرا جدا ها هو عصفور الشرق .. ها هو توفيق الحكيم الذى حار الكثيرون فى فهمه ! انه جالس أمامى وراء مكتبه المتواضع [1] ، والى جواره عصاه التى لا تفارقه وشاربه الكثيف الذى غزاه الشيب وانتصر عليه كما انتصر على شعر رأسه ! وأمامه تصطف ثلاثة كراسى وكنبة من الجلد .. ومحمود يوسف سكرتيره الخاص وظله الذى لا يفارقه بابتسامته المطبوعة على شفتيه ..

عشرة أيام قضيتها فى البحث عن الرجل الحائر بين مجلس الآداب والفنون وجاردن سيتى وجروبى وسميراميس ، ولاباس ..

وفى هدوء كهدوء الحجـرة التى اختارها مكتبا له بمجلس الآداب والفنون تحدث الى صاحب عودة الروح .. الذى بكر فقدم فيها احدى ثورات شعبه الأول ..

كان حريصا جدا وهو يتكلم .. كان يزن الكلام بميزان البخيـل ، و « يفرز » عباراته فى تردد وحيرة ، وكأنه يعد النقـود ! وكأنه يخشى أن يتورط بكلمة زائدة .. أو يبوح بسر خطير !

وفجأة رأيته يثور وهو يتناول الذين اتهموه بحلق شاربه قائلا : —

— ان الصحافة تخلق شخصية لتوفيق الحكيم لا علاقة له بها .. انهـا نشرت لى صورة أبدو فيها بلا شارب .

وسمعته يتساءل :

— لمـاذا ؟

(١) ربيع ١٩٦١ .

ومضى يعقب على « أخبار اليوم » التى وقعت فيما وقعت فيه جريدة الأهرام ...

ويسألنى :

— كيف وصلها الخبر ؟ ..

قلت :

— ولماذا لم تكذب النبأ فى اليوم التالى ؟

وابتسم الحكيم ابتسامة عريضة وهو يقول :

— اذا تكلمت قالوا : بيعمل دعاية لنفسه ، واذا سكت قالوا : ساكت عشان يعمل دعاية برضه .. وأنا فى حيرة !

ومضى يقول :

— أنيس منصور بيقول : اننى أهرب من الناس .. وفى ذلك نوع من الدعاية لأن الناس يفضلون الرجل الغريب الصامت المجهول الذى لا يعرف هذا الشيء الذى يبحث عنه فوق رأسه .

قلت :

— عاوز أسألك ليه أكثر مسرحيـاتك مستوحاة من الأساطير القديمة ؟

قال :

— الحقيقة المسرحية ما يزال طريقها غير معبد لأنها عمل فنى جديد على بلدنا . ولهذا فلا مفر من ادخالها فى قالب قديم ، لكن الفكرة والتجربة التى أتناولها دائما جديدة وانسانية .

سألته :

— أعلى هذا الوضع ألفت أهل الكهف ؟



توفيق الحكيم .. مع قطين من أحب قططه الى قلبه

أجـاب :

— نعم انها الصراع بين القوى الداخليه : العقل والقلب .. العقل الذى يشك والقلب الذى يؤمن .

قلت لصاحب المسرح الذهنى :

— لقد هاجموك فى جريدة الجمهورية ، فلم لم ترد الهجوم ؟

قال — بعد تردد واضح : أنا لا أرد على من يهاجمنى أبدا ، لأنى أتيح له فرصة ليظهر .. وأنا لا أقبل ذلك .

قلت :

— هل نتطوع بالرد نيابة عنك ؟

قال :

— لا تعط أحدا فرصة ليظهر بسبب الهجوم على توفيق الحكيم .

قلب الحكيم

ان توفيق الحكيم سجل فى قصصه ألوان حبه .. أما حبه الكبير الذى انتهى بزواجه فانه ما يزال محتفظا بتفصيلاته داخل قلبه .

لقد أحب توفيق وهو فى باكورة العمر العالمة « لبيبة شخلع » ويبدو أن اتصاله بالفن بدأ يوم أن عرف تخت العوالم حينما زارت شخلع أسرة الفنان الصغير توفيق أو « محسن » كما عرض لذلك فى عودة الروح ، ان شخلع استولت على مشاعره حينما كانت ترقص فى بيت جده وهى شبه عارية ،

وحينما يخطو توفيق الى الخامسة عشر نراه يتناول فى عودة الروح لونا آخر من ألوان حبه ويتمثل هذا الحب فى « سنية » التى رآها الأول مرة من ثقب الباب عندما كانت تزور عمته .

وفى عصفور من الشرق يروى لنا مغامراته مع باريسية حسناء كانت موظفة فى سينما تصرف التذاكر للمتفرجين ، وكيف اشترى لها بغبغانا يردد لها كلمة « أحبك » .

ويعود الى القاهرة ليقع فى حب ثالث ورابع .. وهكذا الى أن يدخل عصفور الشرق قفص الزوجية الى الأبد !

التقدير الرسمى

ولقد كرمت الدولة توفيق الحكيم مرتين .. الأولى حينما منحه الرئيس جمال عبد الناصر قلادة الجمهورية ، والثانية حينما فاز بجائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦١ ، ولقد رشحته جامعة القاهرة وجمعية الأدباء لجائزة العمر . وتحتفظ سجلات المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون بتقرير مشرف للحكيم يقول :

« انه فى طليعة أدبائنا الذين عنوا خاصة بالأدب المسرحى . وقد وهب له فنه وابداعه وأصالته ، وهو الرائد الأول للمسرح العربي المعاصر .

ويتميز انتاجه بمعالجة الأفكار الوطنية فى عمل أدبى قصصى أو مسرحى، مما كان له أثر بعيد المدى فى اذكاء روح الكفاح ، وتنمية الوعى القومى .

كذلك عالج القضايا الاجتماعية التى تمس حياة الشعب من ظلم وفساد وفوضى وغيرها كل ذلك فى اطار فنى يضفى عليها حياة وقوة وأصالة ، سواء فى السرد أو فى الحوار .

وله ميزة أخرى فى مسرحياته مما يمكن أن يسمى المسرح الذهنى الذى عالج فيه كثيرا من القضايا الانسانية فى صورة ذهنية رائعة .

والى جانب هذه الميزات النوعية لانتاجه ، فانه انتاج غزير ممتد على حقبة طويلة من تاريخنا الحديث تبلغ نحو ثلاثين سنة ، نفذ فيها هذا الانتاج الى جميع المستويات الثقافية فى الجمهورية العربية وفى سائر العالم العربى،

كما ترجم كثير من مؤلفاته الى لغات أجنبية ، ومثل على مسارح البلاد التى تتكلمها ، وقوبل من جماهيرها ونقادها بما يشهد للمؤلف بمقدرة انسانية ممتازة تجعل أعماله موضع التقدير فى بيئات تختلف عن البيئة التى ظهرت فيها كتاباته أولا .

الحكيم .. واللامعقول ـ

ويوم التقيت بالحكيم [1] وهو يشاهد البروفة النهائية لمسرحيته « يا طالع الشجرة » كشف لى عن سر اتجاهه الى مذهب « اللامعقول » فى هذه المسرحية وفى اختها « الطعام لكل فم » قال :

— اننا عندما نحاول أن ننشىء فى بلدنا فنا وأدبا من الطراز المسمى باللامعقول فانما نحن نستمد هذا الفن من منابعه .. وبضاعتنا ردت الينا .. لأننا نحن الأصل فى هذا المنبع .

ومن الحديث عرفت أنه يفرق بين مسرح اللامعقول وبين مسرح العبث ، فهو يعتمد على واقعنا نحن .. لا على تقليد كتاب أوربا من أمثال « بيكيت » و « يونيسكو » .. حيث مسرحهم يقوم على فكرة ان العالم كله عبث لا جدوى منه فى حين أن مسرحه هو قد سماه اللامعقول .. لأنه لا يقوم على فكرة أن العالم عبث .. ولكن يتخذ فقط شكلا واطارا يمتزج فيه المعقول باللامعقول ..

ان لا معقول الحكيم ليس أساسه فلسفة عبث الوجود أو لا جدوى

---

(١) ربيع ١٩٦٣ .

من الحياة ، بل أساسه .. ايجاد شكل جديد نابع من فنوننا الشعبية التى اختلط فيها المعقول بغير المعقول من أمثال « يا طالع الشجرة هات لى معاك بقرة » ثم تطوير هذا الشكل بما يساير الفن الحديث فى العالم .

وهكذا نجد ان الحكيم دائما يتطلع الى مستقبل أفضل ..

ولقد حقق — فى جميع الميادين -- كل ما كان يتطلع اليه .

حسين فوزي



يجلس فى مكتبه الخاص عندما كان وكيلا لوزارة الثقافة والارشاد

فى أوائل هذا القرن أو فى السنين الخمس الأولى منه شهد أحد الأحياء الشعبية فى القاهرة ميلاد طفل صغير ، وتفتحت عينا هذا الطفل على « شعبية » فيها أصالة كل شعب قديم ، وفيها عمق تفكير كل شعب له ماض عريق ، ثم فيها حبه للحياة .. بما فيها من فن وفكر !

هذا الطفل هو حسين فوزى الذى درج فى أسرة متوسطة الحال متوسطة الآمال فنشأ ضائقا بالظروف .. قلقا .. يخاف المستقبل » ولكن عزيمته وأصالته وصبره ومساندة أبيه له .. كل ذلك دفعه الى أن يصل ، والى أن يكون طبيبا .

وكانت نشأته الأولى قد حببت اليه الفن ..و الموسيقى بالذات ، فشغف بها ! ثم يدفعه القلق والملل أيضا الى أن يرحل ويتخذ البحر القلق المضطرب مطيــة له ، ويزور ما يريد أن يزور من البلاد ويدرس ما يجب أن يدرس من العــادات والتقــاليد ويطبق ما يراه على ما يطلع عليــه فيؤمن بأن الانســان قيمة كبيرة ، وأن هــذه القيمة من حقها على كل حى أن يدرسها ويتعمقها .. ومن هنا تحول العالم الفنان الى فيلسوف فكان نمطا عجيبا لانسان ترك نفسه للظروف فلم تستطع أن تعبث به .

وفى صومعته يطيل التفكير فى هذا الانسان وفى قضاياه وفى مشاكله .. فوهب حياته لخدمته ، وبدأ بالانسان فى مجتمعه الصغير فصور له تجاربه فى كتب عميقة ، وبعث له شعبيته الأصيلة فى أكثر من عمل .. أهمها :

« ليل يا عين » التى قدمتها فرقة الفنون الشعبية .

هــذا الرائد الكبير الذى تجمعت الفنون كلهــا فيه والذى يعشق الموسيقى كما يعشق الأدب وكما يعشق الطب وصيد السمك وحياة البحر.. تجلس اليه فتجذبك صراحته ويفتنك انطلاقه !

وصاحب الصوت الذى يقدم لك السيمفونيات فى البرنامج الثــانى للاذاعة هو نفسه الطبيب الذى كان يعالج الرمد بين أهل الريف منذ ثلاثة وثلاثين عاماً .

وهو نفس الرجل الذى هرب من مهنة طب العيون الى جامعة السربون.. لدراسة التاريخ الطبيعى .. والأحياء المائية وعلوم البحار .. ثم الآداب والفنون ..

والكوكتيل الذى يجمع كل هذه الصنوف هو الدكتور حسين فوزى وشهرته — بين أصدقائه وقرائه السندباد العصرى ..

وقبل أن يصل الى وزارة الارشاد تقلب فى أكثر من منصب جامعى .. من أستاذ علم الحيوان الى عميد كلية العلوم .. الى أستاذ علم الأحياء الى وكيل جامعة الاسكندرية الى مدير لها بالنيابة .

قلت له : (١)

— لماذا غيرت اتجاهك فى الحياة أكثر من مرة .. وتركت مهنة طب العيون التى كانت تدر عليك المال ؟ .

فقال وشفته السفلى ممطوطة الى أمام :

— القلق الذى اجتاح نفسى منذ الصغر هو السبب فى كل ذلك ..

— وما سره .. هذا الشىء الذى اسمه القلق ؟ .

— الخطأ فى التوجيه أيام التلمذة .. لقد كنت ميالا بطبعى للأدب والفنون — مذ كنت بالمدرسة الثانوية — ولكن والدى كان يطمع فى أن يرانى طبيبا يشار اليه بالبنان ..

وشاءت الظروف أن تكون نهاية المطاف فى وزارة الارشاد حيث تهيم روحى بالفنون والآداب .

— وما الذى تهيم به روحك الآن ؟ .

— روحى هائمة حول البحر الأبيض .. وتعيش دائما حول شواطئه .. وأشعر عندما أخترقه أنه بحرى .. وأقوى ما عرض لى من هذا الشعور حينما عدت من المحيط الهندى ودخلت بنا الباخرة قناة السويس .. وما كادت تغادر القناة الى البحر الأبيض حتى شعرت أننى وصلت الى مهدى .. وحبى !

---

(١) اغسطس ١٩٥٧ .

وتطلعت الى الرجل الذى يضع السماعة على أذنه كلما وجهت اليه السؤال وقلت :

— وكيف كان حنينك الى زوجتك وأولادك بالقياس الى حنينك للبحر الأبيض ؟

— ليس لى أولاد ..

— والزوجة الأجنبية ؟ .

— لم تنجب منذ زواجنا .. بعد عودتى بها من فرنسا .. وذلك لأسباب فلسفية .

— هل من بينها الأسباب التى أعلنها أبو العلاء المعرى يوم قال :

هـذا جناه أبى على .. وما جنيت على أحد .. ؟

— يكاد يكون السبب الذى أعلنه أبو العلاء أخف وطأة بالنسبة لى فان انجاب الأولاد — فى نظرى — مسئولية كبرى .. ولا يحق لى أن أكون سببا فى خلق انسان يتحمل ما تحملت .. لأنى أعتقد أن تربية الأطفال مسئولية كبرى بعد أن شهدت المتاعب التى تحملها والدى من أجلى ..

— ومع أنها انتهت بنجاح كبير ..

كان من الجائز أن مجهوده يكون فى التراب ! وكان من الجائز أن ابنه لا يحفظ له ذكرى .. وخطأ أن يعتقد الناس أن القيد فى الزواج ، وانما القيد الحقيقى فى الأولاد .. مع أن الأسرة لا تتكون حقا الا بالأولاد .

وقلت لوكيل وزارة الارشـــاد .. والأديب الفنـــان .. الذى تجاوز الستين .. وما زال شعره فاحما ..

— وما غايتك من الاتجاه الى عدم انجاب الأطفال ؟ ..

وهل وجدت فى ذلك نوعا من الحرية .. والانطلاق ؟..

وعلى الفور قال :

— قطعا .. انها حرية .. وفلسفة تقابلها فى الجانب الآخر فلسفة القطط التى تشعر أنها خلقت لتربى أولادها ..

— يخيل الى أنكِ لا تحب القطط ..

— بالعكس .. أنا أحبها من كل قلبى .. ولا أستطيع أن أعيش بدونها فى البيت لأنها أهدأ الحيوانات مظهرا .. ويخيل لى أن القطط أقرب الى مظهر الفلسفة كما يقول علماء السيكولوجيا ..

— ربما لأنك ترى فى وجـــودها بالقرب منك ما يعوضك عن وجـــود الأطفال ..

— أعتقد أن من يحبون الوحدة يألفون الحيوانات والهررة بالذات .

— ومن أجل ذلك سجلت الكثير من حياتها وصفاتها فى كتبك .. أليس كذلك .. ؟

— نعم خصصت لها ١٨ صفحة من كتاب « سندباد الى الغرب » بعنوان « مقدمة بين القطط » .. وتناولت فيها مغامرات الهر الوقور « متو » وحرمه مدام « بلانشيت » وابنتهما (سليمة) التى ولدت فى منزلى . وعاشت معى لحظات التأليف والكتابة .

— تذكرت أنك كنت تناديها — فى أحاديثك — دائماً باسم ابنتك ..

أليس فى ذلك ما يؤكد حبك للأولاد .. مع أنك ما تزال ترى أن فى عدم انجابهم فلسفة ؟

— أظن ..

— هل تربية القطط هى كل ما يشغل فراغك .. ويرفه عنك ؟ .

— بل قراءة التاريخ والأدب والفلسفة والموسيقى .

أنا عاشق الانسانية

— وقبل أن تحب القطط .. كم مرة أحببت الآدميات ؟ ..

واعتدل الرجل فى مقعده وثبت السماعة على أذنه وقال :

— أنا رجل سألت نفسى هذا السؤال .. فوجدت نفسى عاشقا للانسانية . فقد اكتشفت أن أهم ما يعنينى هو الانسان .. وحبى للفن ، وللحضارة هو الذى دفعنى لزيارة العالم .. والحقيقة أننى متخصص فى دراسة الانسان .

— وشعورك بحب الأولاد ؟

— مستحيل . ولو أن هـذا شىء غير طبيعى .. وأنا والمـدام متفقان على ذلك .

لعن الله الاحتلال !!

وسكت الأديب الفنان — الذى يعيش مع زوجته سعيدا أكثر من عشرين عاما بلا أولاد ، والذى لا يرضى أن يلقاك فى منزله حتى لا تحسده أو تكتشف سر سعادته .. ثم تطلع الى .. وكأنه يبحث فى شىء بعيد عن مخيلتـه .

ثم قال :

— أنا من الذين نشأوا فى عهد الاحتلال .. وكان أبى مهندسا صغيرا فى ديوان الأوقاف — الذى يسمى وزارة الأوقاف الآن — ولم يكن له حظ من مال أو جاه .. وقد رأيت بعينى هاتين كيف وضع كل أمله فى تربيتى .. وحرم نفسه وكافح من أجلى سنين طويلة الى أن تخرجت من مدرسة الطب سنة ١٩٢٣ . كما سمعت بأذنى هاتين كيف كان المدرسون الانجليز يقولون لنا فى قاعات الدرس ، أنتم محتلون .. أنتم فى ذيل الأمم .. أنتم محتاجون الى أن تعملوا لتعيشوا .. وكنا نصدق كل ما يقال .. ويومها أصبت بتعاسة لما أفهمونى أن بلدى فى ذيل الأمم وبنفس مثالية تلقيت كل هذه المبادىء .. وعاشت فى أعماقى وبدون تفكير قررت أن أعمل .. وأرصد نفسى للخدمة العامة .. ولا أفكر لا فى أولادى .. ولا غيرهم ..

— وما الذى يعوضك عن حب الأولاد الآن .. ؟

— القطط والموسيقى بكل أنواعها ..

ليل يا عين

ومضيت أبحث عن أسئلة من نوع آخر .. أسئلة تتناول جوانب اختصاص هذا الرجل فى وزارته .. فقلت :

— هل تظن أن فرقة الفنون الشعبية قد نجحت الى الحد الذى رسمته لها ؟ ..

— نجحت نجاحا كبيرا ..

ومضى يتساءل :

ولكن ما هى آيات النجاح ؟. وفى نفس الوقت قال :

— هى لم تنجح لأن مناظرها مدهشة .. أو الرقص كان بديعا . وانما

نجحت — عندى — لسبب واحد هو أن كل من عمل فى هذه الفرقة كان مقدرا صعوبة المهمة التى وكلت اليه كان شاعرا بأنه أقل من أن يستطيع أن يؤديها الأداء الكامل .. كانوا كلهم يشعرون بالتواضع لا بالتفاخر . ولعل الفضل فى ذلك لم يكن لهم بل كان للنقاد الذين هاجموهم من أول لحظة — حتى قبل أن يروا بروفة واحدة — والظاهرة الأخرى استقبال الجمهور لهذا النوع من الفن كان استقبالا عجيبا حقيقة لما قدمت من صور صادقة للحياة المصرية الأصيلة فى الريف .. والحضر ..

— وأنت أين نشأت .. فى الريف أم فى الحضر ؟ .

فى حى الأزهر والجمالية .

— ومتى تسافر ليل يا عين الى الخارج ؟ .

— أكون من أسعد الناس لو سافرت الى الصين .. لأن عندها فنا شعبيا .. ولأنهم سيرون فنون شعب يحبونه ملء قلوبهم ..

— هل تسافر الى موسكو ؟ ..

— لا .. وربما بعد سنتين من اليوم .

— والنفقات التى صرفت عليها هل كانت مجزية بالقياس الى ما استفدناه منها .. ؟

— تجارب الكيمياء فى كليات العلوم تستهلك كل تجربة منها ٢٠٠ جنيه أحيانا ومع ذلك تلقى فى دورة المياه .

ومن أجل التجارب يهون المال .. ومع ذلك فاذا كانت تكلفت ١٠ آلاف جنيه أو ١١ ألف جنيه فدخلها كان قريبا من هذا الرقم .

قلت للسندباد العصرى :

— متى بدأت رحلاتك الى الخارج .. ؟

— منذ ٣٢ سنة وكان يومها سنى ٢٥ سنة ..

— ولماذا لا تجدد رحلاتك ، وتتحف قراء الأدب بالجديد من المشاهدات .. والأسلوب الذى يشبه النسيم .. ؟

— سـنى كبرت ..

— وما هى أطول رحلة قمت بها أخيرا ؟

— الرحلة التى دخلت أثناءها قناة السويس من الخليج .. وتفرجت على قافلة وصلتها الى مدخل البحيرات المرة . ثم عدت .. وعلمت من هذا الوقت أننى لم أعد صالحا للأسفار كبيرها وصغيرها .

— ما هى الرحلة التى تركت فى نفسك أثرا لا تنساه .. ؟

— أهم ما أذكره من رحلاتى أن تحقق الرحلة فى نفسى رغبة قديمة جدا .. نفس هذا النوع لا يمكن أن يكون أعمق أثرا فى نفسى من اللحظة التى ركبت فيها البحر لأول مرة واختفت الاسكندرية عن ناظرى ، والسفينة تتجه شمالا بغرب ، الى أن تحقق الحلم .. حيث صعدت ربوة الاكروبول . فى أثينا .

— وما هى الزيارة التى تذكرها أكثر من غيرها .. ؟

— زيارة قبر بيتهوفن فى ڤينا .. وأحد المنازل التى كان يسكنها .. وكذلك زيارتى للهند ، فقد خرجت من دراسة الهندوكية للبوذية خروجا كان منطقيا .. فالاتصال بهذه الديانات الشرقية ترك راسبا عجيبا فى نفسى ..

— وما الذى كان يريح أعصابك أثناء الرحلات .. ؟

— الجمال — وليس بمعناه الضيق — فقد كنت عندما أرى نفسا جميلة

يكون جمالها أقوى أثرا من الجمال المادى لأنى أعتبر جمال النفس طريقا إلى الخير ..

— وأحب أصدقائك الاجانب الى قلبك ؟

— كانوا ثلاثة .. اثنان منهم غرقا فى البحر أثناء قيامهما بالأبحاث العلمية والثالث أنهى خدمته فى البحرية البريطـانية وصـلتى به مقطوعة .. أما صلتى برجال الآداب والفكر فى الخارج فقد أصبحت أكثر من صلتى برجال العلم .. وأطباء الرمد ..

شروط السعادة

سألته :

— كيف ترى السعادة ؟ .

— هى نوع من الموازنة .. وهى ليست خارجة عن الانسان ، ومن يخطئون فى البحث عن السعادة يخطئون اذ يبحثون عنها كشىء خارج عنهم .. انهم يبحثون عن السعادة كما تبحث عن مدخل حديقة الأندلس .. السعادة هى حالة موازنة داخلية فى النفس بين احساس ورغبات وتفكير وخيال .. اذا اجتمعت كل هذه — وتوازنت بما يكاد يكون المعنى المادى للتوازن أى أن يكون بداخل نفسك ميزان دقيق حساس .. وان هـذه العناصر الموضوعة فى كفتى هذا الميزان تجعـل قبه تام الاستواء هنا تكون السعادة .. واستطرد الدكتور فوزى فى تحليل معنى السعادة ووجهة نظر الشعوب فيها .

— كم ساعة تعمل فى الأسبوع .. ؟

— لا تقدر .. لأنى لا أستطيع أن أعيش دون عمل .. واذا حذفت وقت النوم والأكل فالباقى شغل ..

مطلوب مجلس عقول للاذاعة !

قلت لمن نظم البرنامج الثانى ، ويتناول السيمفونيات العالمية بالتحليل ..

— ان طه حسين يهاجم الاذاعة بعنف .. وباستمرار فما رأيك أنت .. ؟

— لا تنس أن طه حسين أستاذ الجيل .. وعندما يصدر مثل هذا الحكم لا تسألنى عن مدى صحته أو عدم صحته .. بل يجب أن تفحص أنت بنفسك لماذا أصدر طه حسين هذا الحكم الصارم .. ولن يطول عليك زمن التفكير فى الكشف عن السبب .. فانه لا توجد أى اذاعة محترمة فى العالم تسير بمجرد القائمين عليها — أى المشتغلين فيها — بل يجب أن يكون وراءهم مجموعة هامة توجههم .. وأقصد مثلا محطة « بى . بى . سى » فان فيها ادارة .. وفيها كل الممكنات الاذاعية فى بريطانيا .. ومع ذلك فهناك هيئة توجهها فكريا .. وفنيا .. واجتماعيا هيئة من أكبر رجال العلم ، والفكر ، والفن ، والاجتماع ، والاقتصاد فى الجزر البريطانية .. يعنى كل قسم من هذا البرنامج أو ذاك يجب أن يكون وراءه مجلس أو هيئة .. سمها « مجمع العقول » وأى اذاعة يجب أن يكون وراءها مجمع عقول ..

— أليس فى الاذاعة المصرية ما يتفق مع ما هناك ؟ ..

— فى التمثيليات ٤ رءوس من رجال الأدب التمثيلى فقط ، أما فى بقية البرامج فلا يوجد .. ولهذا يجب أن يكون وراء كل برنامج من برامج اذاعتنا المصرية « مجمع عقول » يتألف من لجان .. كل لجنة تنهض يجزءون البرنامج وتوجهه التوجيه الفنى المطلوب ..

— وما الذى يمنعك من أن تنادى بهذا الرأى بوصفك وكيلا لوزارة الارشاد ؟

— لا أستطيع الاجابة !

— وما الذى حققته لمعهد السينما .. ؟

— أعددنا له كل الاعداد الفكرى .. والتنظيمى .. والمالى انما أمره متوقف على اعتمادات الميزانية .

* * *

اللقاء الثانى :

لحظات الفكر تجىء دائما مع القطط ..

عندما جلس الى البيانو ليعزف لحنا جديدا اقتحم الغرفة عدد من القطط فقلت له : (١)

— الآن عرفت لماذا خصصت لقططك ١٨ صفحة من كتاب « سندباد الى الغرب » ولماذا كنت تنادى — فى حديثك — كل قطة — باسم « ابنتك » ؟

قال الدكتور فوزى :

— طبعا . لقد سجلت فى كتبى تجاربى الخاصة مع أبنائى وبناتى من القطط ، ولا عجب فقد تبنيتها منذ ربع قرن !

ورأيته يداعب أكبر القطط يمسح شعره بكلتا يديه وكأنه أب حنون وهو يقول :

— هذا هو ابنى الشيخ أحمد .. انه ولد وقور طيب ، وقد عاش معى أبوه « متو » أطول مدة عاشها قط .. عاش ١٧ سنة ، وعندما مات حزنت عليه كثيرا !

قلت له :

— وأين مقبرته الآن ؟

قال وهو ينظر الى النيل الممتد أمامنا على مدى البصر :

---

(١) شتاء ١٩٦٠ .

— هناك .. فى الصحراء .. بالقرب من الهرم الأكبر واريته التراب !

وقبل أن يموت كان قد ترك لى الشيخ أحمد ، وأمه اردواز وابنتها بهـيرة . وحينما كنت فى جامعة الاسـكندرية ، وكان يموت لى قط كنت أحمله الى البحر وأدفنه تحت الرمال الناعمة فى مكان عميق !

قلت :

— ألأن فى القطط ما يروح عنك ويعوضك عن الأبناء ؟

قال :

— الحيوانات نوع من لوازم الانسان ، وأنا نشأت فى بيئـة شعبية ، وتفتحت عيناى على القطط الصغيرة التى كانت تداعبنى وأنا طفل ، وقد تعودت قططى هذه أن تعيش معى لحظات التجلى ، والتأليف والكتابة ، ولهذا أحبها من كل قلبى .. وعند والدتى الآن مجموعة من القطط والكلاب ، وهذا هو السبب تقريبا .. وربما يكون سببا وراثيـا .

توفيق الحكيم والقطط

قلت لطبيب العيون السابق :

— ومن من أصدقائك الأدباء أو الفنانين يشبهك فى حب القطط ؟

قال وكأنه يستعيد ذكريات عزيزة :

— صديقى الكبير توفيق الحكيم كان وما يزال يحب القطط .. وأذكر أنه نقل مجموعة من قططى الى شقته فى عمارة سيف الدين أيام كان يسكنها سنة ١٩٤٥ بعد الحرب .. وكان يدللها ويجد لذة فى مداعبتها وقراءة أفكارها !

وسمعته يضحك بصوت عال ثم يقول :

— لقد أخذنا صورا كثيرة لتوفيق مع قططه ، وعندى واحدة منها ، وما أزال أحتفظ بها ، وعمرها الآن ١٥ سنة !

ورأيته يغيب عنى قليلا ثم يعود حاملا صورة الحكيم وعلى كتفيه تربض قطتان فى استسلام !

ولم تكن صورة الحكيم وقططه هى الصورة الوحيدة التى يزين بها الدكتور حسين فوزى مكتبه .. انك تدهش عندما ترى مجموعة من اللوحات والصور التى تسجل مجموعات من القطط فى أوضاع مختلفة .. هناك قطط ترقص ، وأخرى تعزف على الكمان وهذه صورة قطة رومية تضغط عليها فتسمع « نونوة » موسيقية جميلة ، وتلك صورة ثالثة لقطة حمراء ، وتماثيل لقطط أخرى .. كل هذه اللوحات والصور والتماثيل يعتبرها حسين فوزى شيئا هاما مكملا لأناقة مكتبه ولحياته الخاصة ! وانتقل حديثنا فجأة الى الأدب والموسيقى والفن ..

قلت له :

— رأيت عندك مجموعات ضخمة من كتب الموسيقى ، فأين مكان كتب الطب والعلم ؟

وقال السندباد العصرى :

— عندى ٣٠٠ كتاب فى الموسيقى .. ومكتبتى الموسيقية تضم أروع مجموعة من كتب الدراسات الموسيقية ، وهى كتب طبعت فى أواخر القرن الماضى ، ولم يتكرر طبعها منذ ذلك العهد ..

قلت :

— وكيف عثرت على هذه المجموعة النادرة ؟

قال :

— فى أثناء زيارتى لأوربا — ومن الاتحاد السوفيتى بالذات — استطعت أن أشترى مجموعة من الكتب المدرسية الهارمونية ، والمهم فى المكتبة الموسيقية هو الاتجاهات المعينة التى تضمها ، فهنا — وأخذ يشير الى المجلدات الضخمة — كل فنون وتاريخ وأقطاب الموسيقى ، أن عندى ١٢ كتابا ضخما عن موزار و ١٥ عن بيتهوفن ثم كتب المراجع ، وكتب التحليل الموسيقى .

قلت :

— سألتك عن كتب الطب والعلوم أين هى فلم ترد ؟

وفى ابتسامة رقيقة قال :

— مش ممكن يكون لها مكان عندى هنا .. !

وتفهم من كلامه أن عنده مكتبة أخرى فى الأسكندرية جمعت كتب العلوم والطب التى اشتراها ، واحتفظ بها ، حينما كان استاذا وعميدا لكلية العلوم ، أو وكيلا لجامعة الأسكندرية .

تاريخ ٦ آلاف عام

قلت للسندباد العصرى ، والقديم ، والى الغرب ، ولأبى القطط ، وهذه بعض ألقابه :

— وماذا تعمل الآن بعد أن تركت الوظيفة ؟

قال :

— انتهيت فى هذا الشهر من تأليف كتاب تاريخ مصر وسيظهر قريبا ، وقد علقت فيه على ٦ آلاف سنة من تاريخنا ، منذ البداية حتى تأميم القناة ، ويقع الكتاب فى ٦٠٠ صفحة ، وهو ليس تاريخا وأنما صور تاريخية وتأملات فى حياة الشعب المصري مدى ستة آلاف سنة .

ومضى يقول :

— كانت كل كتبى — فيما مضى — تخرج خاطفة ، أما الآن فأننى رسمت مشروعاتى على أساس أن أكتب مافاتنى خلال سبعة وثلاثين عاما قضيتها فى خدمة متفـانية لبلادى .. وهأنذا أجلس الى مكتبى من الصباح الى الظهر للتأليف وبعد الظهر للمطـالعة والموسـيقى ، ثم الاذاعة فى البرنامج الثانى يوم الجمعة .

قلت له :

— وسهراتك أين تقضيها ؟

قال :

— أنا أعيش بلا سهرات .

طه حسين .. وأنا

قلت له :

— سمعنا أن هناك جفوة بينك وبين الدكتور طه حسين .. وأنا رأيت كتبه الأخيرة المهداة اليك مكتوبا عليها كلمة الاهداء هكذا ..

« الى الصديق الهاجر المتجنى الدكتور حسين فوزى » ومرة أخرى كتب لك فى اهداء كتاب « الشيخان » :

« الى الصديق .... على نسيانه للأصدقاء ... » .

قال الدكتور فوزى :

— طه حسين أخى الأكبر ، وله على أكبر الفضل ، ولكن يعز عليه اذا مضى وقت طويل دون أن نلتقى .. وفى هذا الاهداء نوع من عتاب الأخ لأخيـه !

رشيد سليم الخوري



فى أثناء زيارة رشيد الخورى للقاهرة فى يناير ١٩٦٠

قابلت الشاعر القروى ..

الرجل الذى وقف حياته وشاعريته على القومية العربية يلهب احساسك بحبه حين تراه .. ولا تدرى أمرد ذلك الى سرعة فهمه وحركته ، أم لأناقته وملامح وجهه المعبرة وانفعاله حين يتكلم شعرا !

جاوز الثالثة والسبعين ولا يزال فى حماسة ابن العشرين !

سمعته يهاجم خصوم العروبة فى أحاديثه كما يهاجمهم فى شعره .. ويقول رأيه بصراحة فى نفسه وفى الآخرين !

انه رشيد سليم الخورى .. وشهرته الشاعر القروى .. وبلده الأصلى : لبنان الشقيق ، ومهجره الذى أمضى فيه خمسة وأربعين عاما فى كفاح متصل — اسمه البرازيل .

قلت له :

— كيف وجدت القاهرة .. وهل رأيتها كما تصورتها فى خيالك ؟

وفى ابتسامة مشرقة سمعته يقول :

— وجدت القاهرة أجمل مما كنت أتصور . نعم حقيقة . وجدت ميادين واسعة .. وشوارع ومظهرا يجمع بين جمال الحاضر .. وجلال الماضى .

قلت :

— والذين استقبلوك من الشعراء والأدباء ؟

قال :

— كلهم شائق لى .. وأنا غريق الحفاوة الرسمية من قبل الوزارة وغيرها من الهيئات الأدبية .

قلت :

— هل تعلم أن ديوانك تقرر طبعه على نفقة مجلس الفنون والآداب ؟

قال :

— أنا كنت أعلم ذلك من وزير التربية والتعليم .. وأنا قلت له : اذا كانت هذه هي رغبة الوزارة الجليلة فلا مانع عندي .

قلت لبوق العروبة — كما يحلو له أن يسمى نفسه فى أشعاره — :

— أنت ولدت سنة ١٨٨٧ ، أى انك الآن فى الثالثة والسبعين ، ولكنك تبدو لى أصغر من سنك بكثير فما هو السر ؟

وسمعته يضحك بقوة ثم يقول :

— لأنى أعاف التبغ ، والخمر ، حتى القهوة ، والشاى ، نعم ، لا أتناول منها الا ما ندر !

قلت :

— وأكبر أبنائك كم عمره الآن ؟

قال :

— انى لم أتزوج !

قلت :

— الآن اكتشفت سر شبابك !

قال وهو يضحك :

— أبدا ليس هذا هو السبب . ولكن لعلها فطرة تكره القيد ؟ .. أو لعلها غربة عن الوطن العربى ، وندرة اللائى يأخذن بالقلب والعقل معا ؟ !

قلت :

— ألم تحب ؟

قال :

— أحببت فوجدت من يأخذ بالقلب .. ولم أتزوج لأنى لم أجد من يأخذ باللب أو العقل !

قلت للشاعر الفحل :

— وكيف عشت ثلاثة وسبعين عاما بلا عش جميل ؟

وبعينى صقر رمقنى وهو يقول :

— لأن حياتى كلها كانت كفاحا متصلا .. فلقد هاجرت الى البرازيل من قريتى « البربارة » فى أول شهر آب (أغسطس) سنة ١٩١٣ بعد أن ضاعت ثروة أبى وظللت أشهرا لا أجد بارة واحدة ، وفى ولاية ميناس فى البرازيل .. تعرضت لأشد ألوان الفقر ، ثم انتقلت الى ريودى جانيرو فى أثناء الحرب العالمية الأولى ، وهناك كنت أرتزق بتعليم العزف على العود ، ثم بالتدريس فى احدى المدارس ، ثم انتقلت الى سان باولو عام ١٩٥١ ، ورحت أعمل فى التدريس فى بعض المدارس العربية والأجنبية ، ثم تركت التعليم لأنصرف الى العمل معتمدا لبعض المحلات التجارية ثم اشتدت على الأزمة من الناحية المادية الى أن أوسع الله على بعد أن تعرفت الى أحد الفتيان ممن يهوون العزف على العود فأعطيته بعض الدروس وهكذا انفرجت أزمتى .. وتاجرت مرة أخرى ، وظللت ٣ سنوات أصنع الكرافتات فى نفس مدينة سان باولو ، ولكننى بعد ذلك أقفلت مصنع الكرافتات لضياع نصف رأس مالى ، وكان الشعر فى ذلك الحين هوايتى الأولى ، وكانت هناك جالية لها أندية وجمعيات وصحافة ، وكانت تقام الحفلات بكثرة ، فى سبيل الأغراض الاجتماعية والوطنية ، وكانوا يدعوننى لأقول شيئا من الشعر فألبى دعوتهم فكثرت الحركة الفكرية ، وكنت أراقب هذه الأحداث بنفس ثائرة وأصورها بشعرى ، وكان ذلك هو عهدى بالجهاد الأدبى فى

« سان باولو » التى كنا نسميها عاصمة اللوائيين ، أى حاملى اللواء هؤلاء الشبان الذين كانوا يوغلون داخل البلاد للاكتشاف والتعمير .. قلت :

— حسنا فعلت .. وكيف نهضت برسالتك فيما بعد ؟

ورأيته يسرح بخياله عبر الماضى البعيد ، ثم يقول :

— كل الحفلات كانت تحتاج الى القصيدة والأنشودة ، وقد كنت اللسان المعبر عن ذلك ، وفى البرازيل كان أعداء العروبة يأخذون على هذا الهوس بالشعر الوطنى الحماسى ، وبالذات حينما كنت أردد مثل هذه القصيدة التى أسائل فيها أبا الطيب المتنبى ... وبدأ ينشد بعض أبيـاتها :

بشـاعرها فلتفتخـر كل أمـة
يهـددها بالموت والعـار طغيـان

اذا طويت أعـلامها فهـو بيرق
وان أخمـدت أنفاسها فهو بركان

يهـز رفات الغـابرين صـراخه
فتنشـق أزمـات وتنحـل أكفـان

وتبعث أبطـال وتمضى صـوارم
وتنشر أعـلام وتنصـف أوطـان

قلت :

— وهل كنت تسمع صدى أشعارك فى الشرق ؟

قال :

— ان الصلة بيننا وبين الشرق كانت تتركز فى الصحف والمراسلات .

سألته :

— ومتى بدأت تنظم الشعر ؟

قال :

— نظمت أول محاولة فى الثانية عشرة حينما كنت فى كتاب القرية .

قلت :

— ومن كان مثلك الأعلى من الشعراء ؟

قال :

— لم أعتمد شاعرا بعينه ، ولم تتوفر لنا المطالعات المختلفة ، ولكن أذكر أن المرحوم والدى جاءنى مرة من بيروت بكتاب الأزجال والموشحات الأندلسية ، فأعجبت بطلاوة ذلك الشعر ، وأذكر المتنبى وقبله عنترة ، لأن أشعار عنترة كانوا يلقنونها للطلبة أحيانا فى المدارس .

الجمال المثلث

وانتقل الحديث الى البلاد العربية .. وكيف كثر الشعراء هناك ، وزاد القصصيون هنا ، وتناول الحديث الأخطل الصغير الذى يقف الآن على أبواب الثمانين .

قال :

— ان شعراء الشمال كثيرون فعلا .. كلهم كانوا يرتادون أرض النيل . أما أنا فهذه أول مرة أزور فيها القاهرة . ولعل السبب فى كثرة الشعراء فى الشمال يرجع الى طبيعة سماء تلك البلاد وأرضها وخصوصا لبنان .. فأنت فى لبنان تعيش فى لوحة فنية حية ، تشاهدها ليل نهار فينطبع أثرها فى نفسك وتتولد عنها لوحات فنية ، والذين يعيشون فى بقعة

تحوى كل محاسن الطبيعة من بحر وجو وبر هـم الذين يمتلكون الجمال المثلث .

وسألت الرجل الذى كل ما فى وجهه أبيض حتى شاربه وحاجباه :

— وكيف تعالج شعر الغزل ؟

قال :

— أنا صاحب ديوان « زوايا الشباب » الذى ضمنته معظم قصائدى فى الغزل ، والحقيقة أننى لا أكاد أوثر قصيدة علي أخرى سـوى هذه القصيدة لأن لها قصة !

لبست الى العـذراء جبـة راهب
من الليـل لم تعلق به كف ناسج
وبت حيـال القصر أرعى اشـارة
بأبيض يعنى جىء ... وأحمر لا تجى
تطـوقنى أغصـان دوح كأنهـا
معاصـم من نوارها فى دمـالج
اذا داعبتها الريح مـادت فخلتنى
أطـل على غمـدان بين الهـوادج
وما زلت حتى آخـر الليـل أتقى
بأفيائها ريب العيـون الخـوالج

بينى وبين نقيب الشعراء

وسألت الشاعر اذا كان قد اتصل بعزيز أباظة نقيب شـعراء مصر فقال لى :

— اننى لم أقابله بعد .. واننى أعرف عنه أنه قال مرة :

« انه لا شعر فى المهجر .. ولعله لم يكن على اطلاع كاف بحالة الشعر هناك ! » .

قلت له :

— ولم لم تؤلف مسرحيات شعرية ؟

قال :

— لم تكن لنا مسارح هناك ، ولذلك لم أؤلف للمسرح كشوقى ، وأضاف يقول لى : شوقى مبدع .

قلت :

— وما الفرق بينك وبين الأخطل الصغير ؟

قال بسرعة ، وفى ابتسامة هادئة :

— ليس على .. بل على سواى أن يعرف هذا الفرق .. ان كان هناك فرق ؟

وتطرق الحديث الى شعره الثورى الذى يتقد بالعاطفة الوطنية والذى يتغنى به الشعراء فى الشرق وفى الغرب ، وكيف حمل الشاعر القروى فى بعض قصائده على اخوانه الذين لم يشتركوا فى الثورة السورية الأولى وتحرير بلادهم من الأجانب :

قال :

— قلت يومها :

فتى الهيجاء لا تعتب علينا ... وأحسن عذرنا ، تحسن صنيعا
تمرستم بها أيام كنا ... نمارس فى سلاسلنا الخضوعا
فأوقدتم لها جثثا وهاما ... وأوقدنا المباخر والشموعا
اذا حاولت رفع الضيم فاضرب ... بسيف محمد واهجر يسوعا

قلت له :

— لقد عشت فى المهجر ٤٥ سنة فماذا قلت يوم أن عدت الى بلادك ؟

قال ودمعة تترقرق فى عينيه :

— أنشدت فى حفلة تكريمى بدمشق قصيدة تقرب من المائة بيت عرضت فيها لمحاولة اعتداء على وأنا فى الباخرة ومنها :

حتام تحسبها أضغاث أحلام
سبح لربك وانحر أنت فى الشام
لم يأذن الله يا بوق العروبة أن
تقضى الحياة غريبا بين أعجام
كم لائم لامنى فى حبكم سفها
فبدل القرب حسادا بلوام
أعدى على بظهر الفلك شرذمة
ممن تغروا على فتك واجرام
لم يجدهم طول اغرائى بصحبتهم
فحاولوا حين عيل الصبر ارغامى
هموا بأخذى فثارت كل محصنة
وكل حر عريض الصدر همام
من اخوتى السمر منأشبال ناصر من
مصر العزيزة من أرض الدم الحامى
فأدبر البغى مدحورا وعدت الى
سربى وقلت لها يا مقلتى نامى

وبت ليـــلى وعين الله تحرسـنى
حتى وضعت بأغلى الترب أقـدامى

فىاللاذقيـة فى شـط يمت الىّ
بربارتى بجمـال جـل عن ذام

فى أرض قومى فىالدنيا التىاحتكرت
أقطـارها كل آمـالى وآلامى

قلت له :

— أنت فى حبك كالربيع الضاحك ، وتحب بالجمع ، فكيف كان قلبك يهوى الأجنبيات ؟

قال لى :

— اليك هذه الأبيات .. وكانت حبيبتى اسمها « مود » :

لعمـرك « يا مـود » لولا ذووك
لمـا ميز الحب بين العبـاد

فهم أوغروا بالعـداء الصـدور
وهم أضرموا النـار تحت الرمـاد

فلا تعذلى شـاعرا زاهـدا
وكـم هـام بالحب فى كل واد

فانى حـرام عـلى هـواك
وفى وطنى صـيحة للجهـاد

ولـو لـم تكونى فرنجيـة
لكنت سـعادى قبل سـعاد

ولكننى عـربىٌ المـنى
أصـيل الهـوى عربى الفـؤاد

وتناول الشاعر الثائر قيم الشعراء القدامى والمحدثين بالعرض والتحليل قال :

— أنا ممن يحترمون حافظ ابراهيم .. أقدمه من الناحية القومية على شوقى لأنه كان شاعرا رساما لكل حدث يهز العالم العربى ، أما من الناحية الشاعرية فلا شك أن شوقى أوسع أفقا وأبعد خيالا .

وسألته عن رأيه فى الشعر الحديث وموقف شعراء المهجر من هؤلاء الذين لا يتقيدون بوزن ولا قافية فقال :

— اعطنى شعرا واكتبه بأى أسلوب شئت ، المهم أن يكون هناك فكر .. وخواطر .. وخيالات .. ولا يهمنا الزى الذى تبرز به الحسناء !

قلت له :

— ثم ماذا ؟ ..

قال :

— أريد لوطنى العربى أن يفوز فى كل الميادين .

— وما هو آخر انتاج شعرى لك ؟

قال :

— اليك هذه الأبيات :

أنا العـــــروبة لى فى كل مملكة
انجيـــل حب ولى قرآن انعـــام

ما اخضوضر الشرق الا تحت أقدامى
وازهوهو الغرب الا تحت أعـــلامى

تمشى البطولة والسحر الحلال معى
فالأرض مســـرح آســـاد وآرام

نقشت فى الشمس طغرائى وما برحت
مرسومة فى جبين البـــدر آختامى
لا أسأم الحرب ما طالت وما حزبت
فالعام كاليوم حين اليوم كالعـــام
حتى أفــوز بحقى غــير منتقص
ويذهل الخلق انشــائى واتمــامى
والحــق أغلب والأعــداء جانحــة
للسلم بعــد رضى أو بعــد ارغــام
وابنى فتى النيل حــلانى بجــوهرة
عــزت على كل غواص وعـــوام
من يبك عهــد الموامى والدمى فأنا
والحمد لله قد حطمت أصـــنامى
شغلت قلبى بحب المصطفى وغــدت
عروبتى مثلى الأعلى واســـلامى
بناصرى وبأســـوانى فخرت اذا
باهى الدعى بفرعــون وأهـــرام
عاش الذى أدب الطــاغى وكبكبه
عن القناة ذليلا خافض الهـــام

سهير القلماوي ويحيي الخشاب



الدكتورة سهير القلماوى مع زوجها وأولادها

في حياتنا « ثنائي » ثقافة .. سهير والخشاب مثل له ، بنت الشاطىء وأمين الخولي مثل آخر ، ونظلي الحكيم ومظهر سعيد مثل ثالث وهكذا ..

وهكذا الثنائي المنسجم يبعث النغم .. في هارمونية حلوة ، وبمشاركة القلب للقلب والكف على الكف والساق حذو الساق .. فوق درب الحياة الطويل .

واذا كان واحد من الاثنين يتخلف أحيانا أو ينظر الى وراءه بينما زميله

يتطلع الى السماء .. فلأن لكل شخصيته ومعالم روحه وخطوط نشأته الأولى .

ومن هنا كان تمسك سهير القلماوى بالغـرب ، وعنـاية الخشاب بالشرق .. بل بالشرق الذى أثر فى قومه العرب وأثروا هم فيه .

ومع سهير والخشاب عشت أكثر من ساعة [1] .

وكنت بين كل لحظة وأخرى أتطلع اليهما ، كمن يشاهد قصة غرامية فى السينما ... لا سرقة فيها ولا اقتباس !!

وكنت أستمع الى أحاديثهما الحلوة كمن يستمع الى أسطورة تحققت مصادرها قبل أن تتناقلها ألسن الرواة !!

انها الدكتورة سهير القلماوى .. وانه الدكتور يحيى الخشاب .. ومنذ أكثر من عشرين عامًا وهما يعلمان الأدب لتلاميذهما فى الجامعة .

ولو أردت أن تعود بخيالك الى الوراء .. الى سنة ١٩٢٩ لرأيت الطالبة الصغيرة سهير القلماوى ، ومعها زميلاتها نعيمة الأيوبى . وفاطمة فهمى ، وزهيرة عبد العزيز ، وفاطمة سالم .. وهن يتقدمن فى حياء بالغ الى أبواب الجامعة .. وفى أيديهن أوراقهن .. وفى قلوبهن أمل .. وعلى شـفاه من يراهن — من الأساتذة والطلبة — ابتسامة الرثاء والاشفاق لمصير الطالبات الخمس المنتظر !!

ولم يعد سرا أن يذاع أن لطفى السيد ، وطه حسين كانا وراء هـذه المغامرة — الأولى من نوعها — يؤيدانها بكل ما يستطيعان .. وانهما ضحكا على الحكومة — يومئذ — ونجحا فى ادخال البنات الجامعة ، كما قال لى طه حسين بالحرف الواحد ..

---

(١) يونيو ١٩٥٧ .

وتحدثت سهير القلماوى عن الانتخابات بين النساء وعن جائزة الدولة التى حصلت عليها .. وعن الاختلاط بين الطلبة والطالبات — قديما وحديثا — وهاجمت ما يكتب فى الصحف عن الحب .. وقالت انه سبب انصراف بعض الطلبة عن الاعتراف بقدسية الجامعة .. كما هاجمت المقهى البلدى والشماسى المنصوبة بين المكتبة ، وقاعات الدرس ، والعبارات والمجلات الرخيصة التى تتداولها الألسن والأيدى هناك ! ..

وعبرت عن شعورها واحساسها يوم أن وقفت فى المدرج لأول مرة ، تحاضر طلبتها ، وعن مسئولياتها كأستاذة وزوجة ، وأم لولدين .. وعرضت لأسباب نفور بعض الطالبات عن الدراسة الجادة .. واتجاههن الى الأقسام السهلة كقسمى الاجتماع والصحافة ..

وتكلم الدكتور الخشاب عما استفاده من زوجته .. وعن خبرته فى الزواج خلال سبعة عشر عاما .. وعن رأيه فى التحاق الطالبات بدار العلوم .. وعن نظم الدراسة فيها ، ورأيه فى زوجته بكل صراحة ، وعن متاعب العمادة ومشكلاتها .

لماذا لم أدخل الانتخابات ؟

وتطلعت الى الدكتورة سهير — وهى تداعب ولديها وكلبهما « الوولف » ..ثم قلت :

— ردّدت الهيئات النسائية أنك على رأس المرشحات لدخول مجلس الأمة ، فلماذا لم تدفعى التأمين ؟

— صحيح الاتحاد النسائى رشحنى .. ولكن ليس لى فى المعارك السياسية ! ..

— كيف تخشين المعارك السياسية ، وأنت قادرة على الخطابة ، والتحدث الى طبقات الناخبين على اختلاف ثقافتهم ، وحرفهم !

— الدعاية عاوزة طبيعة خاصة .. وأعتقد أننى أؤدى وظيفة جامعية ، ولسانى له منبرٌ معين .

— أيعنى ذلك أنك ستظلين أستاذة فى الجامعة الى ما شاء الله ، ولا تطمعين فى حياة النيابة .. أو حياة الاستقرار فى البيت ؟ ..

وفجأة انبرى الدكتور الخشاب قائلا :

— طبعا مصيرها للبيت بعد خمسْ سنين ، أما تبلغ سن المعاش .

— هل تعنى أن عمرها الآن ٥٥ سنة ؟

وبسرعة قاطعته الدكتورة سهير قائلة :

— أبدا .. أنا عندى ٤٥ بس .

١٣٨٠ طالبة بعد أن كن ٥ طالبات !

وسألت أول أستاذة مصرية تحاضر الرجال فى الجمعة :

— هل كان مسموحا باختلاط الطلبة بالطالبات حينما كنت طالبة ؟

— فى أيامنا لم يكن الاختلاط بين الطلبة والطالبات خارج قاعات الدرس الا قليلا جدا ، وكان الطلبة والطالبات خايفين من بعض .. فى نوع من الهيبة .. كان شيئا جديدا .. ولا تصدق الذين قالوا انهم كانوا يأتون بالبوليس على باب قاعات الدراسة لحمايتنا .. والآن أرى أن كثرة العدد — ويمكن تصورها — من أن الخمس الأول فى كلية الآداب ، يقابلهن الآن ١٣٨٠ طالبة .

وعقب الدكتور يحيى على ذلك قائلا :

— ومع هـذه الزيادة فى عدد الطالبـات — اللائى يبلغ عددهن ثلث الطلبة — فان المبانى والمكان ما يزالان كما هما .

الحب فى الصحف يفسد الطالبات

ومرقت بسرعة أستطلع رأيها فى الفوارق التى لمستها بين الطالبـات طوال عملها فى الجامعة .

فقلت :

— هل هناك فرق ملموس بين طالبة الأمس واليوم ؟

— لابد أنه يوجد بين هـذا العدد الكبير من الطالبـات من ليست فى المستوى المطلوب .. ولسوء الحظ هذه النسبة القليلة هى التى تطفو على السطح .. وأرى اليوم أن الطالبات ينفرن من الدراسة فى الأقسام الصعبة ، ويتجهن الى الأقسام السهلة .. كقسمى الاجتماع والصحافة، وهذه الظاهرة تؤكد أن من تختار القسم الصعب يكون فيه احتمال أنها تعتزم العمل فى جد .. كما أرى أن كثرة ما يكتب فى الصحف عن الحب قد سبب انصراف الطلبة والطالبـات عن الاقبال على العلم .. وانصرافهم عن استيعاب المحـاضرات ، وهناك ظاهرة خطيرة تتمثل الآن فى :

* اتصال الطلبة بالطالبات فى الممرات والاندماج فى أحديث لا نهاية لها .
* الجلوس تحت الشماسى المنصـوبة أمام المقهى البلدى الذى أقامه متعهد البوفيه بين المكتبة وقاعات الدرس ، والذى يتم فيه الاختلاط بطريقة منافية لا تتفق وكرامة العـلم .. ومكان العلم غـير مكان الدردشة ..

— ألستما مسئولين — بوصفكما أستاذين — عن مثل هذه الفوضى ؟

— مسئوليتى عن قسم اللغة العربية فقط .. وعندى فيه ٤٠ طالبة كلهن حنابلة كما يقولون عنهن ! ..

• ١٠٠٠ من الطالبات محتشمات و ٣٠٠ متبرجات !

— وكم تبلغ — بالتقريب — نسبة الطالبات المتبرجات الى المحتشمات الآن ؟ ..

— أن هناك ١٠٠٠ طالبة تقريبا محتشمات و ٣٠٠ طالبة تقريبا يمثلن العنصر الضار والحكاية أن ضررهن يشمل الشكل .. وأن الجامعات فى أوربا لا تسمح بمثل هذا التبرج مطلقا .

— أهذا كل ما يضايقك فى الجامعة ؟

— وضياع أحسن شهور السنة بهذا السخف الذى يسمى امتحان الفترات !

— من كان مثلك الأعلى وأنت طالبة ؟

— الدكتور طه حسين .

• حب زمان !

واتجهت الى الدكتور الخشاب بأسئلتى قائلا :

— متى تزوجتما ؟

— سنة ١٩٤١ .

— كيف .. ومتى تعارفتما .. وهل تبادلتما الحب قبل الزواج ؟ ..

— أهو ده الكلام اللى مش عاوزينه .. ومضى يقول : لم يكن حبا كحب هذه الأيام .. فقد تعارفنا فى قسم اللغة العربية .. كنت طالبا منتسبا فى القسم وفى نفس الوقت بكلية الحقوق .. واتصلت المودة بيننا ونحن

مدرسان فى الجامعة ثم سافرت فى البعثة سنة ١٩٣٦ ، وهى لحقت بى سنة ٣٨ ، فانتظمنا معا فى محاضرات جامعة السربون ، ثم رجعت هى سنة ٣٩ ، وبقيت وحدى هناك الى سنة ٤٠ للحصول على دكتوراه الدولة .. ولما عدت التقينا فى منتصف الطريق ..

والتفت الى الدكتورة سهير أسألها :

— وماذا اكتسبت من زوجك ؟

— نظرتى فى الحياة تتغير بمضى سنوات زواجنا .

— والدكتور الخشاب ؟

وابتسم قائلا :

لم أفد حاجة واحدة !

— وهل تسكت الدكتورة على ذلك ؟

وفى نظرة عتاب الى زوجها قالت :

— أما أنا فقد اكتسبت منه البساطة .. وعدم التعقيد فى الحياة ! ..

وسألت الزوجين السعيدين :

— متى تختلفان ؟

فقالت الزوجة الأستاذة :

— خفيف .. وقد كان الخلاف يشتد سابقا .. وفى السنوات الأولى للزواج بسبب العمل .. لأنه لم يكن يريدنى أن أعمل .

— والآن يا دكتور يحيى ؟

— أعتقد أن السيدة التى تكون قدوة للبنات من المصلحة أن تستمر قدوة لهن ، أكبر وقت ممكن .

وفى شىء من الزهو قالت :

— بشرط أن الجامعة لا تقطع أعصابى !

— اذن توافق على زواج الشبان من الموظفات ؟

— اذا كانت الوظيفة لا تعوق الأم عن أداء رسالتها نحو أبنائها .. فانه لا بأس من أن تتعاون فى بناء مصر الحديثة .

دار العلوم تنكرت لرسالتها !

وجرنا الحديث الى الاشاعات التى ترشح الدكتور يحيى الخشاب عميدا لكلية دار العلوم .

فقلت :

— رشحتك الاشاعات لعمادة دار العلوم ، وقيل أن مجلس الكلية لم يوافق على قبولك عميدا لها ، فماذا ترى فى ذلك ؟

— عندهم حق .. لأن العمادة ظلت مقصورة على خريجى دار العلوم .

— لو حدث أنك أصبحت عميدا لها ، فهل توافق على بقاء البنات بها ؟

— لا أوافق على ذلك لأن دراستها دينية ، وعندى أن تظل دار العلوم كلية قديمة محافظة تتطور مع التطور الطبيعى لكلية بهذا الوضع . أما السماح بدخول البنات لمجرد القول بأنها كلية كسائر الكليات ففيه من غير شك تضحية بالفكرة الأولى من انشائها .. وهى أن تكون المنبع الذى يتخرج منه مدرسو اللغة العربية والدين الاسلامى ، وقد اقترحت على وزارة التربية — فى مذكرة خاصة — أن تصبح كلية للدراسات الاسلامية .

وتحولت بالأسئلة من جديد الى الدكتورة سهير قائلا :

— ماذا فعلت بجائزة الدولة التى حصلت عليها فى العام الماضى ؟

— سددت بها ديونى للبنك .

— والآن تعيشين بلا ديون ؟

— الحمد لله .

شفيق جبري



ـ احب فصول العام الى قلب شفيق جبرى هو فصل الشتاء الذى تعود أن يقضيه فى القاهرة

فى عام ١٣١٤ للهجرة — ولد ذلك العملاق الجميل الأنيق .. ولد فى دمشق وتربى فى دمشق ، وتفتحت عيناه على جمال دمشق وكانت هذه القطعة من وطننا الحبيب تعمر بهتافات الحرية فسمعها ووعاها وتشرب مفاهيمها ، فلما شب عن طوقه تحددت ملامح شخصيته فاذا هو حر عاشق ..

حر فى دعواه الى مجتمع رشيد قوى يفعل ما يريد .

وعاشق لأن قلبه يتتبع الجمال أين كان ليتعلق به ويغنى له .

وفى دراساته الواعية آمن بالعروبة وحرص على لغة العروبة بحيث يصعب أن تسمعه فى حديثه العادى يستخدم غير العربية الفصحى .

ونستطيع بسهولة أن نحس الى أى حد هو معتز بنفسه — اعتزاز العربى بها — ولكنه أقرب ما يكون شبها فى ذلك بالعقاد .. ولا عجب فهو كعملاق الاقليم الجنوبى فى اعتباره أبا الشعر الرصين فى الاقليم الشمالى .

وقد أهلته ثقافته لأن يكون أحد أعضاء المجمع اللغوى ، وأحد أعضاء مجلس الفنون والآداب ، وأحد أعضاء هيئة التدريس فى معهد الدراسات العربية .

وأهلته هذه الثقافة نفسها الى أن يضع كتابه (أنا والنثر) وكتابه (أنا والشعر) ، مسجلا فيهما آراءه الفنية التى تصدر عن فلسفة أصيلة لها خطوطها العامة ، عريقة وأسلوبها عربى .

وأما هو — كشاعر — فأشبه بأبى تمام .. فى قوته وفى صوره وفى نغمه الأصيل .

ازمة عاطفية تنتظرنى كل ٥ سنوات

أول ما عرفته من كتابه (أنا والشعر) الذىسجلفيه قصة خمسة وستين عاما من حياته .. ثم سمعت اسمه يتردد على شفاه الخالدين .. فى المجمع اللغوى . فى مجلس الفنون والآداب .. فى نقابة الشعراء .. فى معهد الدراسات العربية .

وتمنيت أن ألقاه ، هذا الرجل الذى قال لى عنه عزيز أباظة :

— اذا كان العقاد أبا الشعراء فى الجنوب .. فأبوهم فى الشمال هو شفيق جبرى ! ..

ووراء الشاعر الدمشقى الأعزب الذى يزور القاهرة فى أعياد الوحدة[1] عشرات الكتب .. والدواوين .

تتحدث اليه فلا تسمع الا كلاما باللغة الفصحى .. وابن الخامسة والستين لم تعرف التجاعيد طريقها الى وجهه بعد .. ولم يفارق وجنتيه أو عينيه بريق الشباب .

سألته وأنا أتطلع الى رأسه الضخم .. وأتأمل هندامه الأنيق .. وشاربه الحليق :

— أهذه هى أول مرة تزور فيها القاهرة ؟ . وبنفس اعتزاز العقاد سمعته يكرر كلمة « أنا » التى هى من لزوميات العقاد والتى اختارها عنوانا لبعض كتبه « أنا والشعر » « أنا والنثر » ..

سمعته يجيب :

— أنا أزور القاهرة فى الشتاء كثيرا ، أما فى الصيف فأنا أقيم فى الجبل

---

(١) فبراير ١٩٦٠ .

فى بلودان ، كما تعودت ذلك منذ ثلاثين عاما !

— وعمرك كم سنة ؟

— أنا ولدت فى دمشق الشام فى ١٤ شعبان سنة ١٣١٤ هجرية .. هكذا أرخ أهلنا مولدنا على صفحة القرآن .

— ومتى تزوجت ؟

— لم أتزوج بعد !

— أليس لحواء نصيب من قلبك ؟

— أنا أعيش فى أزمات عاطفية منذ ١٩١٣ ، وفى كل خمس سنوات أقع فى أزمة عاطفية !

— أمع الشاعرات والأديبات فى سوريا ؟

— لا مع شاعرات ولا أديبات ، لأنه — فى القديم — لم يكن بين نساء سوريا أديبات ، ولا شاعرات ، ولكن على كل حال مثقفات ثقافة ابتدائية ، أو ثانوية !

خفة الروح !

قلت لأبى تمام القرن العشرين كما يحلو لبعض الشعراء أن يسميه :

— كيف يتصور خيالك الشاعرى الفرق بين المرأتين السورية والمصرية ؟

— أولا : أنا لم أتصل بكثير من النساء المصريات حتى أستطيع أن أعرف مقدار ثقافتهن . ان القليلات منهن اللواتى أعرفهن لهن ثقافة متينة .

أنا أنظر الى المرأة المصرية من زاوية ثانية غير زاوية الثقافة ، فأنا أراها جميلة وخفيفة الروح ، ولا سيما فى جرسها ونغمها وسرعة نبرات صوتها .. ولا يستبعد أن تكون المرأة المصرية — من حيث الثقافة — شبيهة بالمرأة السورية ، لأن الجامعات والمدارس الثانوية تكاد تكون متشابهة ، والوحدة الفكرية بين الاقليمين متقاربة .

— قلت له :

— بمناسبة الوحدة الفكرية بين الاقليمين سمعت أنك كنت — وما تزال — شاعر الوحـدة الأول فما هى أقرب قصائدك فى الوحدة الى قلبك ؟

وفى تواضع ظاهر قال :

— لعلها القصيدة بعنوان (هذا فؤادى) .

— وماذا قلت فى مطلعها ؟ وكم عدد أبياتها ؟

— كانت تقرب من مائة بيت .. وقلت فى مطلعها :

يا دامى الجـــرح لا جرح ولا ألم
الجرح بعد انتفاض العـــرب ملتئم
امسح دموعــك ان ماجت موائجها
فكل جرح عــلى الأيـــام يلتئم
الله أكبر هــذا الصــوت من مصر
دوى فزلزلت الأطـــواد والأجم
فى كل غاب ضــجيج من مواكبهم
وكل طود عـــلى هاماته شـــمم
كأنهم والأعــادى نصب أعينهـــم
سيل يفيض عــلى أعدائه عـــرم
هل العيـــون خلال الليل فى يقظ
أم العيـــون على أجفانها حـــلم
كلا وربك ما فى العـــين من حلم
وانما العـــرب ثارت فيهم الهمم

— ومتى بدأت تنظم الشعر ؟

— منذ أكثر من خمسين عاما مضت بعد أن انتهيت من المدرسة .

— وفى أى مدرسة تلقيت علومك ؟
— فى مدرسة الفرير فى دمشق ، وهى مدرسة رهبان فرنسية وانتهيت من الدراسة فى سنة ١٩١٦ أيام الحرب الكبرى .

قلت :

— تعنى أن كل تعليمك كان بالفرنسية ، فكيف توافرت لك أسباب التعمق فى اللغة العربية حتى أصبحت شاعرا فحلا ؟

قال :

— العربية درستها وحدى من كتب الأدب القديم .
— ألم توجهك أسرتك وجهة عربية ؟
— أسرتى كانت تتجر فى الأقمشة وفى المواشى .
— وانت اتجرت فى الأدب .. أليس كذلك ؟
— لأنى لا أحب التجارة .
— وكيف ؟ وكان يمكن أن تدر عليك ربحا ضخما بالقياس الى مهنة الأدب التى لا تدر شيئا من الربح !
— لأنى لا أفتش عن الأرباح ، وأنا أهتم بما يكفينى فى حياتى بحسب مقامى الاجتماعى . فالتجارة أكرهها فى الأدب ، كما أكرهها فى السياسة !

العامية تقتل الوحدة !

قلت لشاعر الاقليم الشمالى العملاق :

* أراك تحرص دائما فى الرد على أسئلتى بأسلوب عربى فصيح فهل يعنى ذلك أنك لا تكتب ولا تتحدث أحيانا باللغة العامية ؟

وفى ثورة مكبوتة — وقد تضرجت وجنتاه بدم قرمزى — سمعته يجيب فى استنكار :

– أنا أعارض الكتابة بالأسلوب العامى .. وأخالف كل من يدعو لها كل المخالفة ، اذا كنا تتغنى بالوحدة العربية فاللغة الفصحى هى وحدها التى تضمن هذه الوحدة ، لأن اللغة العامية تختلف فى كل قطر . وتختلف فى كل عصر ، فاذا جرينا عليها فقد يأتى يوم لا يستطيع فيه ابن الشام أن يفهم ابن مصر ولا ابن مصر أن يفهم ابن الحجاز مثلا ، أما اللغة الفصيحة فان الأقطار العربية كلها تفهمها على أحسن وجه .

— قلت لعضو المجمع العلمى فى دمشق ، ومقرر لجنة الشعراء فى المجلس الأعلى للفنون والآداب فى القاهرة :

— يخيل الى أنك تضيق بالشعراء المحدثين الذين لا يلتزمون — فى شعرهم — القوافى والأوزان ؟

قـال :

— أنا أطالب بالمحافظة على روح اللغة العربية فى الشعر ، ومناهضة هؤلاء الذين يريدون أن يتحرروا من كل فن لأن الوقت لا يتسع معهم للقراءة والمطالعة يريدون أن يكونوا شعراء فى ليلة وضحاها من دون تعب ولا معاناة ولا جهد ، وما علموا أن العبقرية نتيجة جهد جاهد .

قلت :

— وما رأيك فى نقابة الشعراء التى يرأسها عزيز أباظة ولم لا يتفق شعراء الاقليمين على مناهضة المتشاعرين ؟

قـال :

— أنا أعتبر عزيز أباظة يمثل الشعر العربى المحافظ على عمود الشعر ، فاذا ألفت نقابة للشعراء وكان عزيز نقيبها فلا شك أن هؤلاء الشعراء كلهم سيحافظون على عمود الشعر العربى .

والوضع هنا من حيث الشعر كالوضع فى دمشق ، ففى دمشق شعراء من أصحاب العمود والمحافظين على روح اللغة فى شعرهم ،

وكذلك فى سوريا شباب من الشعراء يريدون أن يتحرروا من كل قيد .

قلت له :

— وماذا تنصح لتدارك الموقف ؟

قـال :

— اذا كان الله لم يخلق شابا من الشباب شاعرا فليستغن عن الشعر ، واذا خلقه شاعرا فليجهد نفسه فى تتبع الشعر البليغ وليبدأ بالشعر العربى القديم ثم بالشعر العربى الحديث .. ثم بشعر الافرنجة .. ولا ينبغى أن يستعجل !

وانتقل الحديث الى تقدير الدولة للفنانين والأدباء والعلماء وكيف خصصت الجوائز المادية للممتازين من أبنائها ..

قلت :

— ومن الذى ترشحه الدولة التقديرية فى الآداب هذا العام ؟

وسمعته يقول بلهجة الواثق :

— أنا أول من رشح العقاد لجائزة الدولة فى الاقليمين لأننى كتبت الى المجمع العلمى كتابا بهذا المعنى بصفتى عضوا فيه ، وأنا مقرر لجنة الشعر التى رشحته هنا ، وهو سينال الجائزة هذا العام بكل تأكيد .

قلت له :

— يقال أنك تنهل من نبع أبى تمام الذى كان يصف بطولة العرب فى صور حية وأنت تشير على نفس الدرب . فهل تعتبره مثلك الأعلى ؟

قـال :

— أنا لم أستفد من شاعر واحد ، ولا من كتب واحد ، وانما كنت أتنقل من شاعر كبير الى شاعر كبير ومن كاتب كبير الى كاتب كبير .

قلت :

— ومن تراه أكتب الكتاب عندنا ؟

قـال :

— لا يهمنى أن أعرف من هو أكبر الكتاب . لكل كاتب مزية خاصة به فقد أظلم كاتبا اذا قلت فى آخر انه أكبر الكتاب الا أنى أستطيع أن أقول لك مزايا بعض أئمة الكتاب ، مثلا طه حسين مشهور بسلاسة بيانه ، والعقاد بقوة تفكيره ، والزيات ببلاغة أدبه .

قلت له :

— هل تعتقد أن هناك فرقا كبيرا بين عمر أبو ريشة وبين المتنبى ؟

قـال :

— اعفنى من هذا الجواب .. اذا كان فى هذا العصر شاعر يشبه المتنبى — من بعض الوجوه — فشوقى هو وحده الذى يشبهه فى بعض شعره لأنه تأثر به ، كما تأثر بغيره .

آفا جاردنر شيطانى !

وانتقل الحديث الى المشاكل العاطفية التى تعرض للشاعر الكبير كل خمس سنوات قلت :

— عرفتنى أنك تصاب بأزمة عاطفية كل خمس سنوات فمن تراها سعيدة الحظ التى وقعت فى شراكها فى السنوات الأخيرة ؟

قال — وهو يضحك :

— أنا فى الواقع لم أجد فى حياة الشعراء القدامى كالمتنبى وأبى تمام والبحترى وبعض شعراء الجاهلية ما يدل على اهتمامهم بالحسناء الا ما ورد فى قصائدهم من باب النسيب ، وهو قاعدة عامة فان لكل شاعر قاعدة : هذا يهتم بالحسناء .. وهذا يهتم بالطبع ، وأشعر أن سعادتى فى الشعر أن أصل الى ما يمكن الوصول اليه .. فالصلة بالحسناء نعمة الحياة !

قلت :

— أهي التى تلهمك أم هناك شيطان معين كما يقول الشعراء ؟

قــال :

— فى القديم كانوا يعتقدون أن لكل شاعر شيطانا ، ولكن لا شيطان ولا عفريت .. وانما الشاعر يستوحى قلبه فهو شيطانه وهو عفريته !

قلت :

— ومن تظنها تلهمك أكثر من غيرها ؟

قــال :

— آفا جاردنر . وأنا لا أذهب الى السينما الا اذا علمت أن بطلة الفيلم آفا جاردنر فحينئذ أسعى اليهــا ، ولا أرى فى كل النساء اللواتى عرفتهن امرأة تأثيرها مثل آفا جاردنر .. وانى آسف على تقدمها فى السن ، فليتها متعت بشباب خالد !

قلت له :

— ومن تهوى بعد آفا جاردنر ؟

قــال :

— لم يخلق الله ميلا خاصا لى فى شىء ، فأنا أوثر الراحة على كل شىء ، ولذلك أنعم كثيرا بفصل الصيف لأنه يمكننى من التمتع بطبيعة الجبل الذى أصيف فيه ، ولى ميل الى الجمال فاذا رزقت منظرا جميلا فى المرأة أو غيرها فهذا من هواياتى .. اننى أشد الناس ولعا بالمرأة .. أولع بالنساء ، وأنا أبعد الناس عن المرأة .

قلت :

— ومن هى آخر الملهمات وماذا قلت فيها ؟

قــال :

— هذه مسائل سرية وقد أقسمنا ألا تنشر الأبيات التى قيلت فى تلك الانسانة التى لا تخرج عن دائرة الأدب !



د . طه عميد الأدب العربى

أدبه بصفة عامة أدب التصوير الموحى .. يعتمد على تجسيد الصورة ، حتى فى بحوثه العلمية ! ويستخدم فى عملية التصوير أسلوبا خاصا به ، قوامه الأوصاف المتعاقبة والترديد مع ايقاع يوفر نغما سرعان ما تألفه الأذن .. ومن هنا نستطيع أن نفسر لماذا نحب طه حسين الأديب !

يكتب القصة بنجاح .. لأنه يعيش فى مأساة مستديمة ، وعناصر القصة عنده مستمدة من عذابات البشر .. فالمجتمع الممزق الحزين البائس المشوه مادة قصصه ، ومن ثم امتازت بسواد يكشف عن نزعة تشاؤمية .

ويكتب فى الاسلاميات فيحسن تصوير أمجاد الأوائل الذين شيدوا حضارة يؤمن بجدواها بقدر ما يؤمن بجدوى حضارة اليونان ، وهو أكثر ايمانا بأثر هؤلاء اليونان على العقليات الناهضة التى قادت المجتمع الاسلامى ردحا طويلا من الزمن .

ويقرأ الآداب الأجنبية وينقل عنها .. فلا نكاد نحسب أنه يترجم ، لأنه يصدر فى الترجمة عن فهم عميق للنص الذى يقرأ .. ونستطيع أن نقول ان روحه قد تغلب أحيانا على روح المؤلف الذى يترجم له فيكون ما نقرأ طه حسين فى اطار أجنبى .

وبين القصة والبحث والتعريب ينهض طه حسين عملاقا .. متمكنا .. ومن ثم لقب بعميد الأدب عن جدارة واستحقاق !

فان ناقشنا آراءه فيما كتب لاحت لنا شخصية عنيدة مترفعة .. أرستقراطية فى بعض الأحيان ، مع أنه انحدر من أسرة ريفية متوسطة على أحسن الفروض ، ولكنها انسانية محبة للبشرية على الدوام .



صورة نادرة جمعت طه حسين ومحمد فتحى وأمين الخولى ،
وهم بملابس الاحرام فى مكة المكرمة

وانت .. هل جلست مرة تتحدث الى طه حسين ؟

— هل استمعت الى صوته وهو ينساب عميقا مهيبا فى مكتبته الضخمة .. التى لا يعرف عدد ما فيها من كتب ؟ !

ان كان الحظ لم يسعدك الا بالاستماع اليه فى الراديو .. أو فى محاضرة عامة .. فتعال معى الى فيلته التى بناها فى شارع الهرم ، وسط حديقة فسيحة حافلة بالأزهار والورود ، لتقف على شىء من حياة الرجل الذى لن يجود بمثله الزمن !!

وهناك يستقبلك عميد الأدب الذى بلغ السابعة والستين وما يزال يتمتع بثورة الشباب وقوته !

ولسوف يمر وقتك سريعا جدا .. وبلا حساب .. أما هو فسيحاسبك على كل دقيقة تنفقها معه .

ذهبت اليه للمرة الثانية هذا الأسبوع [1] ، وكانت المرة الأولى قبل سفره الى سوريا ..

وقبل أن أتقدم الى باب الفيلا الأنيقة طاف بخيالى ما حدث له أثناء غيابه عن مصر .. وكيف هلعت قلوب حوارييه .. وقلوب المصريين جميعا حينما أذاعت وكالات الأنباء أنه أصيب بأزمة قلبية .. وأنه طريح الفراش .. وحمدت الله الذى يرعى طه حسين .. دائما فى سفره واقامته ..

ولما التقينا كان فى رأسى أكثر من سؤال ...

وبدأت الأسئلة بمقدمة استمع اليها فى صبر ..

ثم قال على الفور :

— انت عاوز ايه النهاردة ؟..

قلت :

— لقد وعدتنى حينما أصدق القول فى حديث ابنك الدكتور مؤنس أن تسمح لى بوقت كاف تتحدث فيه الى قراء الأدب .. وتجيب على كل ما يعن من أسئلة .

وابتسم وأنا أعيد على سمعه شيئا مما نشر عن ابنه .. وعن الشعراء ..

وقال :

— خش فى الموضوع طوالى ..

---

(١) مايو ١٩٥٧ .



د . طه حسين والى يمينـه ابنـه د . مؤنس فى سهرة عائلية

قلت :

— أثار مرضك عواطف الكثيرين ، وظن لبعض أن وكالات الأنباء كانت مغرضة فيما أذاعته عنك لحاجة فى نفس يعقوب .. فما هى الحقيقة ؟ .

قال :

— واقع الأمر أنى أصبت بشىء من برد وأجلت السفر من دمشق يوما ، وعنيت السفارة المصرية بأمرى فلم تكتف بأن يعودنى طبيب واحد بل عادنى غير طبيب .. ووصل نبأ هذا المرض الى رئيس الجمهورية ؛

ورئيس الوزراء ، فأظهرا اهتماما وعناية . وكان هذا كله قد بلغ وكالة من وكالات الأنباء ، فبالغت فيما أذاعت من نبأ ، وأنت تعلم أن المبالغة طبيعة لوكالات الأنباء ، كما أنها طبيعة للصحافة .. فى هذه الأيام !!

الأدب فوق البغض والحب

وتطلعت الى كبير أدباء مصر ، وأنا أردد على سمعه شيئا مما حدث أخيرا بين صفوف أدباء فرنسا ، وكيف ثاروا على الجرائم الوحشية التى ترتكبها حكومتهم ضد الوطنيين فى الجزائر .. وكيف أعلن زعيم الوجودية « جان بول سارتر » سخطه عليها ، ومعه « فرانسوا مورياك » الذى أعلن أن فرنسا تنكرت للمبادىء الانسانية ، التى نشرتها على العالم فى القرن الثامن عشر ! وكيف صرخ البير كامى بأن فرنسا تستأصل نفسها الآن .

ثم قلت :

— هل ما زلت على حبك لهذا البلد ولثقافته بعد كل ما حدث هنا ويحدث الآن هناك .. ضد الآمنين الأبرياء ؟ .

فقال :

— ان ثقافة فرنسا تحب من حيث هى لا من حيث أنك تحب أصحابها أو لا تحبهم ، فخذ من الفرنسيين ما يروقك وينفعك سواء أحببت الفرنسيين أو كرهتهم .. ويجب أن تذكر دائما أن الثقافة والعلم والأدب والفن شيء فوق الحب والبغض ، وفوق العداء والصداقة ، وفوق كل هذه الاعتبارات ، بل هى تطلب لنفسها مهما يكن مصدرها ، ولست تستطيع أن تطرح شكسبير لأنك تخاصم الانجليز ، ولا أن تطرح ڤولتير لأنك تخاصم الفرنسيين ، ولا أن تطرح تولستوى لأنك لا تحب الشيوعية !..

ثم مضيت أفتش عن الأسئلة التى كانت تزدحم فى خاطرى قبل أن ألقـاه ..

وبسرعة قلت :

— لابد أن الأستاذ العميد قد علم باحتجاج العلماء .. ورجال الدين فى العالم على اجراء التجارب الذرية .. فلماذا لم يحتج الأزهر حتى الآن على اجراء هذه التجارب ؟ ..

فقـال :

— سل شيخه .. ولا تسلنى ! .

واستطردت أقول :

— وما رأيك أنت فى التجارب الذرية والهيدروجينية وتوجيه العلم لتخريب العالم وهل لك أن تساهم فى الدعوة لوقف هذه التجارب ؟ ..

فقال على الفور :

— ان هذا شر .. وان كل انسان يحب الخير ويقدر الأخلاق ، ويحرص على كرامة الانسان وحقه فى الحياة الصالحة الراقية ، يجب أن يقاوم توجيه العلم الى أغراض لا ينبغى أن يوجه اليها ؛ لأن كل شىء انسانى يجب أن يكون الغرض منه أولا اصلاح حياة الانسان وترقيتها ، فاذا عدل عن ذلك فهو اثم يجب على كل انسان أن يقاومه ومثل الذرة الآن كمثل القمقم الذى أخرجه الصياد فى ألف ليلة وليلة ، وفتحه يظن أنه سيجد فيه كنزا فوجد فيه ماردا ، ولكن ذلك الصياد استطاع بحيلته أن يرد المارد الى قمقمه ، ويغلق القمقم ولا يفتحه مرة ثانية

الا بعد أن ضمن أن هذا المارد سينفعه — ان خرج — ولا يضره ، فخير للعلماء أن يتركوا ذرتهم أن عجزت الانسانية عن توجيهها الى ما ينفع الناس فى حياة آمنة قوامها السلام ..

علموهم لغات الدنيا

— يقال ان الاهتمام باللغات الأجنبية بدأ ينهار .. فما رأيكم فى هـذا الذى يقال ؟

— المطلوب فى تعليم اللغات هو أن تفسح أمام المصريين أبواب الثقافة كلها بقدر الامكان ، بحيث لا يصبح العقل المصرى محتكرا للثقافة الفرنسية والانجليزية ، وأرجو ان شاء الله أن تعلم فى مدارسـنا الروسية والايطالية الى جانب الألمانية ليختار كل طالب من بينها لغتين وبذلك يوجد فى مصر شباب يستطيعون أن يترجموا من كل لغـة لها ثقافة ممتازة .

قلت للرجل الذى ربى جيلا كاملا من الجامعيين :

— كنت أول رائد فى انشاء الجامعة ، وكان الغرض من انشائها أن تقود الحركة الفكرية فى مصر .. فهل حققت هذه الأهداف ؟ ..

وقطب العميد ما بين حاجبيه ثم قال :

— ليس فى ذلك شك .. فالذين تعتمد عليهم مصر فى الطب والقضاء ، والهندسة ، على اختلاف فروعها وفى التعليم وفيما شئت من المرافق العامة ، يخرج أكثرهم من الجامعات ومعنى ذلك أن الجامعات أصبحت ضرورة من ضرورات الحياة المصرية ، لا تقوم الحياة فى مصر الا بها .. وكل منصف يرى أن مصر تعيش الآن خيرا مما كانت تعيش فى أول هذا القرن ، وللجامعات نصيب خطير فى هذا الرقى ، وليس معنى

هذا أن الجامعة فى مصر قد بلغت كل ما يرجى لها من الرقى والاستقرار

قلت :

بل معناه أن شيئا خير من لا شيء .. وأن الطريق أمام الجامعة ما زالت طويلة شاقة ليصح أن تسمى جامعة ..

— كنت من مؤسسى كليةِ الآداب .. وبالذات رئيس قسم اللغة العربية فيها .. ونحن نسمع هذه الأيام ما يدور حول الغاء هذا القسم ، وضمه الى دار العلوم ، فهل ترى صالحا للبلد فى هذا الضم ؟ .

— قيل هذا منذ عامين ، وكتبت مقالات معارضا له أشد المعارضة ، وأخذ وزير التربية والتعليم برأيي ؛ فلم ينفذ ما كان قد فكر فيه ؛ أو فكر فيه بعض الجامعيين من الغاء أقسام اللغة العربية فى كليات الآداب ، وما أظن أن أحدا يفكر الآن فى العودة الى هذا التفكير لأننى واثق بأن مصر تمضى الى أمام .. وليس فى الأرض من قوة تستطيع أن تردها الى وراء !.

الا من طريقة لتبسيط النحو ؟

جددت فى الأدب فلماذا لم تبتدع تفكيرا عصريا فى دراسة النحو يتمشى مع العلوم العصرية ؟ .

— التفكير سبق فى المجمع اللغوى من ١٣ سنة ، ونام فى وزارة المعارف ويحاول وزير التربية الآن أن يوقظه ، أو يوقظ بعضه .

والمجمع اللغوى أعد مشروعا لاصلاح النحو وجعله سهلا ويسيرا بحيث يستطيع تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية أن يتعلموه فى غير مشقة ، ورفع هذا المشروع الى وزارة التربية والتعليم منذ أكثر من عشر سنين ونام هناك ؟



طه حسين ، وهو فى الرابعة والسبعين

— وكيف نام المشروع وقد كنت وزيرا للمعارف أثناء بعض هذه الفترة ، وبالذات ابتداء من سنة ١٩٥٠ ؟ !

— شغلت عن ذلك بنشر التعليم .. كنت أريد أن أيسره لأناس كثيرين .. ولكنني حدثت فى ذلك الأستاذ وزير التربية الآن فأخذ مشكورا فى العناية بهذا المشروع .. ويرجى أن يتم هذا فى العام المقبل ان شاء الله .

الماء .. والهواء .. أولا !

— الى أى حد نفذ منهجك الذى وضعته فى كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » وهل لا تزال عند رأيك وما ناديت به .. وهل حققت منه شيئا ؟.

— مستقبل الثقافة فى مصر نفذت منه كثيرا .. وينفذ وزير التربية منه أكثر مما نفذت ، فقد بدأت تعميم التعليم ، وقلت أنه كالماء والهواء — حق للمصريين جميعا .. ولكن لم أتم هذا التعليم ، وأخذت وزارة حكومة الثورة فى اتمامه ، فهى تنشىء المدارس فى أعماق طبقات الشعب ، ولن تمضى أعوام كثيرة قبل أن تمحى الأمية فى مصر محوا ويصبح المصريون جميعا قارئين كاتبين ، يطمحون الى المزيد من التعليم ، ويرون أن تعميم التعليم لم يكن الا الخطوة الأولى ، وأن تربية هذا التعليم — بعد تعميمه — هى الخطوة الثانية ، التى يجب أن تجد الحكومات فى تنفيذها .

سيؤمن العرب بطريقتى

— ابتدعت طريقة جديدة فى الهجاء لم يعتنقها — حتى الآن — سوى الدكتور طه حسين .. فالى أى حد سوف تستمر فى طريقتك ؟ .

— سينتهى العرب جميعا الى الايمان بأن الكتابة العربية يجب أن تصور النطق أكثر مما تصور الوهم ، واذا فرض التعليم على الشعب كله

فيجب أن يصبح هذا التعليم يسيرا يستطيع الشعب كله أن يأخذ منه بحظه دون أن يبحث عن أوهام لا يكاد الناس يعرفون لها أصلا .. ومن الحمق كل الحمق أن تكلف الصبية أو الملايين من الصبية الذين يتعلمون فى المدارس أن يبحثوا عن أصل الألف أواو هو أم ياء ، ليكتبوها مرة ألفا .. ومرة ياء . !

وانما أيسر أصول التربية أن يكتبوا الألف كما ينطقونها ، لا فرق فى ذلك بين سعى التى يكتبونها اليوم ياء ، ودعا التى يكتبونها اليوم ألفا .. كلتا الكلمتين تنطق ألفا فلتكتب ألفا !

— وهل تعتقد أن تلك الطريقة ستحل مشكلة اللغة .. وقد لقيت الطريقة التى تشبهها فى أمريكا صعوبة فى بلوغ الهدف ؟

— ستيسرها ولكنها لن تحل كل المشكلات .. ولم يكن ما عرفته الا نموذجا بسيطا لشىء ضخم معقد ، وهو أن تكتب الألفاظ كما ينطقها الفم وكما تسمعها الأذن .

وكل هذه الأشياء تأتى من أن الناس — حتى الأوربيين والأمريكيين — لم يستطيعوا بعد أن يخلصوا من آثار الماضى ، ولا سيما الآثار التى لا مصلحة فى بقائها .

الحريق .. الذى يسمى الجهل !

— هل تعتقد أن مستوى التعليم فى مصر يتطور الى أفضل ؟ .

— أرجو أن يكون ذلك بعد أن يفرغ المصريون من تعميم التعليم ، ولا يبقى أمامهم الا العناية بترقيته ؛ أما الآن فطبيعة الأشياء وضرورة الحياة تفرضان على القائمين بأمور التعليم أن يعلموا أكبر عدد ممكن من الصبية والشباب .. وكما قلت حين كنت وزيرا للمعارف أن فى مصر حريقا خطيرا يسمى الجهل فاذا انتظرت الماء المقطر لتطفىء به هذا

الحريق التهم كل شيء قبل أن تبلغ من اطفائه بعض ما تريد . وانما يجب عليك أن تحاول اطفاءه بما يحضرك من الماء .. وان لم يكن نقيا !

الأدب الشعبى غذاء كامل !!

— والدعوة الى احياء الفنون الشعبية ما رأيكم فيها ؟ .

— رأيى أن الفنون الشعبية مصدر رائع من مصادر الأدب الرفيع يجب أن يستمد منه الأديب ما يتيح لأدبه أن يكون صادقا ممثلا للبيئة التى يريد أن يصفها دون أن ينزل هو بأدبه الى طبقة الفنون الشعبية .

— وهل يتفق الاهتمام بالأدب الشعبى العامى مع الدعوة الى القومية المصرية ؟ .

— قطعا ، لأننا سنغذى به الأدب الرفيع .

الحب فى حياته !

— واضطررت أن أهبط من سماء الأدب الرفيع العالى .. الى دنيا الناس .. وأن أجعل أسئلتى تخرج من الموضوعية الى الذاتية .. فبدأت أسأل طه حسين أسئلة من لون جديد .. وبدأ هو يعلن عن سخطه واضطراره الى اتخاذ وسائل أقل ما فيها الامتناع عن الاجابة عن كل سؤال جديد حينما قلت له :

— حبيت كم مرة ؟

وانفجر ضاحكا .. ثم قال فى غيظ !

— مرة واحدة !!

— ومن هى سعيدة الحظ التى وقعت فى حبها ؟

— مراتى .

وبسرعة خطر على بالى ما حدثنا عنه فى قصته « أديب » — حينما كان

يقصد دار صديقيه عثمان ومحمود فلا يلقى اليهما الا باحدى اذنيه ، أما الأذن الأخرى فكانت هناك .. داخل الدار ومعها نفسه كلها .. يريد أن يسمع صوت عزيزة وأمينه أختى عثمان ومحمود .. ويومها كان يعد نفسه أسعد الناس ..

— فقلت :

— لقد عرضت فى كتبك لحبك .. ولحبيباتك أكثر من مرة وفى أكثر من مناسبة .. فهلا ذكرت شيئا من ذلك الآن ؟.

واستغرق فى الضحك .. وعاد يهددنى باستدعاء سكرتيره الخاص ثم قال :

— بلاش كلام فارغ !!

— ومن التى كانت لذيذة الوقع فى قلبك — كما قلت فى الجزء الأول من الأيام ؟.

— كنت أقرأ على زوجها القرآن بالتجويد .. وكان لعب عيال !.

وضاق بأسئلتى حينما عدت أسأل عن الأطياف الأخرى التى عرضت فى حبه .. ومن طيف « فرتند » حسناء فندق جنيف بمرسيليا ، والتى حدثه عنها صديقه بطل قصة أديب .. ثم قلت :

— ألست قائل هذه الأبيات ؟ .

شق قلبى ما يعـــــانى	من تبـــــاريح الهـــوى
بعشـــق الحســـن ولكن	ليس يحظى بالوصـــــال
أنا مـــن وصـــل حبيبى	بين صـــــد ونـــوى
من عــذيرى من بخيـــل	ضن حتى بالخيـــال ..

هجوم خاطف على الاذاعة

— ألست ترى أن القراء يحبون مثل هذه الألوان من الأحاديث ؟ .

فقال :

— يفضل ما تكتبونه .. تكتبون لهم سخافات كثيرة .. وتصب الاذاعة فى رؤوسهم سخافات أكثر فيتعودون السخف .. ويعيشون عليه ، وهذا هو الشر كل الشر ! ..

لست مع منصور فهمى !

— وماذا ترى فيما يطالب به الدكتور منصور فهمى من منع الشباب من زواج الموظفات الا للضرورة القصوى ؟ .

واعتدل فى كرسيه فى شىء من الحماسة فقال :

— الذى تبيحه الدولة للموظفين يجب أن تبيحه للموظفات ، وليس ينبغى أن نجعل وظائف الدولة كارثة بالقياس الى نصف المواطنين ، ومزية بالقياس الى نصفهم الثانى ..

— ويرى الدكتور منصور أن كمساريات الاتوبيس يخطفن اللقمة من يد أخى وأخيك .. فما رأيك فى ذلك ؟

— ألسنا نعيش على أن يخطف كل انسان ما يستطيع أن يخطفه ..

وأردت أن أختم حديثى مع عميد الأدب بأسئلة تعيد الى الجلسة جوها المعطر بأسلوبه الأدبى النادر وقبل أن ينفذ تهديده بالامتناع عن الاجابة أو بدعوة السكرتير ، قلت وأنا أهم بالانصراف :

— هل تذكر عدد الكتب التى ألفتها ؟

— لا أعرف بالضبط .. المهم أنى لا أعرف فيما بينى وبين نفسى أنى ألفت كتابا له قيمة حقيقية .. و لاتعد هذا تواضعا ، أو تظاهرا بالتواضع فالله يعلم أنى لا أقول الا ما أعتقد .

— وكم كتابا تقرأ فى اليوم ؟ ..

— ليس المهم أن تعد الكتب التى أقرأها ، وأنما المهم هو أن تعلم

أنى اذا لم أشغل بالعوارض التى تصرف الناس عن القراءة ، وبالزيارات ... وبأسئلة كأسئلتك هذه ، فليس الا القراءة ..

— وكم عدد الكتب التى تضمها مكتبتك ؟

— لا أعرف باخلاص .

— ومن هم أحب تلاميذك الى قلبك ؟

— اترك صيغة التفضيل هذه .. وقل انى أحبهم جميعا ؟ .

— وكم يبلغ رصيدك من تأليف الكتب ؟

— حسب الانسان أن يحيا كما يريد .. وأن يؤدى الواجب .. ويرضى أمام ضميره .. ولا يستخذى من نفسه اذا جنه الليل وكل ما عدا ذلك لغو .. من اللغو !!



د . طه والى يساره زوجته

محمود تيمور



تيمور وهو فى السبعين

ان تيمور هو الأديب الوحيد بين أدباء الجمهورية العربية المتحدة الذى لم يرتزق من قصصه أو مقالاته طوال أيام شبابه ، انه القصصى المطبوع الذى سيقف على القمة حينما يؤرخ لكتابنا ..

وقف على أسلوب الرومانسيين وفهم الطريقة التى تحول بها الفنانون الى الواقعية ، فأخذ من الأولين احترامهم لذاتيتهم واستمد من الآخرين فهمهم للحياة وكيف انها أصل التجربة ، وبتعميقها ، وبالزاوية التى يحدد منها الفنـان موقفه .. تنبعث الصور التعبيرية فى ثوبها الأنيق .. لأنه رومانسى .. وفى صدقها الفنى لأنه واقعى ، وهكذا بدأ السير الى الأمام ..

ربما ترى فيه — حتى الآن — بعض ما فى جى دى موبسان وما فى تشيكوف وما فى جوركى .. انه لا يخلص من طبعه ولا يبتعد عن نفسه ، وآية ذلك انه حينما بدأ يكتب سجل انطباعاته الخاصة تجاه الفلاحين فى ضيعة أبيه وكيف أنهم كانوا يعيشون فى مستوى أقل من مستوى كلاب الضيعة ! .

ان تيمور التفت الى واقعه — منذ شبابه الباكر فى مشكلاته وكفاحه من أجل مستقبل جديد .

هذا هو محمود تيمور الفنان . وأما محمود تيمور العالم فهو عضو المجمع الذى يؤمن بعروبته وبأداة هذه العروبة .. من حيث صلاحيتها للبقاء ومن حيث طواعيتها للتعبير ، ومن حيث قدرتها على أن تعبر على كل شىء ..

ومن هنا كان تيمور أحد المؤمنين بالفصحى وأحد الذين حاربوا دعوى العامية .. لأنها تفرق بين شعوب العربية من ناحية ولأنها أعجز عن تصوير الأعمال العظيمة من ناحية أخرى .

فى كل مرة كنت ألتقى فيها بتيمور كنت أكتشف فيه شيئا جديدا ..

فى نادى القصة عرفته حكما فى المسابقات التى ينظمها النادى بين كتاب القصة ..

وفى ندوات الأدب عرفته فنانا محبوبا .. عف اللسان .. لا يتكلم الا بميزان ، وفى مجلس الآداب والفنون عرفته عضوا مرموقا يقف الى جانب الحق عند التصويت على منح جوائز الدولة التشجيعية أو التقديرية .

وفى المجمع اللغوى لقيته أكثر من مرة وفى كل مرة كان حبى له يزداد ، واعجابى به يتضاعف [1] .

قلت لتيمور : ماذا ورثت عن أبيك غير المال .. ؟

قـــال :

عشرين ألف كتاب ولكنها سرعان ما نقلت الى دار الكتب كهدية منا ..

ومن أحاديثه عرفت انه ولد فى ١٦ يونيو سنة ١٨٩٤ فى درب سعادة وانه ما كاد يشب عن الطوق حتى هوى التمثيل وأخذ يروى لى الكثير من مغامراته فى فترة طفولته ، وكيف انه أمضى بعضها فى ضاحية عين شمس حينما كانت لا تضم أكثر من عشرة بيوت من بينها بيت أسرته وبيت الشيخ محمد عبده . وكيف انه واصل دراسته الابتدائية وما بعدها الى أن دخل مدرسة الزراعة العليا .. وكيف ان الأمراض انتابته بعد ذلك ، واستطاع أن يتغلب عليها بقوة عزيمته ..

وعندما سألت تيمور عن سر اتجاهه للأدب قال :

« حينما عاد أخى محمد تيمور من أوربا .. كان يدرس القانون فى جامعة (السوربون) ورجع وفى رأســه ثقافة أوربا الحديثة وباقات من الأفكار الجديدة فى الأدب والمسرح ، وسألته عن القانون ، فقال لى ، أنهم رفضوا أن يمنحوه شهادة فيه » ..

---

(١) مايو ١٩٥٧ .

ووجهنى أخى الى قراءة الأدب الفرنسى الحديث فقرأت معظم انتاج « جى دى موبسان » و « فلوبير » و « بلزاك » و « اميل زولا » .

وأمسكت قلمى لأكتب أول قصة فى حياتى .

كتبت قصة « جمال المنزل » ونشرتها فى جريدة « السفور » ..

ويمضى تيمور فيقول :

— كنا فى سنة ١٩٣٢ وكانت كتابة القصة أيامها مثل شم الكوكايين وكان شيوخ الأزهر يقولون ان القصة خيال من صنع الشيطان ، والكاتب الجرىء الذى يملك قلب الأسد هو الذى يكتب قصة ويضع فى النهاية اسمه ، ومن باريس كتب الدكتور حسين هيكل قصة « زينب » .

ولم يكن يملك قلب الأسد فأمضاها باسم مصرى فلاح وعندما عاد الدكتور حسين هيكل استقبله الأدباء استقبال الغزاة لأنه وضع بذرة القصة فى الحقل الجدب .

يومها شددت على يد البطل الغازى قلت له : أنت أستاذى .. وانطلقت أكتب القصة بشراهة وأضع بجوار بذرة هيكل أكواما أخرى من البذور .

صريح

ولقد عرفت الصراحة فى أحاديث تيمور أذكر مرة والمعركة دائرة حول جوائز الدولة التقديرية وكان هو من بين المرشحين لنيل جائزة الدولة فى الآداب ، الى جانب عزيز أباظة ، وفريد أبو حديد ، والشيخ أمين الخولى ، وأحمد حسن الزيات ؛ أذكر اننى سألته :

- لو طلب اليك — وسيطلب طبعا — بوصفك عضوا فى مجلس الآداب والفنون — أن ترشح أحد منافسيك ، فمن الذى ستعطيه صوتك .. ؟

فأجاب بصراحته المعهودة :

— سأعطى صوتى لعزيز أباظة ، لأننى أنا الذى أعددت المذكرة السرية بمبررات ترشيحه ، لجائزة الدولة فى الأدب ، ولا يعقل أن أتخلى عن تأييده بعد ذلك .. فأنا مرشح وسوف أرشح أحد خصومى فى المعركة ، عندما تعقد الجلسة النهائية للتصويت .

قلت لتيمور :

— وآخر انتاجك متى يظهر ؟

قـال :

— آخر انتاجى هو معجم الحضارة ، وقد طبعته على نفقتى الخاصة .

ومضى قائلا :

— انه يتضمن ألفاظ الحضارة التى دخلت لغتنا العربية عن طريق اللغات الأوربية ، وأقوم الآن باعداد بحث عن رحلتى الأخيرة لألمانيا الغربية ،

قلت لتيمور :

— ماذا تصنع عندما لا يردد الناس ألفاظك التى تقدمها — بالمئات — كل عام للمجمع اللغوى ؟

قـال :

— نحن نستعين بالصحف والكتب ، ونجعل منها فترينات لبيع هـذه الألفاظ .. وكثير من الصحف أصبحت تستعمل ألفاظى .

قلت له :

— انك تطالب باستعمال كلمات غريبة على السمع واللسان .. فهل تظن انك ستوفق ؟

قال وهو يضحك بصوت عال :

— الأيام بيننا :

قلت له :

— وكم قصة ظهرت لك حتى الآن ؟

قـال :

— ٤٥ قصة ما بين قصص طويلة ، ومجموعات قصص قصيرة ، وأبحاث ودراسات ..

انه تعود أن يقدم للمؤتمر العام للمجمع فى كل سنة آخر أنباء ألفاظ الحضارة وما يقابلها باللغة الفصحى ، وهى لا تقل فى كل مرة — عن خمسمائة لفظ ، انه طالما كشف الستار عن المعركة الخفية حول مسميات الحضارة ، وكيف ان الخلاف يدور أكثر ما يدور حول الكلمات العربية الفصاح ، وكيف يكون أيهما أحق بالايثار والاختيار ، وكيف انتقل الكفاح اللغوى من حرب الألفاظ العربية والألفاظ الدخيلة الى تنازع البقاء بغية انتخاب الأصلح الذى تكتب له الغلبة ولقد استمعت الى تيمور وهو يطالب الخالدين أعضاء المجمع كما يطلب كل من يقابله من الصحفيين والكتاب بعدم الوقوف موقف المتفرجين من هذه المعركة لكى تنتهى بانتصار اللفظ العربى على اللفظ الدخيل ، ولكيلا يحدث تبلبل أو اضطراب فى التعبير عن المسميات الحضارية بين الناطقين بالضاد فى بلاد عربية ، وتجنبا لعقبات التفاهم بين أهل الفصحى فى أطراف الوطن العربى الذى حارب الاستعمار لعله يستطيع تفتيته ، ولكنه سيتحطم قبل أن ينال بغيته ..

ولسوف اختار لك مجموعة من الألفاظ التى أعدها تيمور والتى ربما يكون معناها قد يضيف الى معلوماتك شيئا جديدا .. مثلا :

« سيرناد .. نجوى غرامية » الكوشة .. منصة العرس .. الطاقية .. قال بعض نقاد اللغة عنها بأنها محرفة من التقية وهى الاحتجاز والتستر ، التدشين ، أثبت تيمور انها كلمة عربية فصيحة فى أصلها ، فالعـرب يقولون « وشق الثوب لبسه أول مرة ، والعراش الثوب الجديد » ..

ان المطلوب منك .. بوصفك كاتبا ، أو قارئا عربيا أن تقول مثلا :

« الورق المحبر بدلا من ورق الكربون ، وأن تقول المصباح المشع بدلا من الفانوس السحرى ، والطيلسان بدلا من الروب ، واللفاع أو الخمار بدلا من الايشارب ، ومزملة النبيذ بدلا من الفياسكة ، والمنهدة بدلا من السوتيان ، والملاك أو القدر بدلا من كادر الموظفين ، وقطار النفق بدلا من المترو ، واللفة الرقاقية بدلا من الجاتو ، والقمرة بدلا من الكابينة ، وحلقة الخطبة بدلا من دبلة الخطبة ، والفرنيات بدلا من البتيفور » الى آخر تلك الألفاظ الجديدة التى كشف عنها تيمور وهى تجاوز الخمسمائة كما قلت لك .

ان من رأى تيمور ان هذه المصطلحات العلمية الموحدة بين الناطقين بالعربية ستضيق الفجوة القائمة بين اللهجات العامية فى البلاد العربية ، ان أمله أن يأتى الوقت الذى يتكلم فيه العراقى الفصحى فيفهمه السعودى . وانه اذا ما استجاب المجمع لآرائه وأقر المسميات الجديدة لألفاظ الحضارة ، وقامت الصحافة بدورها فى استعمال هذه المسميات فانه سيأتى الوقت الذى يفهم فيه أبناء العرب — فى جميع البلاد — بعضهم البعض ، حتى لو تكلم بعضهم باللهجة الاقليمية .

انه — فى قصصه — يقدم لنا ألوانا من الحب تتفق والبيئة التى عاش فيها الى جانب البيئات الشعبية .

ويعتقد الكثيرون أن تيمور مر بنفس التجارب التى مر بها أبطال قصصه » ولهذا كان صادقا فى وصف مشاعرهم ..

انه صورة لبطل قصة « شباب وغانيات » وحسبك أن تتابع التسلسل الروائى للقصة لتعلم أن بطلها سامى « ما هو الا محمود تيمور » .

وحسبك أيضا أن تقرأ له هذا الحوار الذى دار يوما بينه وبين بطلة احدى قصصه :

يقول البطل :

— المرأة لم تخلق الا لأمر واحد .

البطلة :

— ما هو ؟

البطل :

— انها خلقت للحب ..

البطلة :

— الحب ؟

البطل :

— الحب وظيفة المرأة ، وظيفتها الأولى فى المجتمع .

بقى أن أهمس فى أذنك بكلمة :

— ان محمود تيمور ما يزال يهوى الجمال ويعيش راهبا فى محراب الحب بالرغم من أنه أصبح جدا ، وتجاوز الثامنة والستين ..

***

اللقاء الثانى

فى الاسكندرية كنت أتصوره يقضى يومه على شاطىء المنتزه مع عرائس الالهام ، وحوريات البحر الساحرات .. ولكن شد ما كانت دهشتى عندما رأيته قد آثر أن يقضى الصيف بعيدا عن البحر وحورياته .. انه قد اعتكف فى البيت العتيق الذى ورثه عن أبيه فى ضاحية جانكليس ان كل ما فى هذا البيت يوحى بالقدم .. انه شيد — على ما يبدو — فى

القرن التاسع عشر .. حتى النخيلات ، أشجار المانجو ، والعنب من عمر البيت .

وأسأل محمود تيمور .. ولماذا فضلت الاقامة فى هذا البيت على البلاج ونحن فى عز الصيف .. فى أغسطس ؟

وبصوت هادى بدأ يحكى فصلا من قصة حياته فى الصيف ..

— مقدرش أبدا أروح البلاج .. أنا داخل السبعين .. شهر يوليو عشته فى البيت بلا عمل .. بلا قراءة أو كتابة .. بلا زيارات .. لم أدخل التليفون ولو أعطونى فلوس .. أصلى عايز أستريح من الارهاق طول السنة فى المجمع ، وفى المجلس ، وفى شهر أغسطس لم أرتبط بعمل أو بمواعيد .. الا مع الحكيمة التى تأتى الى هنا يوما بعد يوم لاعطائى حقنة مقوية .. أصلى ممروض .. طول عمرى .. والمصران الغليظ يعذبنى .

وعلى فكرة — رأيت تيمور قبل أن يجلس على الكرسى ، يجس حشائش الحديقة بكفه وهو يقول لى :

- أنا خايف لتكون الأرض باردة ! مع أن تيمور خرج الى الحديقة وحول رقبته التلفيحة والملابس الثقيلة .

وتمضى تفصيلات الفصل الأول من قصته مع الصيف :

— وسأطيل اقامتى — بقدر ما أستطيع — الى نهاية شهر نوفمبر القادم [1] ، لأن عينى اليسرى مصابة بالكتراكت ، وناوى أعمل عملية ، لكن اليود والرطوبة موصوفة لى .. بتقوى نظرى ؟

وينتقل الحديث الى البيت ، وأعرف من عزيس الأدب رقم ٥ ، وعلى فكرة الأول كان طه حسين والثانى توفيق الحكيم ، والثالث العقاد ، والرابع الزيات .. وأقول له :

(١) أغسطس ١٩٦٣ .

— أنا ملاحظ أن كل شبابيك البيت مغلقة كأنه — هو الآخر — يخاف من برودة الجو فى المساء وأسمع صوته الهادىء مرة أخرى يقول :

— الاحتياط أحسن .. الحقيقة المصران الغليظ تعبنى قوى هنا .. وفى أوربا .. وبالليل أحيانا أحس بلخبطة فى ضربات القلب على أثر أقل مجهود .. وأكلة دسمة . وعشان كده لا أتناول الا طعاما خفيفا فى المساء .

ومن الحديث أعرف أنه ينام سبع ساعات اذا لم تؤرقه آلام المصران .. أو اضطرابات القلب .. وأنه يعيش وحيدا فى البيت ، بعد سفر زوجته ، ولا يتردد عليه للزيارة والاطمئنان سوى حفدته ، من بنتيه حورية ، ونازلى ، وخديجة ومحمود رشيد ، وزينب وعلى أبو الفتوح .

التزاماتى كثيرة

ويدور الحديث بعد ذلك حول المشروعات الأدبية التى يفكر فيها ، أو التى سيبدأ تنفيذها بعد أن يستقبل الحياة ومتاعبها فى القاهرة عقب عودته من مصيفه .. وأسمع صوته كالهمس يأتى من بعيد ..

— يوسف السباعى أحال الى كتاب « يحكى أن » لطاهر لاشين ، وهو أول كتاب له .. وواحد من الكتب التى أعدت لها قائمة لتخرجها وزارة الثقافة فى سلسلة (احياء التراث العربى) مطلوب منى الآن مراجعة الكتاب .. ولعلى أستطيع القيام بذلك قبل رجوعى الى القاهرة .

قلت له :

— وكيف كانت مشاعرك بعد فوزك بجائزة الدولة ، وأنا أعرف أن الصراع عليها فى هذا العام كان مريرا ، وكان فريد أبو حديد يقف فى المقدمة وعزيز أباظة يريد الثأر ؟

قـــال :

— المسألة نجاح فكرة تمجيد الأدب والعلم فى أى شخص .. كفـاية أن واحــد فينا يأخذ الجــائزة .. دا رأيى ، وأنا قلته لعزيز أباظة وغـيره ..

— وماذا ستصنع بجائزة الدولة ؟

أجاب : — التزاماتى كثيرة .. وسكت .

قلت له :

— طه حسين اشترى قطعة أرض جنب ڤيلته فى الهرم بعد حصوله على جائزة الدولة .. وأنت كما يبدو من خطاباتك لزكى طليمات فى باريس قبل ٣٨ سنة — لا تؤيد فكرة اقتناء الأطيان ..

وتبادلت وتيمور قراءة أحد خطاباته القديمة — وكانت معى — الى صديق عمره زكى طليمات وهو يتلقى علوم التمثيل وفنونه فى باريس ١٩٣٦ ، ان الخطاب كان مؤرخا فى ٤ مارس سنة ١٩٣٦ وفيه يقول تيمور بالحرف الواحد بعد أن زار الضيعة التى كان يمتلكها والده (أحمد باشا تيمور) ورأى حال الفلاحين : (يالقحة الطبيعة ويالظلم الانسان ، ألم يصب تولستوى عندما وزع ثروته جميعا على الفلاحين ولكنى غير تولستوى ، ويستحيل أن أفعل ما فعل الا اذا وصلت لدرجة ايمانه بمبادىء العــدل والمساواة) .

قلت لتيمور :

— وماذا ترى الآن بعد أن تحقق حلمك القديم وانهار الاقطاع على يد من آمن بمبادىء العدل والمساواة جمال عبد الناصر ؟

قال تيمور :

— كنا أيامها فى سن الشباب .. وكنا حينما نذهب الى الضيعة تعطينا

الفرصة لكشوف جديدة فى الحياة المصرية ، وتقربنا من طبيعة الريف بكل ما فيها ، كنت على الرغم منى أحس بالفارق الكبير بين حياة المالك وحياة الأجير ، وكان يؤلمنى أن أرى هذا الفارق ، وأن أحس أن الأول يستمتع بقسط كبير جدا ، والآخر ليس له الا العدم .. كنا بقدر المستطاع نحاول أن نخفف على هؤلاء الناس بالمنح .. وكما قلت — من قبل — ان النفس البشرية لا يمكنها أن تتنازل بسهولة عما تمتلك .

المستقبل المشرق

سألته :

— وكيف ترى — بخيال الأديب — صـــورة مجتمعنا الجديد فى ظل الاشتراكية بعد خمس سنوات ؟

وانصرف عنى تيمور لحظة تطلع فيها بعينيه بعيدا .. الى الفضاء الممتد أمامنا على مدى البصر .

— بعد خمس سنوات يكون مجتمعنا الجديد قد قطع شوطا بعيدا فى الاشتراكية ، وتكون قرارات اشتراكية جديدة قد صدرت ، بعدها تظهر النتائج الطيبة فى هذا الميدان .. بعد خمس سنوات سترى أشياء محسوسة من حيث الدخل القومى ، الذى سيتركز فى البلد . ان المستقبل سيكون مشرقا بلا شك .

قلت : وماذا عن القصص الناجحة .. وخصائصها ؟

قال : القصة لا تكون ناجحة الا اذا كانت تساير الحياة الانسانية ، وصورة عن النفس البشرية .. لم يعد هناك ما يدعو لاخراج ملاك فى صورة بشر .. لابد من الخضوع للنفس .. ان على القصاصين فى المستقبل

ومنذ الآن .. أن يسجلوا صورا صادقة عن النفس الانسانية ، وأقصد بذلك النفس البشرية بكل ما فيها من منازع وغرائز بشرية .. اذا صدر هذا عن القصاص فقد نجح فى عمله ، وحقق خصائص القصة الناجحة ، وهذا ممكن الأخذ به . ولهذا أوصى كل قصاص فى مجتمعنا الاشتراكى أن يربط الموضوع بالنفس الانسانية والبشرية .

وسكت تيمور .

قلت له : ساكت ليه ؟ .

قال : اتكلم انت .

قلت : (ايه الفرق بينك وبين بلزاك ؟) .

قال : — وابتسامة تملأ وجهه الذى غضنته السنون :

— بلزاك رجل عملاق .. وأرجو أن أحقق بعض ما حققه بلزاك .

— وكم بلغت حتى الآن كلماتك الفصاح ؟

قال — والابتسامة لم تغادر شفتيه :

— ١٥٠٠ مصطلح .. ألف منها ظهرت فى كتاب يجمع معظم ألفاظ الحضارة ، والـ ٥٠٠ كلمة جديدة ستظهر فى عام ١٩٦٤ للملحق للمعجم الذى أصدرته أخيرا .

قلت له :

— فى بعض قصصك تكتب بالعامية فهل [illegible] عمن يكتبون قصصهم بها ، فى الوقت الذى أعلنت فيه وزارة الثقافة والارشاد الحرب على اللغة العامية ، باصدار المعاجم التى تشمل المصطلحات الجديدة ، كرائد الجيب ، والرائد المصور ، والرائد الكبير وغيرها ؟

قال : (مبدئى عدم الكتابة بالعامية انما فى بعض المواضيع يجب أن تكتب بالعامية ، بصفة مؤقتة ، مثال ذلك المسرحيات التى تقع أحداثها

فى بيئة مصر المحلية العصرية ، يجوز أن تكتب بها فى دائرة محدودة جدا .. اننا يجب أن نتعصب للغة الأم .. اللغة الفصحى .. غير أنه لا ضير علينا من الخضوع للظروف الاجتماعية التى تحتم علينا أحيانا استعمال العامية) .

سألته : وكم قصة كتبت حتى الآن ؟ .

أجاب : نحو ٥٠ قصة بين مجموعات قصص ، وروايات مطولة ومسرحيات ، ورحلات وأبحاث .

قلت : وماذا فى الطريق الى النور ؟ .

قال : « عندى قصة فرعونية طويلة ، ومسرحية طارق بن زياد (أين المفر) وستكون من نصيب زكى طليمات ليمثلها فى الكويت ، ومجموعة قصص (انتصار على الحياة) .. » .

مجددات الشباب

وفى نفس اليوم الذى التقيت فيه بتيمور — للمرة الثانية — كان الوقت ظهرا وحرارة الشمس تغرى وتطمئن ابن السبعين ليخرج من بيته العتيق .. وفعلا قبل دعوتى له بالخروج الى الشاطىء ، بعد أن ارتدى البدلة والصديرى .. ومن الس[illegible]طلقنا الى شاطىء المنتزه حيث (الكابين » الفخم الذى يقيم فيه حفدته) .

وهناك كان عناق حار وقبلات من حفيدتيه خديجة رشيد (١٧ سنة) وزينب أبو الفتوح (نفس العمر) .. وبعد لحظات يفد الى الكابين حفيداه محمود رشيد (٢١ سنة) وعلى أبو الفتوح (٢٢ سنة) .

ويدور بين الحفدة والجد حديث أعرف منه أنهم يريدونه أن يبقى معهم طوال اليوم ولكنه يرفض حتى لا يأتى المساء ببرودته ..

والتفت الى خديجة وهى خريجة المدرسة الانجليزية بمصر الجديدة .. وأسألها :

— هل قرأت شيئا عن قصص جدك ؟

وأعرف من الحديث معها أن أحب قصص جدها اليها : (غراميات سامى) .. و (الأطلال) .. وانها كثيرا ما تناقشه فيما يصدر له من قصص جديدة .. أما زينب وهى تجيد اللغة الفرنسية اجادة تامة فقد قالت لى :

— ان أحب قصص جدى الى هى : (شمس وليل) وانها قرأت ما ترجم له بالفرنسية من قصص .. (كل عام وأنتم بخير) و (شفاه غليظة) و (زهرة المرقص) و (حلم سمارا) و (حياة الشيطان) و (نداء المجهول) و (حياة الأشباح) والطريف أن تيمور حرص فى آخر رحلاته الى أوربا سنة ١٩٦١ على اصطحاب حفيدته خديجة .. انه يشعر أن التطلع الى حفيدتيه يجدد شبابه .. يبعث الأمل فى نفسه كلما أحس بضيق أو ملل .. وبهذه المناسبة قال لى :

— ان حفيدتى زينب من أحب قارئاتى الى .. انها قرأت معظم قصصى وتناقشنى عن فهم ودراية تفوق سنها .

أول .. وآخر حب

وكان آخر سؤال أوجهه الى تيمور يدور حول الحب .. وحول ملهماته ..

قال تيمور : (ان أول حب وآخر حب .. هو لزوجتى .. التى تزوجت منها فى مستهل سنة ١٩٢٠ ولم تكن التقاليد تسمح فى ذلك الحين برؤية العروس .. اننى لم أر زوجتى قبل الزواج . ولكننى أصررت على أن أرى صورتها .. ولما رأيتها أعجبتنى جدا ، وصرت أتساءل عن شخصية

صاحبة الصورة الجميلة ، وطريقة حديثها ، ورسمت لها فى خيالى صورة رائعة ولكننى لم أسرف فى التفاؤل كثيرا وفى يوم كتب الكتاب رأيتها وتحدثت اليها لأول مرة فوجدتها أجمل وأرق من الصورة التى رسمتها فى خيالى بكثير .. وأخذنا نلتقى كثيرا بعد كتب الكتاب وقبل الدخلة .. وكانت هذه الفترة هى فترة اختبار للحب الذى عشته بكل عواطفى وكيانى طول عمرى .. وزوجتى هى كريمة سعيد ذو الفقار .. وزوجتها ، وأحسست أنها حبى الأول والأخير وكانت كذلك وكان حبها هو الأول والأخير .. وكانت زوجتى الأولى والأخيرة وبعدها ختمت قلبى بالشمع الأحمر .. ولم أحب سواها ..



سمور مع حفيدته

عباس محمود العقاد



العقاد .. في مكتبته

العقاد فى مصر أربعة : شاعر كاتب ، وفيلسوف معلم ، وعالم مفكر ، ورئيس لجنة الشعر فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

وتلك سمة العباقرة ، والعقاد من عباقرة هذا العصر بلا جدأل !

وليست عبقريته فى أنه دخل التاريخ معلما من أضيق الأبواب ، وانما لأنه تقـدم بشخصية عارمة تربعت على عرش الثقافة والأدب ، بجرأة واصرار .

ومن مقعده هذا الرفيع استطاع أن يتوغل بأفكاره فى قلوب مريديه ، ويخاطبهم بلغة المنطق والواقع أن الحياة هى فى القوة فقط .

ولهذا نراه قويا .. ونرى أسلوبه قويا كذلك .

ونرى تفكيره ، وفلسفته ، وشعره ، ورأيه فى النفس والجمال ، والعقيدة .. نرى كل أولئك دافقا بالقوة التى لا تعرف اللين ولا الوهن .

وهذه القوة هى التى تجعله يكتب فى الذرة ، وصاروخ القمر ، كما يكتب عن صديقه اللدود صلاح عبد الصبور !

وهى التى جعلت كلمته الأولى والأخيرة فى لجنة الشـعر بالمجلس الأعلى ، فاذا أضفنا الى هـذا أخذه الحياة بمزاج فردى جائر رسمنا الخطوط الأخيرة لهذا العملاق الحاد الجرىء .

اللقاء الأول : (١)

سمعت العقاد وهو يتكلم عن المرأة ويقول رأيه فيها بكل صراحة .. قال :

---

(١) ١٩٦٠

« ان المرأة حيوان تابع .. وان أعظم السعادة عندها .. ساعة الولادة وساعة الألم فى نفس الوقت ! » .

وبعدها تكلم العقاد عن الله والوجود . ثم عن مدارس النقد ومذاهب الأدب والوجودية ، والمعسكر الشرقى والمعسكر الغربى !

وكان العقاد يتكلم وهو جالس وسط ندوة فى شقته المتواضعة بمصر الجديدة ..

وللعقاد عدا شقته التى يكتب فيها ويلقى ضيوفه ورواد ندوته شقة أخرى مواجهة لها ، تعيش فيها أسرة أخيه ، وفى الوقت الذى يريد فيه أن يعمل لا يطيق انسانا الى جانبه ، هكذا قال لى : ان الشقة من أربع



بعض تلاميذ العقاد يحيطون به فى احدى الندوات ويرى بينهم الشعراء كامل الشناوى وطاهر الجبلاوى ، والعوضى الوكيل

حجرات ، الأولى لضيوفه ، والثانية لنومه ، والثالثة لملابسه ، والرابعة لمكتبه . وفى كل حجرة رأيت صورا ؛ ولوحات وكتبا .. حتى فى الصالة رأيت كتبا وصورتين لمحمد عبده ، وجمال الدين الأفغانى ، وشموعا تسعفه عندما يداعبه فأر السبتية !

والشيء الذى يلفت نظرك فى حجرة ملابس العقاد أنك ترى البدل الكثيرة معلقة على حبال .. وعلى الحائط اطار فيه درجة جامعية تحمل اسمه ، واسم احدى الجامعات الأوربية ، وحينما سألت العقاد عن الدرجات الجامعية الفخرية التى منحت له من قبل أشاح بوجهه عنى ، ورفض أن يجيب على سؤالى .

ثم تأكدت أن هناك أربع درجات جامعية فخرية منحت له من جامعات مختلفة فى الخارج ولكنه يرفض أن يتكلم عنها . !

ومضى العقاد يتكلم معى عن ذكرياته أيام التلمذة فى أسوان وعاد بخياله الى الماضى البعيد . بعد أن سألته عن حقيقة القصة التى رواها لى أحد زملائه من أنه هو والعقاد وصالح حرب ، صعدوا ليلة القدر الى الجبل وأن كلا منهم طلب من الله أن يحقق له أمنية معينة وأن أمانى التلاميذ الصغار قد تحققت بالفعل .. قال :

— أيامها كان صالح حرب سابقنى بسنتين وكان عبد المجيد صبرى معايا فى الفرقة ؛ وكنا قريبين من بعض فى السكن ؛ وأذكر ليلة القدر قالوا « تعالوا ندعو الله » وغالبا حصل أن كلا منا تمنى شيئا .. انما ايه بالذات أنا مش فاكر ، واذا كنت قد طلبت شيئا فانى لم أطلب الشهرة للشهرة ، وجايز يكون حدثت مثل هذه القصة .

قلت له :

— هل ما تزال تذكر أول مقال نشرته لك الصحف ؟

قال بسرعة :

— نعم . كان دفاعا عن أسوان ونشر سنة ١٩٠٤ فى جريدة الظاهر التى كان يصدرها أبو شادى .

— سألت العملاق :

— سمعت أن احدى الحكومات السابقة عرضت عليك وظيفة كبيرة ورفضتها .. أقدر أعرف ليه ؟

وقال الرجل :

— دى ماكانتش وظيفة واحدة ، سعد زغلول عرض على وظيفة مدير دار الكتب، وأذكر أن ذلك كان قبل موته بشهرين بدلا من لطفى السيد . ومحمد محمود عرض على وظيفة عميد كلية الآداب وقلت له يومها : « أنا احتاج الى سلطات واسعة لأروض هؤلاء الناس ، وسيكون كل عملى أن أروض الذين يعترضون ، ووقتى أضيق من أن أضيعه فى ترويضهم ! » . وفى عهد النحاس رفضت وكالة وزارة الداخلية للفنون .

ماذا يفعل بجائزة الدولة ؟

قلت له :

— أنا أعلم أنه سبق ترشيحك لجائزة « فاروق » الملك السابق سنة ١٩٤٧ ، وكنت قد أصدرت أيامها ١٨ كتابا ، وأن اسمك محى من عداد المرشحين فهل كان مرد ذلك لأسباب سياسية ، أو لأنك طالبت بتحطيم رأس والده وأنت عضو فى البرلمان ؟

وسمعت قهقهة عالية تتردد فى أبهاء القاعة قبل أن يجيب :

— دا كان قرار اللجنة فى ذلك الحين عجيب ولا ينطبق على .

قلت له :

— وماذا تفعل بجائزة الدولة هذا العام ؟

قال الفيلسوف :

— لو جاءتنى فلوس تكفى لبناء بيت أبنيه لأختى فى أسوان لأنى لا أفكر فى بناء بيت فى القاهرة .. أنا ساكن هنا .. وسأظل هكذا ، وزمان لما اجتمع لى بعض المال لبيت طلب الوالدة فى أسوان وبنيت هناك بيتا جميلا ، وحققت رغبتها لما طلبت أن تكون حجرتها الخاصة مبنية ومبلطة بالطوب الأحمر !

قلت له :

— ماذا تقول فى الرأى الذى تردد فى مجلس الفنون والآداب عن كتابك الأخير « الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان » ؟ ونكران ما تضمنه من حقائق ؟

قال العقاد :

— أن المؤرخين اليونان الذين استندت اليهم سجلوا أن اليونانيين تعلموا الصناعات من العرب ، فكلمة قلموس من القلم وقلما .. مادة أصيلة فى اللغة العربية وهم هم الذين علموا اليونان الأبجدية وهذه بديهيات ، ولما يدعى واحد تانى عدم صحتها فليأت بجديد !

ومضى يقول فى حماسة :

— دا واحد مؤرخ روسى أبلغنى أنه يوافق على كل كلمة فى هذا الكتاب.. وأن العرب أسبق من اليونان فعلا .

وفجأة تغير مجرى الحديث — من نقد الكتب ومعارك الفحول — الى حديث أقرب الى العاطفة والقلب حينما سألته :

— وما هى أخبار « سارة » ؟

قال بسرعة :

— عايشـــه .

قلت :

— فين ؟

— قال :

— فى خارج هذا البلد .

قلت :

— قصدى فيلم « سارة » .

قال :

— لا أعرف عنه شيئا أكثر مما روته الصحف وكل ما نشر صحيح ولكن بدون اتصالى بأحد لأنى ماليش معرفة بهم ، كل ما هناك مفاوضات .

قلت :

— هل تختار بطلة الفيلم بنفسك ؟

قال :

— أنا أشوف فى الاخراج .. لئلا يقال أننى أقيد حريتهم .

قلت :

— طيب والبطلة « سارة » ما وراءها الآن ؟

وسمعته يترنم بهذه الأبيات :

واذا رأيتك فى الطريق فعـــابر   يرنو لعـــابرة وطيف ســـار
يجتاز سائرة تروح وتغتدى ..

وفجأة توقف فقلت :

— أريد البقية ..

فقال :

— مش فاكر .. ابحث عنها !

قلت :

— لقد تنبأ لك أحد العرافين يوما بأنك ستتزوج وتنعم كثيرا ، فلم لم تتحقق النبوءة فى رأيك ؟

قال :

— الحقيقة أنا فاكر أنه قال لى ستصادف مرضا عند تجاوز الأربعين ، وقد أصبت فعلا بمرض العظام ولكن أعتقد أن ده كله مصادفات .

قلت :

— والزواج ؟ لماذا لم يتحقق .. هل لاعتقادك أن المرأة تفقد الانسان جزءا من حريته ، وأنت تحب أن تحتفظ بحريتك كاملة ؟

قـــال :

— لأ .. لم تكن هذه هى أسباب امتناعى عن الزواج .

قلت :

— وكيف وجدت حياة العزوبة ؟

وضحك كثيرا وهو يروى هذه القصة كرد على السؤال :

— الملك سعود سألنى مرة وأنا معه فى يخت المحروسة : « ليش ما بتتأهل ؟ » .

يومها قلت له : « شوف يا طويل العمر .. أنتم عاملين جماعة العروبة واحنا عاملين جماعة العزوبة ! » .

قلت :

— متى تفتح الراديو ؟

قـال :

— أنا لا أسمع الراديو أبدا الا اذا كان بعض اخواننا الزوار مولعين بالأغانى ، ويريدون الاستماع اليها .. ولكن أنا لا أفتح الراديو الا فى الاذاعات الخارجية أو فى أثناء اذاعة أحاديثى لما أكون متوقع اهمال الاذاعة !

قلت له :

— انت قلت انك لا تطيق أن تبدأ أعمالك وانسان الى جانبك .. هل السبب فى ذلك انك عشت عمرك وحيدا .. بلا زوجة ؟

قـال :

— لا .. أنا أحب الوحدة منذ طفولتى ولا أطيق أن أنام فى مكان فيه نور .

لا يهمنى طول العمر

وانتقل الحديث الى تجديد الشباب أو اعادته بفضل الدواء الذى يعرف باسم (هـ — ٣) .

قلت له :

— لو كانت نتائج (هـ — ٣) ايجابية فى اعادة الشباب **فهل تقبل** أن تتناوله ؟

قـال :

— انه لا يعيد الشباب كما تقولون ولكن اسمه فى معناه « چيرو ڤيتال » من كلمتين : « چيرو » .. يعنى الشيخوخة ، « ڤيتال » .. يعنى الحيوية . فهو يعطى لتجديد حيوية الشيوخ ، وهذه نظرية لا شك فيها لأنه يمكن تنشيط الغدد الصماء بهذا الدواء .

سألته :

— يعنى تقبل أن تأخذ حقن « چيرو ڤيتال » ؟!

أجاب وهو يبتسم قائلا :

— يهمنى أن أستريح صحيا .. أما أن أطيل حياتى فهذا شىء لا يهمنى ، فاذا جربته فانما أجربه لأنه يريح الجسم .. أما اذا كانت الحياة مش عايزانى فأنا مش عايزها !!

* * *

اللقـــاء الثانى (١) :

امنعوا الابتذال فى الأغنية والقصة !

هذه هى أول مرة أرى فيها العقاد ينفجر كالبركان ..

كان يجلس فى هذه المرة بالبيچاما السكروتة ، بلا طاقية ولا روب ، وعلى نفس الكنبة التى دخلت الشقة قبل أربعين عاما وعيون وآذان خمسين واحدا معلقة به عندما يتكلم فى الأدب أو يناقش فى الفلسفة

---

(١) يونيو ١٩٦٣ .

أو السياسة . الجميع فى خشوع وكأنهم أدباء أثينا القديمة فى حضرة أفلاطون أو أرسطو !

قلت له :

— ماذا يرى الأستاذ فى الموقف الدولى الذى ينذر بالخطر بعد معركة الجبابرة فى مؤتمر الأقطاب ؟

قـال :

— مفيش حرب .. خروشوف لا يجسر على اعلان الحرب . ولا صالح لأمريكا ، وانجلترا ، أو فرنسا فى اعلانها .. والمشكلة ستعرض على مجلس الأمن ، وسينظرها المجلس ثم يحيلها على اللجنة الفرعية ، واللجنة تقترح عقد مؤتمر الأقطاب !

ورأيته يبتسم وهو ينطق كلمة مؤتمر الأقطاب .

الشاعر المخضرم طاهر الجبلاوى يحول الدفة — كعادته منذ أكثر من اربعين عاما — بعيدا عن تيار الحرب الى تيار الادب .. بدأت أدخل فى الموضوع الذى من أجله حضرت الندوة :

قلت :

— ادباء اليوم الا ترون انهم أسعد حظا من زملائهم الذين عاشوا فى مطلع هذا القرن ؟

قال :

— فى ابتسامة تخفى وراءها معانى كثيرة — نعم . أن أديب اليوم أسعد حظا من زميله فى أيامنا لأن القراء لا يطلبون من الكاتب الا أن يكون أقل أمية منهم !

وضجت الندوة بالضحك العالى .

ثم استأنف كلامه بسرعة .. والنكبة الكبرى فى هذا الجيل أن الجاهل أصبح يعتقد أن العلماء مطالبون بالنزول اليه لا أن يصعد هو اليهم .. ودى المصيبة الكبرى !

قلت :

— قراء الأدب على أيامكم كانوا قلة بالقياس الى ما هم عليه الآن .. وأسواق الكتب كانت محدودة .. واليوم أصبحت عالمية أليس فى ذلك ما يبشر بازدهار الأدب فى المستقبل .

قـال :

— ليس المهم مقدار كثرة ما يقرأ .. وانما المهم مقدار تحصيل القارىء مما يقرأ وذلك متوقف على ملكات القارىء الفعلية .

قرأت المعرى فى التاسعة

قلت :

— لو عاد الأستاذ العقاد شابا يعيش فى نفس الظروف التى يعيش فيها أدباء اليوم ، فماذا كان يفعل ؟

قـال :

— أنا فى سن التاسعة كنت أقرأ المعرى .. و (المقتطف) وكان من أرقى المجلات العلمية فى العالم كان فيه ما بين ١٠ الى ١٢ مقالة علمية وأبحاث عظيمة فى الأدب .

قلت :

— كلنا يعرف أن الأستاذ وهو فى العشرين كان يقرأ كثيرا فهل كان يعد نفسه لبلوغ قمة المجد الأدبى الذى وصل اليه الآن ؟

قــال :

— ان العقاد عندما كان فى العشرين من عمره لم يكن هناك أحد يعرف أنه سيكون كاتبا !

قلت للرجل الذى سيحتفل بعيده الثانى بعد السبعين :

— هل سيوجد من يخلف العقاد فى الخمسين عاما القادمة ؟

قــال :

— ولم لا !

قلت :

— ومن ترشحونه من أدباء هذا الجيل ليجلس على كرسى العقاد بعد عمر طويل ؟

قــال :

— أتريدنى أن أحكم على جيل لا نعرفه أفرادا !

ومضى يقول :

— أن فى البلد ٥٠ ألف شاب من المتأدبين والأدباء على الأقل ومن أين لنا أن نحكم على أقدارهم ؟ انما اذا أسعدهم حظهم واستطاعوا الثبات على التحصيل لابد أن يظهر منهم أكثر من واحد .

قلت :

— ان الامكانيات ميسرة بين الأيدى ، وألوان التشجيع متعددة من جانب الدولة . فماذا يبقى ؟

مخضرم آخر من تلاميذه اسمه خليفة التونسى ، واحــد من الذين يغشون ندوة العقاد منذ ثلاثين عاما يعقب قائلا :

— ان الصعوبة التى يلقاها الكاتب الناشىء الآن أن يظهر فضله فى أدبه

الجاد ، الذى يحتاج من القارىء الى مجهود لكى يفهمه بين العشرات من الكتاب التافهين الذين يتملقون القارىء لارضاء غروره ، هـذه الصعوبة أقسى على الكاتب الناشىء من الصعوبة التى صادفها العقاد وجيله لأن القراء فى زمن العقاد كانوا جادين .

قال العقاد :

— بعض الكتاب غلبت عليهم المثل الدنيا ، ولهذا فالفارق المهم فى جيلنا أن الجهلاء كانوا يعتقدون أن العلم واجب عليهم وكان الجاهل يحضر الرواية التمثيلية وهو يعلم أن فيها ما ينفعه وما يمكن أن يتعلمه ، ويغنى الشعر لاعتقاده أنه جاهل يحتاج الى التعلم فكان يحفظ كثيرا من أجزاء الرواية المسرحية ، ويتغنى به فى الشارع ، ولكن وجود بعض المجرمين الجهلاء الذين يفهمون الجمهور أن من حقه أن يكتب الكاتب له ما يفهمه هو دون أن يكلفه مجهودا فى القراءة .. وجود هؤلاء كان نكبة كبرى !

قلت له :

— ان المقاومة من جانب القارىء بالأمس أقل من مقاومة قراء اليـوم للكتاب الجادين الذين يريدون أن ينهجوا نهج العقاد !

وتناول أدباء الندوة بالنقد والتجريح الأغنية التى ترددها نجاة الصغيرة « أيظن أنى لعبة فى يديه ؟ » لنزار ..

قلت :

— وتلك الأغنيات الحديثة ما موقفك منها ؟

قـال :

— الغناء فى الخارج كله أدب .. ولكن الشىء الذى كان يقال هنا فى السر أصبح يقال علنا ..

واحتقن وجهه وهو يقول :

— هذه نهاية التأخر !

قلت :

— وما هو العلاج الحاسم ؟

قـال :

— أن يمنع الابتذال فى الأغنية والقصة وفى الصحافة . هل تستطيع أن تكتب كل ما سمعت ؟

قلت :

— سأحاول ..

وانتهت ندوة العقاد بهذه الحكاية .. قال العقاد :

— جاءنى تلميذ صغير فى الاعدادية ليناقشنى فى بعض ما كتبت أخـيرا فسألته : « ماذا قرأت لى ؟ » .

فقال : « أفيون الشعوب » .

قلت : « أى شىء استوقفك فيه ؟ » .

قال : « كلامك عن الوجودية وتفريقك فيها بين الجانب السـليم والجانب المريض .. فأعجبت به وقدمت اليه كتابا من الكتب السهلة وهو كتاب « لا شيوعية ولا استعمار » ..

سألته : « وهل يساعدك أبوك على فهم الكتب التى تقرأها ؟ » .

قال التلميذ : « ان أبى وأمى يمنعاننى من قراءة الكتب غير المدرسية انما أقرأ هذه الكتب اختلاسا ! » .

* * *

اللقـــاء الثالث (١) :

فى هذا اللقاء رأيت جيران العقاد يطلون من النوافذ ليكشفوا ما حدث فى صومعته الهادئة التى تحولت فجأة الى ضحكات عالية !

لقد بدأ نجوم ساعة لقلبك يستعدون للقاء العقاد قبلها بأيام ..

كانوا يخافون اللحظة التى يقفون فيها أمام العملاق وكانوا يحفظون الأسئلة ثم يغيرونها ثم يعدلونها وفى النهاية قرروا أن يذهبوا الى الصومعة بدون استعداد !

وحينما دخلوا بيت العقاد .. وجدوا عنده ضيوفا من البلاد الشقيقة .. ومن الأقاليم .. وأقلية من القاهرة ..

وكانت المناقشات لا تسمح لهم بالدخول فيها لأنها كانت تدور حول الشعر المقفى .. والسوناتا .. وكيف انها بلا قافية .. وشعر الكورس .. وقواعده الموضوعة منذ عهـد الاغريق ثم حدث كل شىء فجأة .. نوبة من الحماسة تدفع الدكتور شديد ليسأل العقاد دون سابق انذار :

— أذكر أن أستاذنا ألف كتابا عن برجسون وعرض فيه لفلسفة الضحك ؟

وأجاب العقاد وهو يضحك لهذا السؤال المفاجىء الذى خرج بجو الندوة الى موضوع آخر :

— نعم . يا سيد عصام .. واستغرقت فلسفة الضحك ٨ صفحات ..

واستطرد قائلا :

— ألم تقرأ وهو الذى أضحك وأبكى ؟

وفى وقار الفلاسفة عقب الدكتور شديد :

— أنا فرحات عمر يا افندم .. ودول نجوم ساعة لقلبك وأشـار الى كل واحد منهم باسمه المعروف فى الاذاعة .. دا فُتلة .. ودا أبو لمعة ..

---

(١) يولية ١٩٦٢ .

ودى مرات محمود .. ودا الفتوة .. ودا الخواجه بيچو الى آخر الأسرة المعروفة ..

وابتسم العقاد ابتسامة عريضة وهو يقول :

— أهلا .. وسهلا .. شرفتم .. ولكن أنا كل ما أتخيل الدكتور شديد لا أدرى ايه الداعى الى أنى أتصور اسمه عصام ؟

وفى صوت هادىء سمعت يوسف عوف يسأل بكل احترام :

— هل تسمع سيادتك برنامج ساعة لقلبك ..

— سمعته مرتين .. مرة كنت راكب تاكسى .. وفتح السائق الراديو لأنه يظهر يحب يسمعكم وكان شديد بيقول : أنا اتعلمت اللهجة الأنثوية من أصدقاء أمى ثم سمعته يقول بسرعة لا .. صديقات أمى ..

وبعدها شمل الندوة هرج وضحك .

أما خيرية أحمد .. زوجة محمود فقد رفعت اصبعها قبل أن تتكلم وقالت :

— وايه رأيك فى البرنامج ؟

— قلت انى سمعته مرتين ، وعلى العموم لا بأس به .

قال يوسف عوف :

— هل للضحك هدف يا أستاذ ؟

— لابد أن نفرق بين التعبير والغاية من التعبير ، ويكفى أن تعرف كيف تعبر عن موقف فكاهى لتؤدى للفن وظيفته .. الفن انتهى عندما عبرت عن نفسك باجادة .

قال شديد :

— وما هو الفرق بين السخرية والفكاهة .

وقال العقاد وهو يضحك :

— السخرية نوع من الفكاهة ، وهى من خلق الرجل المتغطرس ، ولكن الفكاهة لما ترتقى الى النقد الذهنى تبقى وصلت الى الفكاهة الحقيقية .

وسأله بيچو :

— وما هو معنى الضحك عند الانسان ؟

وأجاب العقاد :

— هو المنطق ، فانك تبدأ فى الضحك .. حينما تجد شيئا غير منطقى .. أما النكتة فهى تعتمد على المفارقة والجمع بين أطراف متناقضة ..

صدقى وشابلن

وسأله شديد :

— اذن النكتة ضرب من ضروب التفكير الجدلى ؟

— نعم . بل هى قمة الجدل ، وقديما كتبت مقالات فى المقارنة بين اسماعيل صدقى وشارلى شابلن .. وأناحينما أكتب عن الأبطال والعباقرة أبحث عن الأشياء المتناقضة عند الرجل العادى . فمحمد عبده عبقرى ولا جدال ، وسر عبقريته أن فلسفته تلتقى عندها المتناقضات .

واستمر العقاد يتحدث وكأنه فى محاضرة عامة :

— أنا أتخير فى أبطالى الجوانب الخفية .. فأنا لا أكتب عن صلاح الدين ، لأن صلاح الدين قد استوفى حقه فى التاريخ .. انما أكتب عن ابن الرومى . ثم أنا اذا كتبت عن محمد لا أكتب عنه بصفته رسولا .. وانما باعتباره انسانا ، ولا أستشهد عنه بالقرآن ، فقد استوفاه حقه من التقديس والتقدير .

وتشعر باعتزاز العقاد بنفسه اعتزازا لا حد له وهو يكرر لفظه « أنا » .

وسأله الفتوة فجأة :

— هل أنت رجل فكاهي ..

— نعم . قلت لكم أنني قارنت بين شابلن واسماعيل صدقي .. وأنا كثير من كتاباتي فكاهية في الوقت الذي يتوهم فيه بعض القراء ان كتاباتي من قبيل المنطق الجاف . والرجل العبقري لابد له من جانب فكاهي ، ولا تستقيم العبقرية بغير هذا الجانب ..

زوجة محمود :

— طيب عاوزين مثل ..

وقهقه العقاد قبل أن يحكي هذه النكتة :

— أذكر أن أحد فلاسفة الانجليز التقى بامرأة — وكانت تقرأ له — ففوجيء بها تقول له :

— لو كنت زوجا لك لأجرعتك كأسا من السم .

وبسرعة أجابها الفيلسوف قائلا :

— وانت لو كنت امرأتي لشربت الكأس بكل ارتياح ! ..

وانبرى الدكتور شديد مرة أخرى يسأل :

— كيف تتطور بالنكتة العربية ؟

— حينما تتطور بها من نكتة لفظية الى نكتة تعتمد على الحركة والتعبير ، وتكون النكته أكثر توفيقا حينما تكون مستوحاة من الموقف .

وسأله يوسف عوف :

— زي ايه يا أستاذنا الكبير ..

وابتسم العقاد وهو يقول : كان فيه راجل في أسوان مشهور بالنكتة ، وكان مدينا بستين قرشا لعطار ، ولما تأخر عن سدادها كان العطار يمر عليه أكثر من ثلاث مرات في اليوم ويقول له : سعيدة يا أستاذ .

ولما رآه يكثر من التحية رد عليه قائلا : ستين مرة سعيدة .. ستين مرة سلام عليكم .. ستين مرة عليكم السلام ..

وسأله الخواجه بيجو :

— وما رأيك فى شخصية الريحانى ؟

— نجيب الريحانى كان نموذجا فريدا فى بابه ولكنه كان مقلدا ناجحا ، أما مجال الخلق عنده فلم يكن موجودا .. وقد صرحت له بهذا مرارا .. والفرق بين الريحانى والكسار ان الثانى لم يكن ممثلا على الاطلاق !

وانبرى دكتور شديد مرة أخرى يسأل :

— وما رأى أستاذنا فى النكت التى تعتمد على اللفظ فقط ؟

العقاد يقول : هذا هراء .. وأحط درجات النكتة !

ويسأل أحد أعضاء الندوة :

— طيب ما رأيك فى شارلى شابلن ..

— كان عبقريا .. ونكته تقوم على الحركة ومن هنا كان عالمياً .. لأن التعبير بالحركة لغة عالمية يفهمها كل انسان .

شعب خفيف

ثم لا يتمالك العقاد نفسه من الضحك عندما يستمع الى الدكتور شديد وهو يقلده . ويسكت بعض الوقت ثم يسأله شديد :

— ولماذا يبكى الطفل بعد الولادة ولا يضحك ؟

— لأن الضحك عاوز تعليم .. فهو الى جانب كونه ظاهرة سيكولوجية فهو ظاهرة اجتماعية فأنت بمفردك اذا ما قرأت نكتة لا تضحك بينما اذا كنت مختلطا بالآخرين ضحكت ، فالنكته تفوز بالضحك وسط المجاميع .

ويسكت العقاد ليسأل عوف :

— أستاذنا هل نحن شعب مرح أو حزين ؟

— الحقيقة احنا شعب خفيف ، سريعا ما يحزن وسريعا ما يفرح .. وسريع الى الخير أيضا ودا راجع الى البساطة فى المعيشة .. فتله بالرغم من أنه يزن ميت كيلو فهو خفيف الظل ..

الفتوة يفاجىء الحاضرين بصوته الجهير :

— عشان كده أنا فتوة انما وزنى خفيف .

— لأ دى حاجة تانية اللى خفيفة .

ونظر العقاد الى رأسه ..

— طيب عاوزين نسمع النكتة اللى أثرت عليك :

— اللى أذكره أن دبشه الجزار كان بيتكلم فى الأدب مرة قدامى أنا وحافظ ابراهيم وفجأة قال له حافظ : مالك ومال الأدب .. فأجابه دبشه : دى أصلها معلقات ..

ولما خرج أبو لمعة الى المكتبة نظر اليها والى الأستاذ قائلا :

— هل قرأت كل الكتب التى فى المكتبة ؟

العقاد يرد عليه بسرعة وهو يضحك :

— انت عايزنى أفشر .

أبو لمعه ..

— انت عارف انى أنا اللى ألفت كل الكتب اللى فى المكتبة دى ؟

العقـاد :

— ولذلك لم أقرأ منها ولا كتاب !

— أبو لمعة : أنا من عادتى أقرأ سطر وأسيب سطر ..

— العقاد : طيب وليه ما تسيب أحسن السطرين ¬

لقد تعلمت بعد ذلك مزاح العقاد بالمداعبة وبالذات في أثناء الاحتفالات التي كان يقيمها تلاميذه في أعياد ميلاده وفي كل مرة كنت أكتشف شيئا جديدا في الرجل الذي شق طريقه في الصخر حتى بلغ القمة .



صالون العقاد في يوم الاحتفال بعيد ميلاده الخامس والسبعين،
وأمامه شريفة فتحي وجاذبية صدقي

عبدالحميد يونس



د . عبد الحميد يونس يكتب مقالا على الآلة الكاتبة بطريقة اللمس

هو الرجل الناقد الذى يتقن فهم الأعمال على أساس من الدراسات العميقة ..

يؤمن بعلاقة الفرد بمجتمعه ، ولكنه لا يدعى أنه صاحب ما يصدر عن هذا الايمان من آراء ، وهو يطبق فهمه هذا على دراساته النفسية والاجتماعية على نحو يشفعه دائما بالاشارة الى شتى المراجع ..

فهو باحث أكاديمى .. طبعته الوظيفة الجامعية بالاستناد الى ما يدعم الفكرة والرأى فالبرهان يجب أن يشفع بالمقدمات ، وهذه المقدمات عند الذين يسهمون دائما فى عمليات البناء الفكرى .

يجيد الانجليزية اجادة مطلقة ، وحين ينقل عنها يؤكد أن العربية لا تقل خصوبة عنها .. ومن ثم نرى كتاباته تجمع بين المنطق الغربى وبين الروح العربى .

والمفهوم الأساسى فى نظرية الأدب عنده انه ابن التراث بكل ما فيه ، ومن هنا كانت عنايته بالشعبيات مع حرص على اظهار العلاقة بينها وبين الأجيال التى تتعاقب على ترديدها وهو يستخدم المفاهيم المعاصرة فى تفسير جوانب هذه الشعبيات ، فيجمع بين الماضى والحاضر فى اطار فريد .

ونلمح فى كتاباته بعد ذلك ذكاء وتوقدا وخصوبة ..

فان وضعنا هذا كله فى اطار فكرى رأينا أديبا ناقدا يميل الى المناقشة والى رد كل شىء الى أصوله .

انه طراز من الرجال أهم ما فيه قدرته على البقاء فى كل الظروف .

ان عبد الحميد يونس رأى الدنيا كما تراها أنت وأنا .. ثم كف بصره فجأة !!

تأسرك أحاديثه الشائقة .. وتنال اعجابك حيويته الدافقة ..

كنت حائرا قبل أن ألقاه [١].. وقبل أن أشرع فى تقديمه لقراء الأدب .. وكان أكثر من سؤال يتأرجح فى خيالى :

— كيف أستطيع أن أنقله من دنياه الخاصة الى دنيا الناس ، ليصف ما فيها من قبح وجمال ؟ !

— هل من الخير أن أسأله كما تعودت أن أسأل الأدباء المبصرين .. وحجتى معى فى انه ولد مثلهم .. وظل يتمتع ببصره الى أن أصبح فى ريعان الشباب ؟

— كيف تعلم أن يعيش بلا بصر ؟ .

— ما هى حقيقة احساسه بالفارق بين الظلمة والنور ؟ .

— كيف ينتج ويؤلف .. وما هى وسائله لاجتذاب أصدقائه . وتلاميذه فى الجامعة ؟

— هل صحيح أن قصة كفاحه تستحق أن تكون نموذجا حيا رائعا لكل من أصابه القدر باحدى العاهات ؟

ان هذا الرجل قد اشترك فى دائرة المعارف الاسلامية ، وترجم كتاب عالم الغد « لويلز » واشترك فى تأليف كتابه لافوازييه ، كما ألف كتبا كثيرة .. عن الأزهر .. عن الهلاليين فى الأدب الشعبى .. عن مجتمعنا المصرى .. وله انتاج مرموق فى الصحافة ..

---

(١) صيف ١٩٥٧ .

ثم هو أستاذ مساعد للأدب الشعبى والنقد الأدبى فى كلية آداب القاهرة ، وأستاذ الترجمة بمدرسة الألسن ، ورئيس لجمعية النور ، ونائب رئيس اللجنة المشتركة لرعاية ذوى العاهات !

ابو زيد الهلالى .. مجرد أسطورة !!

ولقد تكلم الدكتور عبد الحميد يونس بكل صراحة — وانطلق يعبر الماضى بخياله الى ثلاثين عاما خلت .. يوم كان مبصرا !

قلت له :

— حصلت على الماجستير وكانت فى الأدب الشعبى ، ثم على الدكتوراه عن سيرة بنى هلال المعروفة بأبى زيد الهلالى مع أن شخصيته — كما هو معروف — كانت أسطورة ، صنعتها أخيلة الناس وجرت على ألسنتهم لمجرد تمجيد البطولة ، فما قولك أنت ؟

— الواقع أن العمود الفقرى لأحداث هذه السيرة يعد من الوقائع التاريخية الهامة التى غيرت صور الحياة فى شمال أفريقيا ، أما أبو زيد الهلالى نفسه فتغلب الأسطورة عليه .

النقد الموضوعى نادر فى مصر !

وسألت الأديب الشعبى الذى يجد المتعة النفسية فى رواية الأساطير وتسجيلها فى مؤلفات ضخمة ، والذى تخصص فى النقد الأدبى .

— هل تظن ان فى مصر نقدا أدبيا فنيا منزها عن دنيا الأغراض والمجاملات.. نقدا بمعناه السليم وقواعده التى اشترك فى وضع أسسها الاغريق فى عهد أرسطو وأفلاطون وسفوكليس ؟

— هناك لمحات خاطفة يمكن أن تسمى نقدا .. أما معظم ما يكتب فأخشى أن أقول انه لا يمت الى النقد الأدبى بصلة ما .. لأنه اما أن يقوم على مذهبية خاصة عند النقاد تجعلهم أصحاب فكرة سابقة فى الحكم على الأدب والأدباء .. واما لأن عدوى الصحافة جعلتهم لا يؤثرون الا ما يثير ويرغب فى القراءة ، أما النقد الموضوعى فقليل أو نادر !

دخلت الجامعة مرتين :

ولم تطل لحظات الصمت بينى وبين الرجل — الذى تتوارد أفكاره وتجرى كلماته قوية على لسانه بسرعة البرق : —

فقلت :

— لماذا فضلت الدراسة فى كلية الآداب .. والأدب مهنة لا تدر مالا .. ولا رزقا كغيرها من المهن ؟ .

— كان الأدب يجرى فى دمى ، منذ كنت طالبا صغيرا ، ولذلك دخلت كلية الآداب مرتين المرة الأولى عام ١٩٣٠ ثم تركتها بعد انتهاء الدراسة واضطرتنى الحياة الى أن — أعمل فى الصحافة — وقد بذلت فى هذا الميدان جهدا ، واشتغلت فى الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية . ومع سلامة موسى فى المجلة الجديدة ، والمصرى ، وكنت من الذين أنشأوا جريدة العمال اليومية الأولى ، وهى جريدة المساء وكنت رئيس الراوى ، والبلاغ اليومى وكتبت فى جميع المجلات ثم رأيت أن صدقى باشا يعد قانونا يقصر رئاسة التحرير على حملة الشهادات العالية فرأيت أن أعود الى الجامعة مرة أخرى وعدت سنة ١٩٣٦ وكنت من طلبة الامتياز . وتخرجت سنة ١٩٤٠ وعينت مترجما فى

ادارة الثقافة ثم وكيلا لادارة السجل الثقافى ، ثم انتقلت الى الجامعة بعد الماچستير ، ثم حصلت على الدكتوراة عن سيرة بنى هلال المعروفة بأبى زيد الهلالى .

هذه قصتى .... بلا رتوش !!

— لقد كان طه حسين ميالا للأدب ومع ذلك اتجه الى الأزهر — فى مطلع حياته — فلماذا لم تشق نفس الطريق ؟

— ان الأحداث التى وقعت لى تخالف ما وقع لطه حسين لقد كف بصره وهو طفل صغير جدا ، أما أنا فقد كنت فى السادسة عشرة عندما حدث فى أحد ملاعب كرة القدم أن اصطدمت بزميل صدمة عنيفة نقلت بعدها الى المستشفى ، ومكثت فيه شهرين ثم خرجت فاقد البصر ، وبعد ثلاث سنوات تقريبا جاء طبيب نمسوى عالمى وأوصى باجراء عملية ونصح بأن يجريها طبيب معين ، وأجريت العملية وأحرزت بعض النجاح وهو بصيص ضئيل من الضوء لا يتيح لى أن أسير وحدى .. وبواسطة عدسة كبيرة كنت أقرأ بحيث تركز على حرف واحد ثم تعودت أن أكتب على شرائح من الورق وفكرت فى أن أدخل امتحان البكالوريا وعارضتنى الأسرة خوفا على هذا البصيص ، ولكنى امتحنت وفشلت فى أول مرة ، ثم نجحت فى المرة الثانية ، وكان ترتيبى الثالث عشر ، والتحقت بكلية الآداب فى عام ١٩٣٠ ، وكانت جميع المواد تحريرية وجميع المواد التى يمتحن فيها الطالب امتحانا شفويا ، لا تضم الى المواد التحريرية .

ومن أعجب ما لقيت فى تلك الأيام .. أن طلب الى أستاذ الجغرافيا فى الامتحان الشفوى أن أرسم على سبورة بجواره الجبال الالتوائية فى أفريقيا ، وكيف تتصل بالجبال الالتوائية فى أوربا . كان يعرف ظروفى كل المعرفة ويرى كيف يقودنى زميل الى مقعدى ، فأدركت اننى لا أستطيع أن أتابع الدرس فى هذا الجو ، وبعد ست سنوات عدت الى الكلية ، وكانت الظروف قد تغيرت قليلا ، ومع ذلك تحرجت أن أطلب أن أمتحن شفويا لأننى لم أرد أن أجعل ظروفى محل مناقشة ، وامتحنت تحريريا حتى الليسانس ، وكنت أبطأ من زملائى بكثير ، ولا أستطيع مراجعة ما كتب أو التأكد من استقامة السطور .. ومع ذلك كنت طالب امتياز .

اضطهاد بلا سبب

وسألت الدكتور يونس :

— كيف كان شعور بقية الأساتذة نحوك ، وهل ساعدك بعضهم أثناء محنتك ؟

— فى المرة الأولى لم أجد مساعدة ما بل رأيت ما يشبه الاضطهاد . أما فى المرة الثانية .. فقد كنت معروفا عن طريق الصحافة والكتابة والترجمة ، وكان بعض الأساتذة من زملائى ومع هذا فأستطيع أن أقول بصراحة اننى حافظت على واجباتى كطالب حيال هؤلاء الأصدقاء .. أما الأساتذة الآخرون فكانوا متفانين ، وكنت أشعر أن بعضهم يقدروننى أما البعض الآخر فالله يسامحهم ، لقد حاولوا ايذائى فى جميع المراحل حتى فى امتحان الدكتوراه .

فكرت فى الانتحار مرتين !!

وسألت الرجل الذى شق طريقه فى العواصف دون ملال أو كلل :

— رأيت الحياة بعينين مضيئتين فكيف تراها الآن ؟

وفى ابتسامة لاذعة .. وسخرية بالحياة وأحداثها قال :

— عندما أصبت حدث انقلاب هائل فى حياتى وغلبنى التشاؤم ، وكنت فتى مرحا فأصبحت عابسا وفكرت فى الانتحار مرتين ، وهممت بالتنفيذ مرة ، وذهب عنى أصدقائى الكثيرون ، وخلفونى منفردا ، ثم تعلمت كيف أعيش بلا بصر ، وكيف أجتذب الأصدقاء فى الحديث ، والسمر ، وكيف أكون منتجا كغيرى من الناس ، ومضت الأيام ، وأنا الآن لا أحس بنقص ما على الاطلاق ، أستعيض بالسمع والوصف والتخيل عن الرؤية .. ومع ذلك فان احساسى بالفارق عظيم ، وهو الذى يحفزنى الى أن أعمل فى ميدان رعاية المكفوفين لأن من يولد كفيفا أو يصاب بكف البصر قبل الوعى لا يحس قيمة ما فقد ، أما الذى يصاب فى شبابه أو كهولته فلا يمكن أن يضعف احساسه بالفارق ، ومن غرائب الحياة النفسية اننى — فى الأحلام — أسير منفردا ، وأقرأ الكتب بنفسى ، وأرى اللافتات والأشياء والناس ، والزهور ، كما كنت منذ ثلاثين سنة .

الاحساس الدرامى غائب فى مصر !

— كم مرة فى الأسبوع تشهد المسرح ، أو السينما ؟ .

— أما المسرح فأنا من رواده ونقاده لأن دراستى فى الأدب الدرامى

جعلتني مشغوفا به وأنا استعيض عن الرؤيا بالوصف ، أما السينما فأنا أذهب اليها بصحبة الأسرة والأصدقاء ، ولكنى لا أحب الفيلم المصرى ، مع انى ألفت سيناريو فيلم .

والفيلم الأمريكى والانجليزى لا أحس بالحاجة فيه الى وصف كثير .

— قلت انك من نقاد المسرح فهل ترى سببا معينا للأزمة التى يعانيها الآن ؟ .

— الشائع أن المسرح يعانى أزمة فى العالم كله ، وهى تعزى الى منافسة السينما والاذاعة ولكنى أرى أن محنة المسرح المصرى انما تعود الى غياب الأحساس الدرامي من الحيـاة المصرية . وله سبب اجتماعى — فى نظرى — فعندما يحس الفرد نفسه تمام الاحساس ، وعندما يدرك أن عنده القدرة على تغيير الظروف ينشأ الاحساس الدرامى ..

السكرتيرة الوفية !!

وتطلعت الى الرجل المعجزة أسأله :

— تقول انك تستعيض الآن عن الرؤية بالوصف حينما ترتاد المسرح أو السينما ، فمن الذى يصف لك ما هناك ؟ .

— زوجتى . وهى التى أعانتنى على الفراغ من الماجستير .. كانت تقرأ لى وتكتب وهيأت الجو الذى لم يكن مهيأ من قبل للدرس ، وفى الوقت الذى يتغيب فيه السكرتير كانت تقوم هى بعمله ، كما تقوم بالأعمال الجامعية الخاصة التى لا يمكن أن توكل الى سـكرتير كوضـع الامتحانات وتصحيح الأوراق ، هى التى تقوم معى بذلك ، وهـذه

مهمة شاقة ، وهى أحسن من عملت معى كما أنها أقدم جامعية تعمل فى وزارة التربية والتعليم فقد تخرجت فى كلية الآداب سنة ١٩٣٤ وهى من عائلة اشتهر أفرادها بالأدب .

الفرد وحده ليس كاملا !

— كيف ومتى تزوجتها ؟ وهل تشكو الزواج كبعض الرجال الذين يلعنون كل يوم الوقت الذى فكروا فيه أن يتزوجوا .. ؟

— الزواج — فى نظرى — يجب أن يقوم على الصداقة ، وزوجتى صديقة وفية لى .. وبعض المتزوجين يتصورون أن الزواج قيد أما أنا فأرى أن الزواج هو الحرية بمعناها الانسانى ، وان الفرد وحده ليس كائنا كاملا .. ولكنه مع زوجته هو الكائن الكامل . وزوجتى كانت زميلة لى فى الجامعة فى الفترة الأولى ، ولكنى لم أكن أعرفها ، ولم تكن تعرفنى .

واستطرد الأديب الذى كف بصره قبل أن يتزوج قائلا :

— ومن الحقائق اننى خطبت احدى قريباتى — من غير الجامعيات — ثم اتضح لى انها لا يمكن أن تقدر مسئولياتى كمفكر وكاتب ففسخت الخطبة ، وبعد شهور رأيت زوجتى فى بيت صديق جامعى متزوج من جامعية زميلة لزوجتى وهكذا عرفتها ثم تزوجتها .. وفى البداية لم نكون منزلا ولا جهازا ولكننا بنينا بيتا متعاونين ، ولنا الآن فيلا كلفتنا ٢١٠٠ جنيه .

— يبدو أنك تشجع الزواج من الموظفات — ولهذا تعيش مع موظفة — أليس كذلك ؟

— أنا أرى أن الشباب المتعلم يجب أن يتزوج من متعلمات ، وان بعضهم يستطيع — بالزواج من موظفة — أن يرفع مستوى حياته ، ولكنى أقول فى الوقت نفسه — ان الأجيال المقبلة ستكون أقدر على المزاوجة بين العمل والزواج ، وفى رأيى أن الموظفة اذا كبر أبناؤها أو كثر عددهم وزادت المسئولية فمن واجبها أن تعتزل الوظيفة ، وهذا ما فكرت فيه زوجتى .

أعظم مراحل الحب !

— تقول انك عرفت كيف تجتذب الأصدقاء بعد اصابتك بكف البصر .. فكيف حققت ذلك ؟

— من أشق الأمور أن يربى الانسان شخصيته عن وعى ، وهذا ما فعلته .. وجعلت الأصدقاء يحسون بالحاجة الى وجودى ، فبعد أن كانوا يرغبون عن لقائى ويحسون اننى عبء عليهم — فى الحركة والسير — أصبحوا يبحثون عنى ويرون التكامل معى ، ولست أعتقد ان أحدا منهم يستطيع أن ينسانى ، كما أننى لا أستطيع أن أنسى أصدقائى وهم كثيرون ، والحب فى الصداقة هو أعظم مراحل الحب . وحينما قرأت تلك الكتب السيكولوجية الشائعة عند الأمريكيين ، والتى تتحدث عن كيفية اكتساب الأصدقاء ، رأيتنى أقوم بمعظم ما فيها من تلقاء نفسى ، ما عدا الأبواب الخاصة بالنفاق .

— هل لك أصدقاء من الأجانب ؟

— هيلين كيلر .. لأن خلاصة حياتها هى التى أعادتنى الى التفانى فى الانتاج .. وسوف أهديها كتابى الجديد « التجربة الأولى » وهو جزء من سيرة حياتى أصور فيها كل ما مر بى أثناء هذه التجربة بين النور والظلام .

عبد الرحمن صدقي



يحيا دائما فى قصة !

شاعر خلقته امرأة خلقت للعدم .. وفى قيــود الأحــزان وأحــلام الرومانسيين ، غنى هــذا الشاعر بما يغنى به الثكالى ، فعرفه الوسط الأدبى لا يستلهم الا الموت .. ! بل عرفه صوفيا يخطو وهو أزهد ما يكون فى هذا العالم الناقص !

ولكن ...

ولكن الاحساس بالموت يمد فيه عينا حذرة .. على الطريق الطويل المفروش بالأسى ، ومن ثم لا يقدم على عطاء الا بعد أن يحس أن فى طاقته أن يغالب عوامل الفناء .. فيفكر ، ويتأنى فى التفكير .. ويتردد ، ويلح فى تردده ! واذا هو يختار الجميل ، ثم يختار من الجميل أجمله ، وهكذا حتى ينتهى الى أن الحياة التى حرمها هى الأكثر جمالا ..

انه من عباد الصنعة .. ولكنها الصنعة التى تحقق الكيان الجميل ، برصيد فنى هو بمثابة الرقابة على طاقاته كلها .

كتب أول ما كتب « من وحى المرأة » فكان الشرارة التى أضاءت له طريق الشعر الصعب ، وعاد بعد سنوات طوال فكتب « حواء والشاعر » فدل على انه لا يزال يعيش تجربة الضياع والفتنة والألم والترقب .

وبين أنواع الحب .. الالهى والمثالى والطبيعى ، جال فى أناقة واعياء وترف .. عينه على حواء التى ضاعت منه ، وعلى حواء التى يرسم فيها صورة حواء الأولى .

انه ابن الماضى فى كل شىء .. حتى فى صدوره بكل قصائده ، وحين

نعتبره رومانسيا مدرسيا لن نتجنى عليه ولا على الحقيقة ، بل نضعه فى مكانه الصحيح .

كان لقائى [1] مع عبد الرحمن صدقى تحت الشمسية حيث تعود أن يقضى فراغه مع معبودته الثانية » وأمام النافورة يستلهم الوحى من ربات الشعر ، وفى الحديقة وبين شجيرات الورد والياسمين يداعب الكلاب السبعة ، ويمرح معها كالأطفال !

وفى المكتبة الضخمة يقرض الشعر ، ويرسم الخطوط العريضة لبرامج التليفزيون !

وهنا وهناك تلاحقه « لوتسيا » زوجته الايطالية الحسناء ، لتجلس على حجره كطفل مدلل ، ثم لا تفارقه الا عندما تريد أن تطعم كلابها ! ..

وسر شبابه — بعد أن تجاوز الستين — صفاء نفسه ، ومرحه ، وابتسامته التى لا تفارق شفتيه ! ..

كوكتيل فنى !

قال لى عبد الرحمن صدقى ، وهو يشير الى فسقية ملونة فى حديقة فيلته الأنيقة بمصر الجديدة :

— انها من صنع هذه المرأة التى تحيل الصحراء الى جنة .

ومضى يروى لى قصة حبه لها ، وكيف تستطيع أن تصنع أشـياء كثيرة فى وقت واحد .. رسامة ، وخياطة ، ومثالة ، وموسيقية ، وبالاختصار هى امرأة عجيبة !

قلت له :

— و (مارى) زوجتك الأولى التى رثيتها فى ديوان ضخم ؟

---

(١) صيف ١٩٦١ .



عبد الرحمن صدقى تعاونه زوجته الثانية على تنظيم المكتبة

قال عبد الرحمن صدقى :

— كانت توأم روحى . تتركنى مع نفسى وأحلامى ، وتلتقى أفكارها بأفكارى . (مارى) كانت تحب الشعر والفن ، تحب ما وراء المادة . أما لوتسيا فقد استحوذت على قلبى وهى حبيبته ، بعينيها السوداوين ، وبرشاقتها وخفة حركتها : ولكن عيبها انها لا تتركنى لحظة مع نفسى أو كتبى ! .

ثم نظر الى زوجته وضحك وقال :

— إن هذه العفريتة لا تفارقنى ، حتى فى رحلاتى الى الخارج مهما كانت قصيرة ، وهذه الجنة الأرضية من صنعها ، وقد بلغ من عنايتها بالحديقة أن الشجيرة — التى هى بحكم طبيعتها شجيرة — تصبح فى حديقتنا شجرة . لقد أوشكت الدار أن تختفى من كثرة الشجر وراء ستار . على أن هذه الجنة التى تراها لا تخلو من المكر !

ثم ، فجأة ، أخذ يصيح : (ميشو ، لارا ؛ لاكى ؛ تازينا ؛ عبلة ؛ عنتر ، كاريوكا ..) .

واذا أسراب من الكلاب ، من نوع الوولف ، مقبلة من الحديقة الخلفية تتراكض نحونا ثم رأيته يترك مقعده ومعه زوجته ، ويجرى وراء الكلاب ثم يداعب « ميشو » وزوجته ، كما انصرفت (لوتسيا) الى الكلب (لاكى) تداعبه وتطعمه ، كأنه طفلها الرضيع . كانت تحضنه وتقبله فى رأسه ، والكلب مستسلم لها فى حنان عجيب !

وتكلمت لوتسيا عن كلابها ، وكيف كان عددها اثنى عشر كلبا وكلبة منذ عام مضى ، ثم كيف انها — كانت وما تزال — لا تخطىء فى التعرف على أصواتها ورغباتها عندما تنبح أو (تهوهو) أو تطلب اليها مزيدا من وجبات الطعام ! .

وظلت الزوجة تسهب فى ذكر عادات كلابها ، وتعرض بالتفصيل لحالة كل كلب ، والأحداث التى مرت به ، والضحايا التى سقطت قبل الأوان ، من أبناء « ميشو » و « لارا » على نحو ما تفعل الأمهات عندما يتحدثن عن أطفالهن .

قالت لى لوتسيا بلغة عربية ممزوجة ببعض ألفاظ وعبارات فرنسية :

— أنا دعوت الدكتور فارس ابراهيم لزيارة الكلاب ، واستطاع أن يسجل لها فيلما ملونا ، وهى تتراكض الى أوانى اللبن ، وهى نائمة ، وهى تجلس من حولى أنا وعبد الرحمن زوجى وكأنها أولادنا الأعزاء ! .

وسألت الزوجة التى لم تنجب حتى الآن :

— كيف استطعت جمع ١٢ كلبا فى مكان واحد ؟ .

قالت :

— فى الأول اشتريت كلبين « ميشو » الزوج ، و « لارا » الزوجة ولما كبرا تزوجا وأنجبا كلابا صغيرة ، ولما كبرت هى الأخرى تزاوجت ، ثم تناسلت حتى بلغ عددها ١٢ كلبا وكلبه ! ثم مات منها ما مات ! .

ومضت « لوتسيا » تتحدث فى اعتزاز عن مغامرات كلابها :

— ان الكلب الصغير حينما يجىء للطعام متأخرا أراه يدفع الآخرين ليفسح لنفسه مكانا حول الآنية ، وهكذا ينتظم الجمع فى دائرة واحدة حول أوانى الأطعمة الدسمة وقد رفعت أذنابها فى الهواء تحركها فى نظام كأنها أقواس الكمان فى فرقة موسيقية على حين أرى الأبوين الكبيرين « ميشو » و « لارا » جالسين على عشب الحديقة فى خيلاء كأنهما فخوران بالأطفال الأعزاء ! .

وعندما انتهت الزوجة من كلامها ، اتجهت الى عبد الرحمن صدقى أسأله :

— هل تشعر نحو الكلاب بنفس شعور زوجتك ؟

ورأيته يقترب منى ، ثم يسر فى أذنى قائلا :

— الحقيقة اننى لا أحب الكلاب ؟

قلت للرجل على الفور :

— وماذا يمنعك من أن تجاهر زوجتك برأيك فى كلابها ؟

قال لى فى صوت هامس :

— اننى أخشى اذا جاهرت بكراهيتى لكلابها ألا تحبنى !!

ثم انتقل مجرى الحديث الى الأدب والشعراء .. والتليفزيون .

وقال عبد الرحمن صدقى :

— كل كتابات العقاد محببة الى نفسى ، ولا يمكننى المفاضلة بينها ، الا فيما يتعلق بأبحاثه فى الدين ، فانى لا أستحب المنطق كثيرا فى الشئون الدينية ، وأجدنى أكثر تأثرا بل أشد اقتناعا بما يقوله العقاد ، حين تغلب على منطقه الدينى نزعته التصوفية .. !

وأحب الغناء الى نفسى غناء أم كلثوم بالشعر الدينى ، لأنها وحدها التى تستطيع أن ترتفع بالنفس الى عليا الطبقات ، وتسبح بها بضع لحظات فى ذلك الملكوت العلوى .

قلت :

— وآخر قصة قرأتها لمن ؟

قال :

— انى أحيا دائما فى قصة ، وهذا ما يشغلنى عن قراءة القصص .

ثم بدأ عبد الرحمن يتكلم عن التليفزيون بصفته مستشاره :

— لابد لكل مشروع من هدف ، من رسالة هي الأصل في تقريره ، وعليها تجرى خطة تسييره وبغيرها لا نأمن الخطأ في تقديره ، وفي اعتقادي أن رسالة تليفزيون الجمهورية العربية المتحدة هي — قبل كل شيء — أن ينقل للالوف ثم الملايين من الناظرين في أجهزة الاستقبال صورة صادقة ، ومشرفة عن جمهوريتنا العربية في نواحيها الفنية والثقافية والاجتماعية ، والعمرانية على نحو يجمع بين التثقيف والترفية ، كما يدخل في رسالته أن ينقل الينا فنون الأمم الأخرى وثقافتها ، لما في ذلك من الزيادة في ثروة معارفنا ، وتوسيع آفاق مداركنا ، وما يترتب على هذه الزيادة والتوسعة من الحفز على تطوير ما عندنا ، واقتباس كل جديد ومفيد .

سألته :

— والى أي مدى حقق التليفزيون هذه الرسالة ؟

أجاب :

— لقد قطع التليفزيون أشواطا نحو هذه الغاية ، وهو ما يزال في البداية ، والمستقبل كفيل باستدراك ما ينبغي استدراكه ، واستكمال ما ينبغي استكماله ، ويسر التليفزيون ولا شك أن يستمع الى أصداء برامجه عند الجمهور من مختلف الطبقات والثقافات والأذواق ، للتحقق من أن لكل من هذه نصيبها في البرامج .

قلت له :

— ألا ترى معي أن برامج الترفيه هي الكفة الغالبة في التليفزيون ؟

قال :

— هذا طبيعى الى حد كبير ، فان هذا شأن سائر الفنون ، ثم ان العبرة هى فى طريقة العرض ، فان الكثير من برامج الترفيه يمكن أن تكون فى الوقت نفسه برامج للتثقيف ولنضرب مثلا لذلك عرض رسوم من الفن الشعبى ، فان هذا العرض الفنى الشعبى يتيح للمعقب المختص أن يثير عند كل صورة الى خصائص الفن الشعبى فيها ، وبذلك يجمع البرنامج الى متعة الترفيه فائدة التثقيف فترتاح الخاصة وترتقى به أذواق العامة .

ثم سمعت عبد الرحمن صدقى يقول عن فرقة زار أبو الغيط :

— ان الشعب العربى لم ينس فنه الشعبى بدليل ما نراه حتى اليوم فى الأعياد الشعبية سواء فى ذلك الأعياد الدينية مثل الموالد ومراسم الحج ، أو الأعياد الطبيعية مثل وفاء النيل ومواسم الحصاد أو الحفلات الاجتماعية مثل الزفاف والسهرات الريفية وما تشتمله من الغناء والرقص والتحطيب ، على نحو ما كان يجرى منذ عشرات المئات من القرون .

ولقد رأى الكثيرون منا انعكاس هذه الفنون على مسرح الكسار والريحانى فى شخصيات البربرى وكشكش بك . ولكن الجديد فى الأمر هو عناية الثورة بتطوير هذه الفنون حتى تروق للعامة والخاصة على السواء ، وهذه المهمة شاقة ولا ريب ، كما انها عرضة للتزييف اذا اعتمد البعض فيها على الاقتباس من الغير ، وخاصة فى الرقص ، الى الحد الذى لا يبقى منه من اللون الشعبى فى الرقصة الا الزى ، كما ان هنالك أمرا جديرا بالملاحظة ، وهو أن بعض البدع التى كانت تحاربها وزارة الشئون الاجتماعية والجهات الدينية مثل الزار والذكر

عادت ثانية — بعد أن أوشكت على الاندثار — الى الشيوع والحظوة والعلانية تحت ستار الفنون الشعبية واسمها المستعار ، ونحن نتساءل الى متى سيدوم الترخيص بالذكر ، والزار تحت ذلك الاسم الأخير المستعار . ؟ ..

قلت لعبد الرحمن صدقى :

— تزوجت مرتين فأيهما ألهمتك أكثر من غيرها ؟

قال :

— الأولى كانت عالما آخر .. ولأول مرة أحسست بأن صلتى بها ليست قائمة على الجنس .. كانت تساجلنى الشعور بلا كلام .. انها ألهمتنى ٧ آلاف بيت من الشعر ولم أزل — الى الآن — أنظم فيها شعرا فى كل عودة ربيع .

— وماذا قلت فيها بعد أن تركتك الى العالم الآخر ؟

— قلت يوم فراقها :

لقد كنت يوما آية الخالق البارى
وكونا عظيما من شـعور وأفكار
فأمسيت منعى فى صحيفة أخبـار
وبضعة أشـعار وصـورة تذكار

الدكتور محمد البهي



بهذه الابتسامة ، وبهذا التفاؤل يدير الدكتور البهى وزارته ، وبهـذا التفاؤل خرجت وعندى أمل فى أن أتحدث اليه فى بيته ، مع أهله ، وهـو انسان عادى ، له مشاكل الانسان ، وليست مشاكل الرجل المسئول جدا .

قبل سبعة وخمسين عاما تفتحت عيناه على جمال الطبيعة فى قريتـه . وامتدت اذناه لتسمعا قصص النجاح والبطولة والحرية التى كانت تروى عن ابن القرية المجاورة الشيخ محمد عبده . !

وكانت هذه القصص هى الدروس الأولى التى سمعها .. ووعاها .. وتشرب مفاهيمها ... !

ولما رحل من قريته المتواضعة (اسمانية البارود) بالبحيرة ليتلقى العلم فى الجامع الأزهر كان من تلاميذ مدرسة الأمام الأكبر .. المدرسة التى تدعو للحرية والتقدم والثورة على الجمود .. !

وقبل أكثر من ثلاثين عاما حمل حقائبه وسافر الى ألمانيا لدراسـة الفلسفة وعلم النفس والاجتماع ..

وقد بلورت هذه الدراسة أفكاره وحددت معالم فلسفته فاذا أحاديثه ومؤلفاته التى تنشر — بعد ذلك — تمتـاز بالعمق .. والوفاء لدينـه وعروبته .. وفيها تلك الرغبة فى مجتمع أزهرى له هدف جديد .. وبه كل ملامح العروبة فى أجمل صورها .

والحق ان الدكتور محمد البهى .. وزير الأوقاف [1] من أشد الناس ايمانا بلغته .. وبعروبته ، بحيث يندر أن تسمعه — فى حديثه العادى —

---

(١) شتاء ١٩٦٣ .

يستخدم غير العربية الفصحى .. وتستطيع بسهولة ان تدرك الى أى حد هو معتز بنفسه .. وبمقدرته على حل مشاكل وزارته .. !

وقد أهلته ثقافته ودراساته لأن يكون أحد أعضاء المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون .. قبل ان يكون وزيرا .. وأهلته هذه الثقافة — نفسها — الى أن يؤلف كتبا وأبحاثا كثيرة من أهمها (كتاب الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) .. وكتاب (الجانب الالهى من التفكير الاسلامى) .

وقد ترجم الكتابان الى اللغات الأوربية والتركية ، والأندونيسية ، والأردية .

لماذا هذه الأسئلة ؟

حينما ذهبت اليه ومعى بعض الأسئلة التى ترتبط بتخصصه كأستاذ سابق فى الأزهر .. ووزير للأوقاف .. وأول وزير لجامعة الأزهر الفتية .. !

وفى نشاط ابن العشرين تحدث الى الوزير الدكتور محمد البهى وكأنه يقرأ من كتاب مفتوح :

قال الوزير :

— لى ابنة واحدة تزوجت فى العام الماضى بعد أن فرغت من دراستها فى المدرسة الألمانية بالقاهرة .

— وكم كان عمرها فى ذلك الوقت ؟

— ١٦ سنة .

— ولماذا اخترت لها الدراسة فى المدارس الألمانية .

— لأن التعليم فيها يتجه الى البيت .

— وكم كان عمرك يوم أن تزوجت ؟

— ٣٨ سنة .

— ومتى تم الزواج ؟

— سنة ١٩٤٣ .

وممن :

— من ابنة رجل تعرفونه وهو المرحوم الشيخ على الغاياتى .. وقد ولدت فى جنيف لأم سويسرية ، وبقيت هناك الى أن بلغت ١٦ سنة ثم جاءت الى القاهرة مع أبيها واستكملت دراستها فى (الميرَدديو) وتزوجتها وعندها ١٩ سنة ولى منها ابنة واحدة هى (نادية) التى ولدت فى سنة ١٩٤٤ .

قلت لوزير الأوقاف :

— يبدو انك من أنصار تحديد النسل ؟ — قال بنفس السرعة التى بدأ بها حديثه :

— أنا من أنصار القلة القوية التى يعنيها الحديث الشريف ..

(المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف) ومضى قائلا : — ومن أنصار الكيف لا الكم والحضارة فى ذاتها نوع لا كم .. لأن الرقى البشرى هو نوع .. !

وفجأة سكت الوزير والتفت الى يسألنى فى دهشة ظاهرة :

— ولكن لماذا هذه الأسئلة التى تدور حول الشئون الخاصة ؟ قلت :

— لأنها — فى رأيى — مكملة لنوع آخر من أسئلة قادمة ترتبط بالأسرة المصرية خاصة والأسرة العربية بصفة عامة .

لولا الثورة لهبط مستوانا . !

ثم تناول السؤال الجديد زواج العاملات .. ومدى نجاحه .. بعد أن زاد عددهن فى المصانع وبعد أن زادت منافسة المرأة للرجل فى كل ميـــدان ؟ .

قال الوزير :

— عندما أتحدث فى مثل هذا الموضوع أرى انه لابد من الاعتماد على الاحصاءات .. والاحصـــاءات — بعدد العاملات — ليست تحت يدى الآن ..

ولا شك ان جهود الثورة فى خلق المجتمع الجديد .. والمشروعات العمرانية .. والمصانع ، ستنهض بمستوى العاملة والعامل .. وان الزواج سيكون سعيدا بين الاثنين .

وفى اعتقادى ان الثورة لو لم تقم لهبط مستوى المعيشة الى درجة خطيرة .

لأن زيادة السكان كان لابد أن يتبعها زيادة فى المصانع ، وغـــيرها لاستيعاب تلك الزيادة بين أفراد المجتمع العاملين .. ان الزواج الموفق يتم اذا ما تقابلت طبيعة الرجل وطبيعة المرأة ..

وتسمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تتردد على لسانه فى كل مناســـبة .

وعندما قرأ الوزير الآية الكريمة : — (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) قال على الفور بحماسة ظاهرة : — أنا أفهم ان الأم لابد أن ترضع ابنها سنتين .. ومعنى هذا ان لا نسل خلال عامين . لكى تعود اليها قوتها ..

لابد من مهلة .. لقد ثبت يقينا — وأنا من الدارسين لعلم النفس ان مما يقوى المشاعر المتبادلة بين الأبناء وبين الأم (الرضاعة) .. وبها ينتقل الحنو من الأم الى الولد أما الأم التى تنصرف عن ابنها بعد ولادته وتعتمد على التغذية الصناعية فقلما يرتبط بها ولدها وكذلك الأبناء الذين ينزعون من أمهاتهم بعد الولادة ..

ان هؤلاء لن يتوافر لهم حنان الأم فى أى مكان آخر .

— ومارأيكم فى الزواج المبكر ؟

— أعتقد ان الزواج يرتبط أساسا بالمقدرة المادية والنفسية والاجتماعية لتحمل مسئوليات الأسرة ومعاملة الزوج وتربية الأبناء ومتى توافرت هذه الأسس فيستطيع الشاب أن يتقدم للزواج .. وهو واثق انه يستطيع اقامة خلية صالحة فى مجتمعنا .. وبقدر ما يتحقق التجانس والانسجام النفسى والفكرى بين الزوجين بقدر ما تدوم وتقوى العلاقة الزوجية .

المجتمع والمسجد

قلت للدكتور البهى :

وما هو موقف رجال الدين تجاه مشاكل الأسرة .. وما يهددها من أخطار ؟

قال : أرى أن يتوفر أئمة المساجد على توجيه روادها لمعالجة مشكلات الأسرة من فوق المنابر ليتفاعل المسجد مع المجتمع .

وانتقل الحديث مع ألوزير الى السينما والمسرح .

قلت :

— هل تتردد على دور السينما والمسرح .. وما رأيكم فى سماع الموسيقى وفى الأفلام الدينية .

قال الوزير : أشهد المسرحيات والأفلام ذات الطابع الثقافى والقيمة الفنيــة .

وأنا معجب بالأفلام الهندية بصفة خاصة لمغزاها الانسانى العميق .. وقد كان آخر الأفلام الهندية التى شاهدتها وتأثرت بها فيلم (الرسالة) كذلك أشهد فرق الأوركسترا السيمفونى وأستمع الى الموسيقى العالمية .

زالت الفوارق بين الطلبة

وكان السؤال التالى عن آخر قرار أصدره الوزير ؟

— انه قرار مكافأة طلاب الجامعة الأزهر .. انه يعتبر أول قرار يسوى جامعة الأزهر بجامعات الجمهورية الأخرى .. ان مضمون هــذا القرار يقضى بمنح ١٢٠ جنيها فى السنة لكل طالب من الأوائل العشرة الحاصلين على ثانوية الأزهر فى عام ١٩٦٢ ومنح ٨٤ جنيها للطلاب الحاصلين على ٨٠٪ فأكثر فى نفس الشهادة و ١٢٠ جنيها للعشرة الأوائل من الحاصلين على الثانوية سنة ١٩٦١ . وحصلوا على تقدير جيد جدا فى السنة التكميلية أو الاعدادية ، الى غير ذلك من فئات الناجحين الممتازين الذين تضمنهم القرار .

وأضاف الوزير :

— ولقــد حولت وزارة الأوقاف ريع بعض الأوقاف — التى كانت مخصصة لبعض الأحنــاف لتوفير الخدمات الصحية والرياضــية والاجتماعية للطلاب دون اقتضاء أى رسوم أو تأمين .

وتوفير الوجبة الغذائية الكاملة فى نظير ثلاثين مليما ، واليوم يتمتع طلاب جامعة الأزهر بما يتمتع به زملائهم — فى هذا الجانب على ميزات أكبر من زملائهم فى الجامعات الأخرى وان القرار الخاص بالتغذية يتمتع به ٨ آلاف طالب هم طلاب الجامعة وطلاب المعاهد .

وقد أصدرت قرارا باعداد مكتبات ثقافية فى المعاهد تحتوى على الكتب التى تخرج طالب الأزهر من عزلته السابقة الى الحياة الثقــافية المعاصرة ..

وفرت لهذا الغرض ١٥ ألف جنيه من ريع بعض الأوقاف .. كانت مخصصة لبعض العلماء وطلاب المعاهد دون البعض الآخر ..

فصل شيخ الحلاقين

قلت للوزير :

وما هو أطرف قرار وزارى وقعته أخيرا : ؟

قال — وابتسامة عريضة ترتسم على وجهه :

انه القرار الذى أصدرته بفصل رئيس الحلاقين ..

قلت : وهل كان رئيس الحلاقين موظفا فى الوزارة حتى يفصل : ؟

قال : نعم . كان موظفا بالوزارة منذ سنين وظل يعمل بها بعد تجاوزه الستين ..

قلت : والوقت كيف توفره لكل ذلك ؟

قال : أعمل فى المكتب من ٨—١٢ صباحا ، ومن ٥—١٠ مساء ويوم الجمعة من ٢/١ ٤ بعد الظهر .. لأرى هذه الوزارة على حقيقتها .. على الطبيعة .

وعندما يتضاعف عدد الشكاوي فى منطقة ما أفاجئها بالزيارة وأحقق بنفسى أسباب الشكوى .

أعدكم فى العام الجديد

وسكت الوزير لتناول فنجان القهوة ثم عـاد يستأنف الحديث عن العمارات الضخمة التى تمتلكها وزارته .. ووسائل صيانتها .. وكيف أعجب وهو فى أمريكا بطريقة صيانة العمارات فى نيويورك ..

قلت له : وماذا يحمل المستقبل لعمارات الوزارة ؟

— ان صيانة عمارات الأوقاف ينبغى أن نوفر لها جزءا من الريع .. ان رأس مال الوزارة المستثمر فى العمارات يبلغ ١١٥ مليـونا من الجنيهات ..

وأخـيرا ...

لعلك تريد أن تضيف الى معلوماتك شيئا جديدا .. عن أول وزير للأزهر .. عن أول أزهرى يعالج مشاكل وزارة الأوقاف بصراحة وشجاعة .. ولبـاقة .

— انه يحمل درجة الدكتوراه فى الفلسفة بامتياز من جامعة هامبورج بألمانيــا .

— انه كان الأول على زملائه عندما حصل على درجة العالمية سنة ١٩٣٨ . والثانى فى التخصص فى الأدب والبلاغة سنة ١٩٣١ .

— وان مؤلفاته وأبحاثه بلغت حتى الآن نحو ثلاثين كتابا وبحثا فى الدين والفلسفة والاجتماع .

عزيز أباظة



عزيز أباظه فى مكتبته الخاصة

يمثل المدرسة المترفة التى تجعل من قصائدها معرضا جميلا للتحف .. لا يكاد يطرقها طارق حتى يؤخذ بما فيها من ثراء وغناء وان كانت تبدو فى أكثر الأحيان بعيدة عن أدوات حضارتنا البسيطة الصغيرة الرشيقة .

وهو أحد الذين عالجوا المسرحية الشعرية بنجاح .. وخطا بعد شوقى خطوات واسعة حين استطاع أن يبلور شخصياته الفنية .

وفى مسرحياته الشمالى قدم عملا ربما عازه التكنيك المسرحى الحديث . على أنه يمتاز بغنائية واضحة .. وهى الميزة التى أبعدت مسرحيات شوقى عن « الدراما » وهى التى تعمل على ابعاد عزيز أباظه عنها أيضا .. ربما لأن من طبيعة شاعرنا نفسه ، وربما « لنوع » الاطار الفنى الذى يصوغ فيه تجاربه النفسية .. الا أنه يحلق بهذه الغنائية ويتفوق على نفسه كثيرا !

وأما خياله .. فقريب المأخذ ، لأنه أحد الذين يحبون القديم ، والقدماء لم يكونوا يغربون بخيالهم ، لأن اعتمادهم قائم على حسن الصياغة وأباظة من أكبر من يحسن الصياغة فى عصرنا هذا ! .

وهو أخيرا يؤمن بأن الشعر تجربة حياة ينبغى أن يعيشها الشاعر باخلاص ، ولعل هذا هو الذى جعله يكتب فى « السد العالى » مثلا كما يكتب فى علاقة غرام قديم .

لقد وقف الرجل الذى وصل الى الواحدة والستين من عمره وظل ساعتين كاملتين يروح ويجىء فى قاعة مكتبته الضخمة ، وهو يجيب على أسئلتى ، كان ينتقى العبارات ويستلهم اللفظ من عرائس الالهام ! (١)

---

(١) شتاء ١٩٦٢ .

ان أول ما يثير الانتباه فى مسكنه هو حجرة المكتب المطلة على النيل فى الزمالك ، وقد روى لى قصة المكتب وكيف أنه رآه فى باريس منذ عشرين عاما عند تاجر عاديات ، وكيف قيل يومها أنه كان من مخلفات نابليون بونابرت ، وكيف استطاع شراءه بثمانمائة جنيه ، ثم حصل على اذن من حكومة فرنسا باخراجه بحجة أنه من المخلفات النـادرة التى لا تفرط فيها الدولة .

الانتخاب كان مفاجأة :

سألت الشاعر الذى يحتفظ بأوفى مجموعة من مؤلفات شيكسبير ، وموليير وأناتول فرانس ، وراسين :

— كيف كان شعورك وأنت تستقبل نبأ اختيارك عضوا فى المجمع ، وانتخابك قبل ذلك نقيبا للشعراء ؟ .

قـال :

— شعورى كان شعور التقدير العميق وبالذات لأعضاء المجمع الذين أعطونى أصواتهم وجعلونى موضع ثقتهم وان كنت لم أطلبها ، وأعتقد أن مثل هذا التصرف — من جانبهم — هو زيادة فى الفضل ، وموقفى من المجمع غريب نوعا ما لأننى كنت أعتقد أننى قد حسمت مسألة ترشيحى بالخطاب الذى أرسلته لأستاذنا الكبير رئيس المجمـع ، وبالاعتذار الذى قدمته شفويا لصديقى الدكتور كامل حسين الذى فاتحنى منذ ست سنوات بأنه زكانى فعلا للترشيح ، ومن أجل ذلك كان انتخابى هذه المرة مفاجأة كبيرة لى .

قلت له :

— هل كان اعتذارك بعد يأس حتى كتبت الخطاب لأستاذ الجيل ؟

وصمت عزيز أباظه طويلا ثم قال :

— لأسباب متعددة اعتذرت . أولها وأهمها (رحم الله من عرف قدر نفسه) ومنها اننى كنت مشغولا بأعمال اقتصادية كثيرة كانت تقتضى سفرى من وقت لآخر .

أما كونى لم أنجح فى انتخابات المجمع مرتين قبل خطابى المذكور فذلك لم يكن له كبير تأثير فى نفسى لأن الوصول الى مقاعد الخالدين يقتضى مشقة وصبرا يقوم بها الطامحون من أمثالنا الفنانين !

أما فيما يختص بانتخابى نقيبا للشعراء فأظنهم تواضعوا مشكورين فانتخبوا شخصا تنطبق عليه صفة الشاعر بشىء من الصعوبة لأنتى — كما تعلم — أعنى بفرع واحد من الشعر ، وهو الشعر المسرحى ، اذن فرئاستى لنقابة الشعراء هى رئاسة مظهر ، أو قل أنها رئاسة نظام لا أقل ولا أكثر .

المغنى فى بطن الشاعر !

— تقول ان أعمالك الاقتصادية كانت تشغلك كثيرا وتقتضى سفرك فكيف توفق الآن ، بينها وبين العضوية ورئاسة الشعراء ؟

— هذه المشاغل قلت كثيرا بعد قانون السن المعروف وكذلك فان الانتاج الأدبى قل عندى أيضا وآمل أن أتغلب على هذا الكسل الذى لازمنى أكثر من ستة أشهر بعد الفراغ من مسرحيتى الأخيرة ، لأبدأ عملا جديدا وأمامى موضوعات مختلفة لم أستقر على واحد منها بعد ، منها :

معاوية ، وصلاح الدين ، وأحمد بن طولون وسأترك الاختيـار للمقادير !

قلت :

— هناك من يتهم الشعراء بأنهم معزولون عن الحياة والمجتمع الذى يعيشون فيه فهل لهذا الاتهام نصيب من الصحة فى رأيكم ؟

وبسرعة قال :

— العكس هو الصحيح فأنا أتهم الشعراء بأنهم مندمجون أكثر مما يجب فى الأحداث التى تجرى ، ومن أجل ذلك فالقول بأنهم معزولون عن الواقع هو قول مردود . فأنت ترى أنه فى كل مناسبة قومية أو وطنية أو فى كل موسم من المواسم التى يستجب فيها الشعر ، أنت ترى ان الشعراء يقبلون اقبالا يكاد يكون مغرقا .

احدى الشناويات !

وانتقل الحديث الى ما أثاره كامل الشناوى من اللغط حول قصيدة نقيب الشعراء الأخيرة فى السد العالى ، والتى غنتها أم كلثوم واستمع اليها الملايين فى الأسبوع الماضى وكيف قيل ان بعض معانيها وألفاظها سبق لكامل أن عالجها فى احدى قصائده .

وارتفعت قهقهة بددت الصمت والهـدوء فى مسكن الشاعر الفحل ثم قال :

— أنا لم اطلع على قصيدة الأستاذ الشناوى التى تشير اليها ، ولا غرابة فى أن تكون معانى القصيدتين متشابهة اذا كانت قصيدته مكتوبة عن « السد العالى » .

ومع ذلك فتستطيع أنت أن تقدر مدى الاتفاق بينهما على أن تحيطنى برأيك لأننى أجد متعة فى ذلك .

قلت له :

— بوصفك شاعرا مسرحيا ألفت للمسرح ثمانى مسرحيات شعرية ألا ترى أن المسرح العربى يعانى فى هذه الأيام أزمة طاحنة فهل مرد ذلك الى عدم وجود المؤلف أو الممثل أو هو عيب الجمهور ؟ .

قــال :

— أظنك تعلم أننى مقرر لجنة تعنى بشئون المسرح وهى تابعة للمجلس الأعلى للفنون والآداب وهذا الذى تسأل عنه هو موضوع مناقشات ومباحثات مستمرة فى هذه اللجنة ، وأسارع فأصادقك على أن المسرح يعانى أزمة طاحنة — القول بذلك سهل وقريب التناول لأنه حقيقة ، ولكن المهم ليس هذا ، انما المهم هو ايجاد الوسائل للنهوض بالمسرح ، فالمسرح كما نعلم هو مظهر حضارة كل دولة ومعياز تقدمها وتقدير القيم الجمالية فيها . والمؤلف مقصر لا شك ، فكبار كتابنا وشعرائنا مضربون عن الكتابة للمسرح حتى من كان يكتب منهم فيما مضى انقطع عن ذلك . والمسرحيات التى تقدم الآن كثيرا ما تقصر عن بلوغ المنزلة المطلوبة ، وحين أتحدث عن المسرحيات . فأنا أسقط من حسابى — بطبيعة الحال — المسرحيات المنهارة التى ما كان ينبغى أن تمكن من الظهور .. ويمكن أن تقول بعد هذه المقدمات أن الجمهور معذور مثلا ، ولكن الجمهور أيضا يمكن أن يلام لأنه تهاون فى أمر المسرح بعد أن كان يتعشقه فى الأزمنة الماضية ولا ينبغى أن تترك الدولة دون أن نقــول ما لهــا وما عليها فهى بالرغم من معاونتها بالاعانات

والمكافآت ومختلف التشجيعات الأخرى فهى ما زالت دون نصف الطريق ، وما زلنا نأمل أن تتضاعف هذه المعاونات المختلفة وبالأخص المعونات المالية . هذه رءوس مسائل نبحثها باستمرار تفصيليا ، وتتصل فيها بالمجلس الأعلى وبوزارة الارشاد بغية الوصول الى ما يعيد للمسرح مكانته بين الجمهور .

نقد طه حسين

قلت :

— فى مسرحيتك أوراق الخريف رأينا الدكتور طه حسين ينقدها بينما رأيناه يمتدح ديوان أنات حائرة وكذلك مسرحية غروب الأندلس ترى أكان نقده بناءاً أم هداما .. ذاتيا أم موضوعيا ، ونحن نعرف أنه ليس بشاعر ؟ . قال : بعد فترة صمت طويلة وهو يمشى فى حجرة مكتبه بخطى وئيدة :

— هذه زحمة أسئلة فى سؤال واحد فلنحاول أن نرد عليها بالترتيب ، ولكن أسارع فأطالعك بأننى مختلف معك فى نقطة أساسية وهى أن الشاعر لا ينقده الا شاعر ، فالواقع غير ذلك وأظنك تعلم أن الدكتور طه من واضعى أسس النقد الفنى فى الأدب العربى الحديث ، ولكن ذلك لا يمنعنى أن أؤكد لك أن كثيرا من نقده للشعر لم يحدث فى نفسى الأثر الفاعل ، خذ فى ذلك مثلا نقده لشعر شوقى فأنت وأنا وأدباء العربية لا يرون شوقى قد فقد كثيرا رغم نقد دكتور طه الذى اشتد أثره ، وتعددت جوانبه . واستطرادا أرجو أن أؤكد لك أيضا أن نقده لمسرحية أوراق الخريف لم يبلغ المنزلة التى اعتدنا أن نلمحها

فى روائعه ، أما رضاه عن أنات حائرة وعن غروب الأندلس فانني أعتز بهذا الرضاء !

قلت :

— يلاحظ أنك تهتم فى شعرك بايراد ألفاظ أنيقة مهجورة ، كما تقول فى قصيدة لك من ديوان أنات حائرة :

المونق الخضل الجذلان ملعبنا

والضاحك المشرق المأنوس مغنانا

وغير ذلك من أمثال هذه الألفاظ التى أحييتها .. فما هو السر ؟

قـال :

— لا سر ، ولا حاجة ، انما هى ألفاظ تؤدى المعنى المطلوب فى جمـال وموسيقية بحسب ما أستطيع ، وأصدقائى يعلمون أننى أقدر اللفظ والأسلوب أبلغ تقدير ، ويعلمون أننى أقسم الألفاظ الى قسمين : ألفاظ شعرية وألفاظ لغير ذلك من الأغراض .

زوجتان فقط ..

وانتقلت أفتش داخل قلب الرجل الذى ينتقى اللفظ ويتخير المعنى ، لأبحث عن عدد معشوقاته .. ولأقف على أسرار حبه للجميلات بالجملة كما يروى بعض أعضاء لقابته ..

قلت :

— أى ذكرى هاجت أشـجانك حينما قلت فى القصـيدة التى يغنيها عبد الوهاب :



عزيز أباظه مع زوجته

يا ليـــلة جمعتنا بعـــــد طول نوى
ذكراك هاجت لنا الأشجان ألوانا

قال : وكأنه يستعيد ذكرى عزيزة على نفسه عميقة الأغوار فى قلبه :

— تلك كانت ذكرى ليلة الزواج ، وهذا التسجيل كان بعد أن توارت الزوجة ، وانهدم العش الجميل .

قلت :

— وكم مرة تزوجت ؟

— مرتين ..

وتفهم من أحاديثه أن ديوان أنات حائرة كان من فيض حنينه الى زوجته الأولى التى أنجب منها بنتين وولدا يتعلم الآن فى سويسرا .

يا بنتى يا حبيبتى !

قلت :

— ينفس عليك بعض الشعراء والأدباء أنك حينما تكون فى حفلة عامة تلتف من حولك الحسان ، فهل سر ذلك فى شباب القلب أو سره كامن فى براعتك فى رمى الشباك ؟

قال وهو يضحك :

— اذا كان هذا الذى يقولونه صحيحا ، وأرجو أن يسمع الله منهم ، فان مرد ذلك لشىء واحد هو العجز والانكسار ، وذلك أن تقـرأ العجز بالفتحة والسكون ، وتحضرنى هنا نصيحة تلقيتها من أستاذ من أساتذة هذا الفن الذى لا أجيده وهو المرحوم اسماعيل صدقى فانه كان يشجع الحسان على الالتفاف به بألفاظ الأبوة بأن يقول لها :

« يا بنتى يا حبيبتى » وما أشبه ذلك ، وحين علت سنى وبدأت فى أن أطبق هذه النصيحة وجدتها لعبة مكشوفة ! .

ومن أجل ذلك تستطيع أن تطمئن الشعراء والأدباء — الذين يقولون ما تنقله لى — ان الطريق أمامهم مفتوح .

وسألته :

— ومتى تهبط عليك عرائس الالهام ؟

فأجاب :

— ليس فى أوقات معينة الا الأوقات التي تكون الفكرة مختمرة فى ذهنى وهذا قد يقع فى أى وقت .

— بوصفك نقيبا للشعراء ، ما الذى ستفعله لتوحيد جهود شعراء الاقليمين ؟

— هذه رغبة صادقة وقديمة عند نقابة الشعراء ، وسننتهى من بحثها قريبا . وأعتقد أن النتيجة الحتمية هى توحيد الجهود فى صعيد واحد .

قلت :

— من هم أعظم شعراء العروبة الآن ؟

قال :

— فى الاقليم الشمالى شفيق جبرى وفى لبنان بشارة الخورى ، وفى الاقليم الجنوبى العقاد !

قلت له :

— ومن التى ألهمتك قصيدة عش الزمالك ؟

قال : هو عش بناه الخيال (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون) .

— وزوجتك الحالية كم ترتيبها بين ملهماتك ؟

— الزوج أنيس وصديق ورفيق ، ومن أسمى العواطف الانسانية الصداقة ، ومن أروح ما يطلبه الرجل المكدود الأنس ، والرفقة المواسية .

ألا يكفى الزوجة ذلك ؟

محمد شفيق غربال



رجلان ولدا فى آخر سنوات خمس من القرن التاسع عشر .. أولهما أحـد كبار جغرافيينا وهو محمد عوض محمد ، والثانى أحـد كبار مؤرخينا وهو صاحب هذه الترجمة .. شفيق غربال !.

والرجلان الى جانب عملهما العلمى يحبان الأدب ، ويتنازعهما الأدباء والعلماء جميعا ، وشفيق غربال بالذات أحد الذين فازوا بجائزة الدولة فى الأدب باعتبار التاريخ أداة من أدوات الأديب .. فضلا عن الأسلوب الفنى الذى دبج به كتابه الذى نال به الجائزة ..

وشفيق غربال كرائد وكمعلم جيل انصرف الى تلامذته فلم يؤلف كثيرا ، الا أن القليل المسجل يدل على عقلية منظمة علمية .. ولكنها لا تنكر ما فى الحياة من جمال ، فكان اطارها رشيقا ، كأنه اطار قصيدة أو أى عمل أدبى آخر !.

وكالجغرافى الذى تنازعه الأدباء والعلماء يؤمن بالانسان لأنه يحب الانسان ، ولكنه يؤمن أيضا بأن فى التاريخ حلولا لمشكلات المعاصرين .. لأنه دورة تكرر نفسها وهى فلسفة يأخذ بها نفسه .

وبين ما أخذ به نفسه من فكر وايمان وصوفية وأدب يقول الأدباء أنه كان أستاذا .. وعميـدا بكلية الآداب .. ومستشارا فنيـا لوزارة المعارف .. ويكفيه انه فاز بالجائزة الأولى فى الأدب بعد هيكل وأحمد أمين ، وطه حسين والعقاد ، وفريد أبو حديد ، وسهير القلماوى ..

والمؤرخون يقولون عنه : أن أصله أستاذ تاريخ .. منذ اثنين وأربعين عاما — وبالذات — بعد أن تخرج فى معهد البحوث التاريخية فى جامعة

لندن .. وانه واحد من الاثنى عشر مؤرخا دوليا الذين اختيروا لكتابة تاريخ العالم والجنس البشرى .. وان كتبه مراجع فى جامعات الدنيا ..

فى حديقة فيلته التى استأجرها من شركة مصر الجديدة بخمسة وعشرين جنيها فى الشهر تراه الآن يقضى ساعات فراغه فى الاطلاع أو فى مشاركة البستانى فى تهذيب الأشجار .. لأنه لا يستطيع البقاء طويلا داخل حجرات الفيلا بعد أن خطف القدر زوجته وتركه وحيدا لامؤنس له سوى كلبه وطباخه ..

وفى غير أوقات فراغه ترى الرجل سعيد الحظ — فى نظر الأدباء والشعراء والمؤرخين — مرتبطا بأكثر من عمل وموعد .. ثم فى الليل يعيش معها بروحه .. ويحس بطيفها يؤنث وحدته طوال ثمانى ساعات كاملة .. كما يقول (١) ..

ومع الرجل السعيد الحزين .. المؤرخ الأديب ، الذى يقف على أبواب الرابعة والستين .. وبين أبهاء فيلته الأنيقة قضيت وقتا طويلا لعلى أستطيع فيه أن أنقل الى قراء الأدب صـــورة واضحة من حيـــاة العبقرى الذى ما يزال يربط الكرافتة السوداء .. على الرغم من أنه فقد زوجته منذ ثلاثة أعوام ..

وسألت محمد شفيق غربال عميد الآداب ووكيل وزارة التربية السابق ومدير معهد الدراسات العربية حاليا :

— هل كنت تتوقع الفوز بجائزة الدولة ؟

— لم أكن أتوقع الحصول عليها ...

— هل يمكن أن تصف شعورك وأنت تتســلم الألف جنيــه من وزير التربيـــة ؟

---

(١) ربيع ١٩٥٧ .

— المسألة أن الانسان حينما يصل الى سن معينة — مثلى — فان الأحداث الخاصة التى تصادفه لا تؤثر عليه بقدر ما تؤثر عليه الأحداث العامة .. وأهم حاجة شعرت بها أن ما حصل سيرضى أصدقائى وتلاميذى لأنى نلت تقديرا من جانب الدولة ..

— ومن هم الأصدقاء والتلاميذ الذين تنتظر منهم أن يفرحوا لفرحك ؟

— الأصدقاء كثيرون .. والتلاميذ أيضا ومنهم نجيب هاشم وعلى الجريتلى وعبد الجليل العمرى ، وأحمد عزت عبد الكريم .. وصفوت وغيرهم من أساتذة كليات الآداب ..

— كم سنة استغرقها تأليف الكتاب الفائز بالجائزة .

— الموضوع يلازم الانسان سنين طويلة .. أما الكتابة ، ومباشرة التحضير فقد استغرقتا ٣ سنوات ..

— كيف انفقت الألف جنيه !

— الألف جنيه كما هى .. لم تصرف بعد !

— هل ضممتها الى رصيدك فى البنك ؟

— لا رصيد عندى سوى هذا المبلغ .

ما أشبه الليلة بالبارحة

— نلت الجائزة عن الكتاب « تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية » ، فما هى حقائق التاريخ فى هذه الأيام ؟ .

وقطب الرجل ما بين حاجبيه وهو يقول :

— ان خلق اسرائيل يعد من الجرائم التاريخية فى نظر علماء التاريخ ! لأن ، اليهود من أقدم العصور متعبون .. حينما كان يغيب عنهم موسى يعبدون العجل ! .



محمد شفيق غربال
(التاريخ مفصل بالأدب)

وأن سيناء لم تقترن باليهود مطلقا .. وايلات طول عمرها فى أيدى المسلمين وان ابراهيم كان موطنه الأصلى جنوب العراق ..

— وان الموقف الذى تواجهه مصر الآن قد واجهه صلاح الدين — حينما تطفلت أوربا على المسلمين والمسيحيين العرب — كما نواجه التطفل الصهيونى ، وكان علاج صلاح الدين يتركز فى ايجاد جبهة متحدة .. ومصر كانت مفتاح توحيد الجبهة ، فبعد أن اتم هذا التوحيد سياسيا ودينيا ، وحربيا ، دخـل فى معركته ونجح فى هزيمتهم فى حطين .. والدرس الذى نتعلمه من صلاح الدين — الذى لم ييأس بعد مائة عام من بقاء بيت المقدس فى أيدى الصليبيين — يتمثل فى الاتحاد وعدم التسليم بأن ما حدث كان نهائيا ، فانه بالفعل قد استرد بيت المقدس واجلاهم عن الساحل .

ونقل الى المسجد الأقصى المنبر الذى أعده له نور الدين قبل النصر بعشرين عاما ..

وروى المؤرخ الأديب قصة أحد الصليبيين وكان اسمه ارناط ، وكان يحكم القلاع على البحر الميت ويقطع الطريق بين مصر والشام .. وكيف أنزل مراكبه فى البحر الأحمر لتهديد المدينة المنورة ، ثم نذر صلاح الدين دم ارناط فقبض عليه ثم ذبحه صلاح الدين بيده لأنه كان أخبث الفرنجه .. وغدارا لا يرتبط بأية هدنة !!

لماذا لم يدخل مجمع الخالدين ؟

قلت للرجل الذى لا تمل أحاديثه وهو يسرح بك هنا وهناك عبر مجاهل التاريخ .

— يقال انك تعالج التاريخ بأسلوب الأدب ؟ .

— لأن التاريخ متصل بالأدب !

— كم كتابا ألفت حتى الآن ؟ .

— لم أؤلف كثيرا لأنى صرفت أكثر الوقت فى توجيه الأبحاث ، وتوجيه الطلاب فى الجامعة وفى معهد الدراسات العربية ، بوصفى مديرا له بعد ساطع الحصرى ..

— من أحب الأدباء الى نفسك ؟ .

— طه حسين ، ومنصور فهمى ، والمرحومون أحمـد أمين ، ومصطفى عبد الرازق ، وهيكل ..

— وكيف تذكر فى مقدمتهم طه حسين وقد كان الخلاف الشديد بينكما سببا فى أنه ابعدك من المعارف الى الشئون الاجتماعية سنة ١٩٥١ ؟

— هذا لا يمنع .. ولابد أن الابعاد كان لمصلحة العمل ..

— كنت مرشحا لعضوية المجمع اللغوى منذ سنة ١٩٤٥ وأنت وكيل وزارة .. فلماذا لم تحصل على العضوية حتى اليوم ؟ .

— لابد أن أكثرية المنتخبين قد رأت أن انضمامى للمجمع لا يفيده فى تحقيق أغراضه ! .

— ما الفرق بين حياة الوظيفة والمعاش ؟

— الوظيفة كانت ترتب وقت فراغى .

مع الصوفيين .. لا مع الوثنيين !

وسألت أستاذ التاريخ السابق :

— متى .. وكيف .. وممن تزوجت ؟ .

— سنة ١٩٢٧ وكانت زوجتى طالبة معى فى جامعة لندن ، وربطت الدراسة

والصداقة قلبينا فتزوجنا بعد اسلامها فى القاهرة .. وعاشت هنا وعشت معها حياة سعيدة ثم فقدتها منذ ثلاث سنوات .

— وهل أنجبت من زوجتك أولادا ؟

— نعم الدكتور مراد وهو طبيب مستشفى ههيا الآن .

— وكيف حالك من بعدها ؟ .

— سوف أكتب عن ذلك كتابا اسجل فيه كل خواطرى .. ولمعت الدموع فى عينى المؤرخ الأديب وأنا أسأله :

— وكيف تتغلب على الشعور بمرارة الوحدة ؟ .

— لا أشعر بالوحدة لأنى أعيش فى جو لا وحدة فيه . !

— ألا تشعر بالحاجة الى الجنس الآخر ؟ .

— الجنس الآخر موجود معى بذكرياته الحية .

— تعنى أنك تعيش بين صورها وذكرياتها ؟

— لا . لست من عبدة الأوثان !

— كم ساعة تنام من الليل ؟ .

— ٨ ساعات .

— هل فكرت فى الزواج بعد وفاتها ؟

— أنا لا أرى ضرورة للزواج ما دامت الزوجة لم تترك أطفالا ..

بلا تطرف .. مع منصور فهمى !

— وقلت للصوفى الذى يعيش مع الأطياف التى تملأ فراغه :

— هل تنصح بزواج الموظفة . وما رأيك فيما يقوله منصـــور فهمى فى الزواج من الموظفات ؟

— اذا استطاعت الأسرة أن تستغنى عن عمل الزوجة فأنا أفضل عدم الاشتغال ، أما اذا كانت فى حاجة مادية فأرى الخضوع للضرورة .. والأفضل أن يستغنى عن العمل مع التضحية بالايراد الذى يأتى من قبل الزوجة ..

— اذن أنت تؤيد رأى الدكتور منصور فهمى ؟ .

— ولكن ليس بالتطرف الذى ينادى به ! .

— والاختلاط بين الجنسين .. ما رأيك فيما يطالب به دكتور منصور فهمى ؟ .

— لا يمكن ارجاع عقارب الساعة الى مجتمع قديم .. لأن المجتمع القديم لن يعيش فى ظروف الوقت الحاضر .. واعتقد أن مزايا الاختلاط أرجح من الأضرار .. وانه مع تقدم المجتمع وتطوره ستزيد المزايا ، وتقل الأضرار فى الوقت نفسه أنا أيضا من أنصار الكليات الخاصة بالبنات .. أحب أن أرى كليات فيها اختلاط ، وكذلك كليات خاصة بالطالبات ، والذى ينادى بانشاء كليات خاصة بالبنات ليس معناه انه ضد الاختلاط فى الكليات الحالية .. بل تبقى على ما هى عليه ، وفى الوقت نفسه تجد الاسرات المحافظة كليات تلائمها ، نظرا لأنها خاصة بها وذلك أفضل من أن تترك البنات من غير تعليم بحجة المحافظة عليهن .

— وما رأيك فى تعيين الكمساريات ؟

— اعتبر ذلك العمل شاقا وقاسيا بالنسبة للبنت .. وليست هناك ضرورة تبرره من جميع الوجوه ..

وزحمة الاوتوبيسات بالذات ، ومن جهة ثانية انه لا يوجد نقص فى

الأيدى العـاملة بين الرجال ، وفى أوربا — على ما أعرف — كان استخدام البنات فى انجلترا ناتجا عن تجنيد الرجال .

السعادة أمان من الخوف !

وسألت مدير معهد الدراسات العربية :

— وما هى الأهداف التى من أجلها أنشأت الجامعة العربية المعهد الذى تديره ؟

— دراسة مختلف الشئون العـربية دراسة علمية ، وتكوين شـباب عربى مزود بالثقافة والآداب العالمية ..

— ما أحب الفنون اليك ؟

— استعدادى فوق المتوسط .. ولكننى أسمع موسيقى ولا أتعصب لنوع معين ، غير أن قصائد شوقى التى تغنيها أم كلثوم .. وعبد الوهاب قديما وألحان سيد درويش تعجبنى ! .

— وما هو طعامك المفضل ؟ .

— الحـاضر .

— هل تستطيع أن تعرف السعادة فى كلمتين اثنتين ؟ .

— الأمان من الخوف .

عوض محمد



د . عوض محمد مع ابنته الكبرى وولده

فى مختتم القرن التاسع عشر ولد هذا الطفل أصيلا فى بيئته ، أصيلا فى ميوله ، ولما كبر وأتيح له أن يتصل بالغرب لم يأخذ عن الغرب الا ما يعينه على التفكير ، وعلى أن يلتمس الحلول بأقرب طريق .

وظل مصريا عربيا ، وتزوج مصرية عربية ، وطبع بيته بطابع مصرى عربى .

وبهذه السمات يرحل دائما .. لأنه جوّاب يحب العالم عيانا كما يحبه فى دراسة الكتب .. فهو جغرافى .. بل هو جغرافى من الطراز الأول ، ويؤمن بأن الجغرافيا تستطيع أن تقدم للانسانية ما تريده من تقدم .

ولقد كانت نشأته تدفعه الى لون من التفكير ولو من العمل يظهرانه عنيدا .. مغرورا قادرا على أن يفعل أى شىء .. يضفى عليه ذلك الاحساس قوامه الفارع ووجهه الصارم الجامد .

وحين يلتقى بأحد يذوب رقة .. فقد قلت لك ان فيه أصالة البيئة التى أنشأته ، ومصر — كبيئة — أكرم على أبنائها من أن تنشئهم بلا أحساس .. بلا انسانية !

يحب الفن .. ويحب الأدب من الفن بصفة خاصة ، ويمتاز أسلوبه بالصراحة وبالقوة وبالقدرة على الابانة ، فى رشاقة ، وفى رقة .

ولكنه كأديب وكجغرافى فان الأدب والجغرافيا لا يقفان حائلا بينه وبين المشاركة فى حل قضايا بلده .. فهو يطير الى الأمم المتحدة ليشترك فى مؤتمر منع التعصب والتفرقة مؤمنا بحق الانسان فى حياة كريمة .

كما يطير الى باريس والى بوينس أيرس والى نيودلهى والى أى مكان مقدما خبراته .. وهى خبرات هيأت له أن يصبح وزيرا للتربية والتعليم يوما ما .

قلت لوزير المعارف السابق الدكتور محمد عوض محمد .. والذى أصبح الطيران الى المؤتمرات جزءا من هواياته .

— وماذا وراء المؤتمر الجديد ؟ .

— مهمته مكافحة التعصب .. وسنبحث — بالذات — مشكلة العطلة الاسبوعية .. وهل نصت عليها الديانات .. أو أنها من وضع الناس .. والتقاليد ..

٢٢ سنة فى شقة واحدة

ان الأديب الطائر يعيش منـــذ اثنين وعشرين عاما فى شقة ايجارها ١٠ جنيهات فى الشهر ومعه أسرته المكونة من زوجته الأستاذة حورية حسن



د . عوض وابنته

فهمى مدرسة اللغة الانجليزية بمعاهد البنات .. وابنته ملك وولده مالك .. وهو يضع مكتبه فى حجرة نومه المطلة على النيل .. والتى تهبط عليه فيها ربات الشعر والخيال كما يقول :

وهو يسمح لزوجته بأن تقابل ضيوفه ولا يفرض عليها الحجاب كما يفعل أمين الخولى مع بنت الشاطىء .

عدو الجمال المستورد !

قلت له : (١)

— كم مرة تزوجت ؟

— مرة واحدة ..

— ولماذا لم تتزوج من أجنبية كما فعل طه حسين .. وكما يفعل أكثر أساتذة الجامعات حينما يسافرون فى بعثات خارجية ؟

— كنت مطعما — قبل السفر — بالايمان وبالاعتقاد بأن مثل هذا الزواج يخالف تكوين أسرة مصرية .

أصدقاء المناسبات !

— هل تستطيع أن تذكر ٣ أشياء استفدتها من الوزارة ؟

— استفدت صداقة رجال مجلس الثورة .. لأنى كنت أعرفهم وأنا مدير جامعة اسكندرية ..

— تعلمت أن أشفق على من يتولى منصب وزير التربية والتعليم .

— حسنت معاشى قليلا .. فأنا لا أملك شيئا .. وعندى أولاد .

---

(١) مارس ١٩٥٧ .

— كم عدد أصدقائك اليوم ؟

— كثيرون ولا أريد أن أحصيهم .

— وأيام الوزارة ؟

— أصدقاء الوزارة ظلوا أصدقائى .

— كم عدد الذين زاروك عقب خروجك من كرسى الوزارة ؟

— الخلصاء .. والذى حدث بعد الوزارة أن التلغرافات انقطعت والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه . ومسكين وزير المعارف لأن عنده ٢ مليون تلميذ !

خوجة جغرافيا وأديب غير متفرغ !

— كنت أديبا قبل أن تكون وزيرا فما الذى صنعته للأدب فى الشهور الستة التى عملت فيها وزيرا ؟

— لم أكن قادرا على التفرغ لخدمة الأدب بحكم أننى كنتَ أشتغل « خوجة » جغرافيا متفرغ .. وأديب غير متفرغ .

— وماذا فعلت للمسرح ؟ .

— لا شىء ..

— ما الفرق بين الأدب والوزارة ؟

— بين السما .. والأرض !

لا تتركوا كراسى الجامعة من اجل المال

— لماذا لم تعد الى الجامعة بعد خروجك من الوزارة ؟

— جرت العادة أن الوزير حينما يترك الوزارة لا يستطيع أن يرجع الى

وظيفة أصغر ولكن الشيء الوحيد الذى حدث أننى رجعت أستاذا غير متفرغ .. فلا أزال القى الطلاب .. وأمتحنهم فى الدكتوراه ..

— هل توافق على خروج الأساتذة للعمل فى الشركات ؟

— لا يجوز ترك كرسي الأستاذية من أجل المادة .. واذا أراد الأستاذ أن يستغل مواهبه فى الأعمال الحرة فيجب عليه أن يمارس ذلك داخل المعمل بمساعدة تلاميذه ويكون للجامعة ، ولكل منهم نصيب فى الربح ، ولنفرض أن الحكومة طلبت انشاء مسرح لمدينة القاهرة فأستاذ الجامعة يجب أن يجمع مساعديه ويقول : تعالوا نضع الخطة وننفذ المشروع داخل مكاتب الجامعة لا فى مكاتب المقاولين .. ولكن ذلك لا يترتب عليه انشاء العزب .. وعشان ايه ؟ الغنى الكبير يعمل مشاكل للانسان وللدولة .

— متى يتوقف انتاجك الأدبى ؟

— بعد الموت !

— يقال أن انتاج الأدب فى مصر ينهار بالتدريج ؟

— يخيل لى أن هناك جيلا يتكون الآن .. واذا حماه الله من الصحافة الرخيصة والغرور الذى يأتى عن طريق تكبير الصغير ، فسيشق طريقه ..

— ما الشروط التى يجب أن تتوافر فى الأديب . ؟

— حسن الاستعداد المغروس فى نفسه « ولا تسألنى كيف صاغه الله » .

— التنشئة التربوية بدراسة الآثار الأدبية .. ولا تقل عندى غريزة فقط .

— البعد عن الغرور .

— يقال أنه يجب على الأديب — حينما يتناول اسطورة قديمة بأسلوب

معاصر — الا يتعرض للأصل .. الا بمقدار ما يضيف اليها ما يزيدها خلودا .. فما رأيك فيما فعله توفيق الحكيم بأوديب ؟

— لا علاقة لى بهذا الأديب .. ولا بأوديب !

— والتعادلية .. ألم تقرأها ؟

— لم أقف على تفاصيلها بعد !

ابسن ... وطه حسين ..

وسألت خوجة الجغرافيا السابق .

— من تفخر بهم من تلاميذك ؟

— سليمان حزين ، وعباس عمار ، وحسان عوض ، ورمزية الغريب ، ومحمد الصياد .

— وما رأيك فى الغاء كليات الآداب . ؟

— شىء لا يعقل ..

— وفى تقسيمها الى شعب ؟ .

— سأتكلم حينما أرى المشروع ..

— لو كنت مديرا للجامعة ، فهل توافق على الغاء هذه الكليات ؟

— لأ ..

نصيحة بلا مقابل !

— متى تنام ؟

— الساعة ١٢ .. وأنا آخر من ينام فى البيت ..

— والست ؟

— بعد أن تعد المحاضرات لليوم التالى .

— وفى أى وقت تحلو لك الكتابة ؟

— حاليا من ٩ — ١٢ صباحا .

— ما هى أبرز العيوب التى تراها فى البيت المصرى ؟

— خروج الستات والرجالة الى حجرات الطعام بملابس النوم !

— كم يبلغ رصيدك فى البنوك ؟

— عدة أسهم تربح ١٥٠ جنيها فى السنة .

— ما هى النصيحة التى تقدمها لأدباء الشباب ؟

— الاطلاع والدراسة .. وخصوصا للأدب القديم فى كل اللغات ..

— أين تذهب هذا المساء ؟

— سيبنى بأه .. أنا رايح أزور طه حسين قبل السفر !

محمد فريد أبو حديد



أبو الفوارس .. صاحب زنوبيا وأزهارُ الشوك

كاتب استطاع منذ تحول من « العلم » الى « الفن » أن يجعل كتاباته وثيقة اجتماعية قومية .. لا من حيث أنها تقدم قطاعا ضخما من حيــاة العرب ، وانما من حيث انها تحدد موقفا ضد المستبد الطاغية !

ومن أجل ذلك وجد — الفتح — فى التاريخ .. وغزا أحداثه فى لباقة الفنان ، فكان أجرأ من انفعل بالماضى الانفعال العصرى الوثاب ، ولعل هذا يفسر لماذا استقبل الشرق العربى بحماسة انتاجه الروائى .

على أن « التاريخ » لم يمسك الفنان بحفرياته .. حتى وهو يصطنع الاطار .. فانه يسير بلا حاجة الى — أناقة — لأنه يمتلك السيارة ، وهو يرفض « الخباء » لأنه يعرف الڤيلا ، ويستطيع أن يصرخ فلا يسمع صدى يرده النخيل والجبل ويضيع فى أعماق السراب الخادع !

قدم « أنا الشعب » وظفر بما ظفر به من تقدير وايجابية وكانت هذه الرواية مستقاه من تراث جيل يبحث عن الحل الأخير ..

أجل .. هذا هو أبو حديد .. ابن الماضى ، المتطلع الى الأمام دائما .

الرجــل الذى يقرأ « عنترة » ويحفظ « شكسبير » ويحب مقالة « بديع الزمان » ويعشق روايات « ديكنز » .

الرجل الذى يخطط أو الذى خطط لعمله الحكومى بقدر ما خطط للرواية .. بذكاء وفهم ، وبقدرة على التبسيط المنشود .

شعره الأبيض يكسو رأسه .. ولكن حيوية الشباب تعمر قلبه .

سبعون عاما أنفقها من عمره ولم تنل الأحداث من نشاطه أو يقظته ..

فما سر هذه الحيوية الدافقة .. وهذه اليقظة ؟ ألا يكون هذا السر أنه عاش نموذجا حيا لأبطال قصصه الكادحين ؟

على سلم الڤيلا التى بناها فى حلمية الزيتون التقيت به . والى مكتبته الكبيرة دخلت وكانت عيناه تشعان بالسرور ، كلما تطلع الى الوسام الموضوع فوق مكتبه .

وطوال الوقت الذى قضيته معه كانت ضحكاته العالية تشق السكون المخيم على ڤيلته .. وكانت حكاياته تتوالى فتكشف كل منها عن الرجل الأديب عضو مجمع الخالدين .. وصاحب ذنوبيا ، وأزهار الشوك ، وأنا الشعب .

وسام الجمهورية

ومع بداية موسم النشاط الأدبى فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب هذا العام منح توفيق الحكيم أرفع وسام فى الجمهورية ولم يمض على الفرحة التى عمت جميع الأوساط الأدبية شهر وبعض شهر حتى احتفل أكثر من مائة أديب بتكريم فريد أبو حديد لمنحه وسام الجمهورية ، من الطبقة الثانية ، وكان « العريس » فى هذه المرة يجمع صفتين .. الأولى أنه .. عاش أيام شبابه يعلم التاريخ لطلبة المدارس والمعاهد .. والثانية : انه أديب اعترف له الأدب ، وعرف قراء العربية فضل قصصه التاريخية منذ وقت طويل .

وفى الحفل الذى شهده أكثر من وزير ، والذى أقيم بحديقة مجلس الفنون والآداب تكريما له ، سلمه كمال الدين حسين مع وسام الجمهورية من الطبقة الثانية براءة الوسام التى كان نصها :

« تقديرا لحميد صفاتكم وجليل خدماتكم فى التربية والتعليم منحناكم وسام الجمهورية من الطبقة الثانية » .

جارة الوادى

وقبل أن يمنح أبو حديد وسام الجمهورية كانت وزارة التربية والتعليم قد منحته وساما آخر ، هو وسام الاستحقاق بمناسبة خروجه منها واحالته الى المعاش ، ثم مرت أربع سنوات بعدها كان يعمل أثناء ثلاث منها فى ليبيا مستشارا فنيا لوزارة المعارف ، وهناك شرع فى تأليف كتابين أحدهما سينشر باسم « جارة الوادى » وفيه يتناول ذكرياته وانطباعاته عن ليبيا ، والثانى هو دراسات فى النقد الأدبى قال لى عنه :

— انه لن يكون مجرد نظريات بل نقدا تطبيقيا ، يعالج فوضى النقد السائدة عندنا فان خطوات الأدب الجديد فى مصر .. مثل القصة ، أو الشعر الحديث لم تكن معروفة فى الزمن القديم ، ولذلك لم يعرض النقاد القدامى لهذين اللونين من ألوان الأدب ، كما لم يعرضوا للملحمة ، أو أدب المقالة ، ولذلك فان الأدب العربى الآن يمكن أن يقال أنه خطا الى الأمام خطوات سبق بها النقد .. ومن الواجب متابعة هذه الخطوات .

سألت عضو المجمع اللغوى : [1]

— وما الذى ستعرض له من ألوان الأدب فى كتابك الجديد « جارة الوادى » ؟

---

(١) ربيع ١٩٦٠ .

وتحمس وهو يقول :

— سوف يتناول ذكرياتي وانطباعاتي عن ليبيا ، هذه البلاد العريقة في الفن والأدب ، والتي ما يزال أبناؤها ينطقون أكثر عباراتهم باللغة العربية الفصحى ، ولا عجب .. فانهم ينتمون الى فروع عريقة من أدباء الرعيل الأول الذين هاجروا من جزيرة العرب الى شمال افريقيا .. ومنهم أبناء أبو زيد الهلالي وحفدته . الرجل العربي صاحب الأساطير في الشجاعة والحرب .. لذلك لا تزال اللغة هناك في غاية السلامة ..

— وما الذي فعلته أثناء عملك في ليبيا ؟

— شاركت في وضع قوانين التعليم والمناهج ، وأنا لم أكن صاحب الفضل ، كنت خادما لليبيا ، ولم أعد من هناك الا بعد أن أصبح نظام التعليم مستقرا .

وسألته :

— ماذا كان شعورك وأنت تتسلم الوسام ؟

— شعور اغتباط تام بالتقدير العظيم ان خدمتي للتعليم انتهت بتقدير الدولة .

ومن دراسة فريد أبو حديد تعلم أنه عاش ثلاثة أعوام ينتظر جائزة الدولة التقديرية في الآداب ، ولكن سبقه الى نيلها طه حسين والحكيم ، والعقاد ، وان التقرير السري المكتوب عنه في مجلس الآداب والفنون يسجل :

« انه انصرف الى الكتابة سبعا وأربعين سنة ، ثم عكف على التأليف والترجمة ، عالج في تأليفه نوع القصص » ونزع الى بث الروح القومية ،

واقتبس أكثر موضوعاته من تاريخنا القديم والحديث ، فوصل بهذا الشكل حاضر الأمة بماضيها الحافل بضروب العظمة ، والسمو وأنواع الفنون والعلوم .

ان أبطال قصصه نماذج صالحة للبطولة ، أمثال سيف بن ذى يزن وعنترة والمهلهل ، ومن الحاضر أمثال عمر مكرم ، فهو من هذا الوجه فى جملة الكتاب الذين مهدوا فى عصرنا للنزعات القومية التى ترى آثارها فى مصر ، وأكثر بلاد العرب ، وقد ترجم بعض مقطوعات شكسبير الغنائية ، وبعض رواياته مثل مكبث ، والترجمة — فى مذهبه — يجب أن تكون قطعة من الأدب العربى بدلا من أن تبقى تعريفا بالأثر الأدبى المترجم ، كل ذلك الى عمله فى الميدان التعليمى معلما وموجها ومستشارا فنيا لوزارة التربية ..

الأستاذ الأكبر
الشيخ محمود شلتوت



ان العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة

فى قاعة شرقية من مبنى ادارة الأزهر ، يجلس شيخ الأزهر ، والى يمينه أربعة تليفونات ، أحدها خاص لا يعرف رقمه سـواه .. والثلاثة يمكن بها الاتصال بجميع فروع الأزهر من الشمال الى الجنوب ..

وقصة حياة الأستاذ الأكبر سلسلة كفاح متصلة الحلقات من أجـل بلوغ القمة ..

والشيخ محمود شلتوت ، شيخ الأزهر [(١)] نشأ فى الاسكندرية ، وتخرج فى معهدها الدينى ، ونال أكبر الدرجات العلمية من الأزهر ، وكان الأول دائما ، ثم تقدم برسالة نال بها عضوية جماعة كبار العلماء وهو فى الثامنة والأربعين .. وكان من أصغر العلماء الذين ظفروا بهذه الدرجة سنة ١٩٤١ . وكل الذين حصلوا عليها قد جاوزوا الخمسين .

وتقول قصة حياته انه كان مفتشا ثم وكيلا لكلية الشريعة فمراقبا للثقافة الاسـلامية ، فأستاذا للشريعة والفقه المقارن ، فوكيلا للأزهـر سنة ١٩٥٧ ، فشيخا له سنة ١٩٥٩ وأنه مثل الأزهر فى المؤتمر الدولى الذى عقد فى لاهاى واستطاع بجهوده أن يجعل المؤتمر يقر أن الشريعة الاسلامية مصدر كامل للتقنين الدولى العام .

ان جامعة شيلى منحته الدكتوراة الفخرية . لما له من فضل فى التوجيه الاسلامى والانسانى الذى ظهرت به كتاباته والشيخ الكبير الذى أدخل اللغات فى الأزهر ، بابه مفتوح للجميع .. استقبل أخيرا عالم الأقمـار الصناعية الدكتـور بول آرثر ، الأسـتاذ بجامعة كاليفورنيا ، ونقيب

---

(١) شتاء ١٩٦٠ .

الصحفيين الهولنديين ، ومنذ أسبوع فتح بابه لوثنى قدم من أمريكا ليسأله عن الفرق بين الوثنية والاسلام ، وبعد خروجه أعلن انه سيكون من أكبر دعاة التوحيد فى بلاده ، وانه سيعود الى الشيخ كل عام للاستزادة من العلم بالله والتوحيد ..

تعليم البنات فى الازهر

قلت للأستاذ الأكبر :

— كنتم أول من أدخل اللغات فى الأزهر فهل تفكرون فى فتح أبواب كليات الأزهر للطالبات ، للتخصص فى الشريعة الاسلامية أسوة بالطلاب ؟

قال :

— ان العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، والأزهر بطبيعته حصن الشريعة الاسلامية واللغة العربية فى العالم ، وهو يمد بهما كل طالب ولا يضن بهما على راغب ، لا فرق فى ذلك بين طالب وطالبة ما دام ذلك لا يؤدى الى شر ولا الى فساد .

والمرأة — وهى قطب الرحى فى مجتمعنا ودعامة الأسرة وقوتها — أولى الناس بهذا النوع من التعليم ، وقد تعلمت المرأة فى معاهد الأزهر قديما ، فكان منهن من تعلمن فى معاهد طنطا ، وفى الأزهر الشريف نفسه . غير ان الظروف الآن ليست مواتية لتعليمها تعليما جامعيا فى الأزهر عن طريق الاستقلال والانفراد لتظفر بهذا التخصص . ذلكم اننا لا نقر الاختلاط الذى يدفع الى الشر المحقق فالاختلاط — بوضعه الحالى مع عدم وجود الحصانة الدينية العميقة — هو اختلاط ضار ، بل هو هادم

للمثل والقيم . وما يعرفه كثير من الدعاة اليه من آثار بغيضة لأقوى دليل على تلكم القضية التى يحس بها المخلصون لدينهم ، المحافظون للمبادىء القائمون على المثل العليا .

ويوم أن تتهيأ الفرصة لاعداد أبنائنا وبناتنا اعدادا يملأ نفوسهم بالأخلاق الفاضلة ، ويخلق فيهم الرقيب الحى — رقابة الضمير الذى يستمد قوته من الرقيب الذى لا ينام أو عن الرقيب العالم الذى لا يجهل — يومذاك نأمن الاختلاط الحريص الدقيق . أما والأمر كذلك فان انشاء معاهد نظامية الآن للبنات فى الأزهر لم يحن بعد ، وخاصة ان الامكانيات قد لا تتوافر لذلك .

وليس معنى ذلك اننا وقفنا جامدين أمام ذلك ، ولكننا وجهنا السادة الوعاظ الى تنظيم دراسات نسوية فى المساجد ، يشاركهم فى هذا اخوانهم الأئمة فى وزارة الأوقاف ، وقد أتى هذا النظام ، بثمرة طيبة ، فعندنا الآن كثيرات ممن يعرفن أمور دينهن ويدركن أهدافه ومثله وقيمه ، ومن يدرى لعل هؤلاء وأمثالهن يكن نواة لمعهد تتخصص فيه النساء ثم يخرجن الى الجيل الجديد من الفتيات مثقفات وموجهات وهكذا نستطيع بذلك أن نسهم فى بناء جيل جديد حى يعرف ما عليه من الحقوق والواجبات .

وأخيرا اننا مؤمنون بضرورة تعليم الفتاة تعليما دينيا ولكننا جادون فى ترقب الفرصة التى تمكن لنا من تحقيق هذه التربية الدينية التى نملأ بها وطننا خيرا ونورا .

وبمناسبة اتجاه الأزهر الى ايفاد أكبر عدد من البعوث الموجهة الى العالم الغربى قلت لفضيلته :

— الى أى مدى يقوم الأزهر بنشر الثقافة الاسلامية فى العالم العربى والاسلامى ؟

فقــال :

— لقد خطا الأزهر فى هذا العهد خطوات فعالة وثابتة ، فتخطى البحار واجتاز الحدود ، ودخل كل بلد اسلامى وغير اسلامى ، وأخذ علماؤه الذين يوفدون منه ينشرون تعاليم الاسلام فيصوغونها فى قالب حبيب الى النفس والقلب والمشاعر ، فألفوا بين القلوب ووحدوا الأهداف والغايات بمختلف اللغات التى أعدهم الأزهر بها اعــدادا كامــلا يستطيعون بوساطتها أن يخاطبوا الشعوب بألسنتهم بما أوتوا من ثقافة وحسن توجيه .

معهد الاعداد والتوجيه

ولقد كان لمعهد التوجيه الذى أنشىء حديثا أثره الفعال فى النهوض بالبعثات الأزهــرية الى العــالم الاســلامى ، ففيه تدرس الانجليزية ، والفرنسية ، والألمانية والأندونسية والأردوية ، والسواحلية فساهم بقدر كبير فى امكان تحقيق رسالة الأزهر التى يشترك فى حملها الى الانسانية علماء يجيدون هذه اللغات التى تعتبر من أكثر لغات العالم تداولا .

هذه بعثة الأزهر الى الولايات المتحدة أوفدت بناء على النداءات التى تلقاها الأزهر من أبناء المسلمين هناك . والمتعطشين الى المعرفة الحقة لكتاب الله وسنة رسوله — تلك البعثة التى كان لايفادها صدى طيب فى نفوس الجاليات الاسلامية بالولايات المتحدة .

وهذه — أيضا — بعثات الأزهر الى آسيا وأفريقيا والعالم العربى

تربط بين القلوب وتوحد الاتجاهات ، وتأخذ بيد المسلمين الى الطريق الحق ، وتوصلهم الى القيم الانسانية الكاملة التى تنبع من صميم الدين الحنيف ، كما تنتزع من نفوس الشعوب الاسلامية ما لحقها من آثار المبادىء الهدامة التى كان يحاول الاستعمار جهده ليغرسها بينها طمعا فى النيل من كيان الاسلام ، وأملا فى نشر مبادئه التى لا تتفق مع المبادىء الاسلامية القويمة ولقد نجحت البعثات أيما نجاح فى ذلك ، وعرفت العالم مواطن الشر والفساد التى يأتى بها الاستعمار — مخلفا وراءه تضليلا وبهتانا .

ان نهضة الأزهر الحديثة لم تقف عند حد . فقد شملت طلاب البعوث الاسلامية الذين يزيدون على أكثر من خمسين جنسية ، فعملت على النهوض بهم بأحدث الأساليب العلمية والطرق التربوية ، كما أقامت لهم أعظم مدينة على الطراز الحديث تكلفت أكثر من مليونى جنيه ، تكفل لهم جميع أسباب الراحة والاستقرار ، وما زالت هذه المدينة — مدينة البعوث الاسلامية — تستقبل البعوث الوافدة فى أى وقت ويشرف عليها أبناء الأزهر البررة يعملون على توفير الاطمئنان بين هؤلاء حتى يعودوا الى بلادهم وقد اكتسبوا علما ومعرفة ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ويقودوهم الى الطريق الصحيح — طريق الاسلام المستقيم . فهم رسائل حية بيننا وبين بلادهم وشعوبهم ، يشعرون بعد ذلك بأن الجمهورية العربية المتحدة فى مكان القلب من هذه الشعوب ، وبذا تتجاوب الأفكار ويقوى الاتصال ، ويصبح المسلمون جميعا كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

تحديد النسل بشرط

قلت :

— ما رأى فضيلتكم فى فكرة تحديد النسل ازاء مشكلة ازدياد السكان ؟.

قــال :

— اننا نعتقد ان بيانات الخبراء فى مشكلة ازدياد السكان ، ليست قاطعة فى هذا الأمر فقد يكشف الزمن عن موارد جديدة لم تكن على بال الانسان من قبل ، وعقيدتنا نحن . ان التفكير فى تحديد النسل بهذا المعنى العالمى العام تفكير تأباه طبيعة الكون المستمرة فى النمو وتأباه حكمة الحكيم الذى خلق فى الانسان والحيوان مادة التوالد والتناسل ، وخلق مقابل ذلك فى الأرض وسائر ما خلق قوة الانتاج الدائم المضاعف .

ان المائدة التى أعدها الله لعباده فى ظاهر الأرض وباطنها لا يمكن أن تضيق عن حاجتهم وحاجة نسلهم مهما كثروا ومهما عاشوا .. اللهم الا اذا خان الصواب الحكمة الالهية فى تقدير المائدة مع تقدير الآكلين . تعالت حكمة الله عن ذلك علوا كبيرا .

ان تحديد النسل بهذا المعنى العام لا يمكن أن تقصده أمة تريد لنفسها البقاء وتعمل جاهدة وبخطوات سريعة فى المشروعات الانتاجية التى بها تنافس الأمم الأخرى ، وترد عنها كيد المستعمرين عن طريق الانتـــاج والتنمية الاقتصادية . واذا كان هذا التفكير تأباه طبيعة الحياة وحكمة الحكيم فانا نضيف هنا أن الشريعة الاسلامية وهى شريعة الحكيم العليم بطبيعة ما خلق لا يمكن الا أن تأباه ، فقد حثت الطبيعة على مبادىء القوة واتساع العمران ، وكثرة الأيدى العاملة وحثت على الزواج وامتن الله على الناس بنعمة البنين والحفدة كأثر من آثار الزواج ، وطمأن النفوس

على الرزق فقال : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات » .

وجاء فى وصايا الرسول قوله « تناكحوا تناسلوا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة » .

وقوله « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد » .

وقوله « من ترك الزواج مخافة العيال فليس منا » .

وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أبناءهم مخافة الفقر فنزل قوله تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم » . واذن فتحديد النسل بهذا المعنى العام الملزم للجميع خروج عن هذه الوصايا ، وسير فى جو الذين حذرهم الله قتل أولادهم خشية الاملاق .

ولا أدرى كيف يلزم الناس بمثل هذا وما الوسيلة لمراقبة الناس فى تنفيذ هذا الالزام ؟

هناك حالات يجب تحديد النسل فيها أو بعبارة أدق يجب تنظيمه ، فالاعتبارات الطبية فى حالات الحمل وحالات ذوى الأمراض المتنقلة بالوراثة وحالات الأفراد الذين تضعف أعصابهم عن مواجهة المسئوليات الكثيرة ولا يجدون من حكوماتهم أو الموسرين من أمتهم ما يقويهم ويعينهم على احتمال هذه المسئوليات .. تنظيم النسل بهذا المعنى لا يجافى الطبيعة ولا يأباه الوعى القومى ولا تمنعه الشريعة ان لم تكن تطلبه وتحث عليه ، فقد حدد القرآن مدة الرضاع بحولين كاملين وحذر الرسول — صلوات الله عليه — أن يرضع الطفل من لبن الحامل ، وهو يقضى باباحة العمل على وقف الحمل مدة الرضاعة .

وإذا كانت الشريعة تتطلب كثرة قوية لا هزيلة فهى تعمل على صيانة النسل من الضعف والهزال وتعمل على دفع الضرر الذى يلحق الانسان فى حياته .

ومن قاعدة الشريعة : الضرر مرفوع بقدر الامكان ..

ولكن هناك ما يجب أن ننبه اليه وهو موقف بعض الأغنياء الذين يكتفون بولد أو اثنين ، ضمانا لترفهم مدى الحياة كما يقولون ، ان هذا لا يعتبر مبررا فى نظر الشريعة التى جعلت من الميراث سببا لتوزيع الثروة وتفتيتها . وانى أعتبر هذا من الأغنياء فرارا من واجبهم نحو أمتهم فى ترقية جيل قوى هو بحكم ثرائهم أعظم قدرة على القيام بتكاليفه وأعبائه فليؤثروا واجب الوطن على رفاهية مزعومة .

أسطورة الارواح

وسألت فضيلته :

تفشى بين الشباب والأسر فى هذا الوقت بدعة تحضير الأرواح — فما رأى الدين فى ذلك ؟

فأجاب قائلا :

— لقد ابتلى مجتمعنا بأفراد فيهم من مركب النقص ما يدفعهم الى سلوك طرق ملتوية يبغون من ورائها شهرة وذيوع صيت مهما كلفهم الأمر ولو كان على حساب وطنهم حتى ولو على حساب الدين ، فمنهم من يحلق بالشباب فى سماء خيالات فاسدة بما ينشر لهم من روايات أو تمثيليات هزيلة تسلب لب الشباب وتضعف عقلياتهم وتصرفهم عن النافع من العمل أو التوجيه الى المفيد من القول وقد يعرضون لهم قصصا

يكمن فى العقل الباطن للشباب ويظل يحاول التنفيذ بالشكل الذى رسمته له القصة الفاسدة الى أن يجد ثغرة ينفذ منها فاذا هو شر من الشر وفساد يسرى فى جسم المجتمع الذى نحرص على بنائه فى عهد هـذه النهضة المباركة بناء نظيفا بعيدا عن الاثم والعدوان ، بعيدا عن الفساد الهادم والشر المسلط على ضعاف النفـوس وواهنى العقول ، ثم كانت ثالثة الأسافى فكرة شيطانية بحتة عرفت مما قرأت انها سرت بين شبابنا وشاباتنا فى المدارس والمعاهد وفى البيوت والمنتديات فكم من شباب اتجهت به الى الركون والى الخنوع والى التواكل والكسل ، فهذا يبحث عن أسئلة امتحانات وذاك يبحث عن المال يصل اليه عن أقرب طريق ثم كم من البيوت هدمت وأسر قوضت . فهذه سيدة تتبع — ظنا — حال زوجها وهذه مخطوبة تتبع حال خطيبها والعكس كذلك وسرعان ما تطلقه الزوجة أو تقف أمام المحكمة تشغل الرأى وتشغل المحاكم ، وسرعان ما تفسخ الخطبة كل هذا أو ذلك يؤدى بطبيعته الى الانشغال والانصراف عن الانتاج الذى نرجوه والعمل المثمر الذى ينشده المجتمع واستقبال ما علينا من تبعات جسام ومهام عظيمة .

ولكن أولئك الذين يصرفون شـبابنا عن كل مفيد انما هم بقايا من عقليات رجعية وأفكار مضمحلة ونفوس ضعيفة ، ثم هم أيد للاستعمار الذى اخذ عصاه وارتحل امام قواتنا ووعينا وسمو تفكيرنا ، ان مثل هذه الاتجاهات تضر بنا وبأمتنا وبقوميتنا فخير لهؤلاء وهؤلاء أن يوجهوا الى الخير لا الى العبث ، والى العمل لا الى الفساد والمجون .

ان الأمم الآن تمشى فى ركب الحضارة مسرعة وفى تيارات الانتاج وفى عصر الذرة والصاروخ بسرعة لا تعرف الركود ولا الكسل وما سمعنا ان

واحدا من هؤلاء أو هؤلاء عكف الى روح يستحضرها يسألها قنبلة ومدفعا أو صاروخا ولا سمعنا عن انسان راح يسأل الروح بطشا بأمة ولا سيطرة على دولة ، فكيف بنا تصرفنا بعض الشهوات الى الهزيل من العمل . ان الحياة حياة جد لا هزل وعمل لا كسل وانتاج لا نوم فثقوا ان الداعى الى مثل ذلك انما هو داع الى اضعاف بل الى استعمار قضينا عليه واستعمار العقول والأفكار شر وأخطر من استعمار السيف والمدفع فعودوا الى بارئكم واستغفروا ربكم . والآن أود أن أعرض على القراء حقائق لابد أن تكون أمامهم وفى نفوسهم ليتبينوا الحق فيتبعوه والباطل فيتجنبوه .. وليكون الحديث واضحا يجب أن نكشف عن الحقائق الآتية :

فالروح التى تحدث الناس عنها كثيرا وشغلت آذانهم ما هى ؟ ، وأين تكون قبل دخولها الجسد وأين تسكن بعد خروجها منه ؟ وهل تظل فى عالمنا هذا ؟ وما هى حقيقة تحضير الأرواح وهل هى صحيح ؟

الروح هى القوة التى تحدث الحياة فى الكائنات الحية من نبات وحيوان وانسان ، وقد غلبت على ما به من حياة الحس والحركة والعقل والتفكير وأضيفت الى الحيوان والانسان .

ولم يرد فى الدين نص واضح صريح يشرح حقيقتها ويحدد وجودها وكانت فى نظر الدين كغيرها من سائر الموجودات الكونية تركت للبحث البشرى يبحث عنها ويصيب أو يخطىء على حد سواء .

هذا ولقد خاض الانسان قديما وحديثا مليا وغير ملى فى البحث عن حقيقتها وأثرت عنه أقوال فيها وآراء . قال فيها الامام الألوسى بعد أن ذكر جملة منها : وبالغ الناس فى القول الى ما يزيد عن ألف قول ، ثم قال :

والمعول عليه عند المحققين قولان ذكرهما واختار أولهما وهو ان الروح جسم نورانى علوى حى مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وسار فيه سريان الماء فى الورد لا يقبل التحلل ولا التفرق يفيض على الجسم الحياة وتوابعها ما دام الجسم صالحا لقبول الفيض وقد أيده ابن القيم ، وقال انه الصواب ولا يصح غيره وعليه دل الكتاب والسنة .

الروح بعد مفارقتها الجسد

والعلماء كما اختلفوا فى البحث عن حقيقة الروح اختلفوا أيضا فى موتها وبقائها وفى مستقرها بعد مفارقة الأبدان . والذى ترشد اليه الآثار الدينية انها تخرج من بدن الانسان فيكون الموت ، وانها تبقى ذات ادراك تسمع السلام عليها وتعرف من يزور قبر صاحبها وتدرك لذة النعيم وألم الجحيم وان مقرها يختلف بعد مفارقة البدن بتفاوت درجاتها عند الله .

وعلى رغم كل ما جاء فيها فلا تزال حقيقتها من الغيب الذى لم يكشفه الله للانسان وهى فى ذلك ككثير مما ينتفع الانسان بآثاره دون أن يعرف كنهه وباب البحث عن حقيقتها مفتوح لم يمنع منه نص دينى . هذا ولا حجة للقائلين بحرمة البحث عنها فى قوله تعالى « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » فقد رجح بعض العلماء ان المراد منها فى الآية القرآن نفسه وقد سماه الله روحا ، « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ». وسابق الآية ولاحقها يرشد الى صحة هذا الرأى . فليس اذن المسئول عنه هو روح الحياة وحتى لو كان فليس فى الآية أكثر من انها أمر الله وهو لا يمنع البحث عن حقيقتها .

ولقد تغلب الوهم على الناس ودرجت طائفة منهم على التلبيس وعلى غرس الأوهام فى نفوس الضعفاء ، ضعفاء العقول وضعفاء الايمان فسيطروا عليهم بألوان مختلفة وتدرجوا معهم فى خطوات متعاقبة فمرة سيطروا عليهم عن طريق الزار أدخلوا فى روعهم ان الجن يلبس الانسان وان لهم قدرة على اخراجه فكانت حفلاته الساخرة المزرية . ومرة أخرى أوهموهم ان لهم قدرة على استخدام الجن فى الحب والبغض والزواج والطلاق فتفككت الأسر وهزل المجتمع وكان أكثر وأكثر الاعتقاد فى جلب الخير والشر عن طريق الجن فكانت التحويطة والمندل وخاتم سليمان مما شغل أذهانهم وعطل نواحى التفكير عندهم بل وأفسد عقائدهم فربطوا مستقبلهم بأوهى الأسباب وأظلم الطرق . ثم استغل كثير من المحتالين جماهير الشعب فى السيطرة عليهم بدعوى ان للجن قدرة على اظهار الغيب والاطلاع عليه أو ان الروح قادرة على أن تعود الى عالم الدنيا بعد أن خرجت منه فراحوا يستظهرون مسروقا ضائعا أو مستقبلا مخبوءا ثم استخدموه فى العلاج وصار للمحتالين مهنة يتعيشون منها وللمال يجمعون وبالعقل يعبثون أو للوقت يضيعون ومما يساعد على ذلك كله نشر هذا عن طريق بعض المثقفين أو ممن بيدهم جهاز من أجهزة الدعوة كالصحف وغيرها بما ينشرون ويذيعون على الناس من أسباب واهية وقصص باطلة وحكايات ضائعة ووسائل عجيبة كالسلة وغيرها .

وبذا يفسدون على الناس حياتهم ويصرفونهم عن سنة الله فى الكون من حيث العلم والعمل ويصرفونهم عن الجد النافع المفيد .

ولقد جاء الاسلام نفسه فوجد الناس يتقلبون فى طبقات من الجهل مكنت فى نفوسهم تلك التقاليد التى صاروا بها أسراء الوهم والخيال .

فعنى عناية كاملة بالارشاد الى الوسائل التى تنقى المجتمع الانسانى من أدران الجهل وعبث الوهم .

ومن هنا حارب الجهل وتتبعه فى كل وكر من أوكاره وفى كل لون من ألوانه .

قلت :

— وبماذا تنصحون الناس ؟

قال :

— بالدعوة الى الخلق الكريم .. واحياء الوعى القومى ..

منصور فهمي



الغريب ان الرجل الذى عاصر قاسم أمين .. والذى عاش ٣٢ سنة مع زوجته التى كانت موظفة كبيرة فى وزارة المعارف ، وأستاذة لجيل كامل من البنات .. أصبح يطالب بالحد من حرية المرأة ، ويلعن كل امرأة لا تتفرغ لبيت الزوجية ، ولتربية أطفالها .

ويهدر صوت الدكتور منصور فهمى ، وتتقبض أسارير وجهه وملامحه التى تذكرك بملامح سعد زغلول ، وهو يتحدث عن تجاربه الشخصية ، قبل وبعد الزواج من انصاف سرى وعن رأيه بصراحة فيمن يزاحمن الرجال من النساء .

قلت للأديب الكبير :

— كنت من أنصار قاسم أمين وعشت تنادى بمنح الحرية للمرأة فى محاضراتك وكتاباتك فهل ما زلت تطلب لها مزيدا من هذه الحرية ؟!

واحتقن وجه الرجل وهو يقول :

أبدا .. نحن نريد أن نحفظ شىء من مميزات اسلامنا وشرقنا وعروبتنا — ولقد أفلت بعض الأسر المصرية من شرقيتها تحت اسم التجديد — فى حين أن أوروبا لم تكسب شيئا من اطلاق قيود المرأة . بل كل ما حدث هناك وهنا على حساب صون الأنوثة وسعادة البيت وهذا الاحتفاظ يبدو فى أننا لا نجيز أن نترك المرأة إلا فيما يصح فقط .



د . منصور فهمى .. يسبح فى رأس البر

أما اذا أشركناها بلا حدود فاننا لضيع منها نعمة التخصص بين الجنسين .. ولكل جنس اختصاصه ، وأنصح المصريين فى نهضتهم ، أن تنبثق نهضتهم من أنفسهم ومن رغبتهم فى أن يكونوا شعبا مميزا عن غيره يجعل للمرأة اختصاصات .. والرجال قوامون على النساء . وان كنت أنا من الذين عملوا على تحرير المرأة بعملى وكتاباتى وناديت بذلك مع قاسم أمين .. ولكن هذه أمانة جيل .. وتجارب العمر تؤكد انه لا يجوز أن نقلد الغربيين فى كل شىء ، فى حين كنا نستطيع أن نستفيد من أخطائهم .. ولست بالرجل الرجعى .. ولكن أريد أن يكون كل شىء بمقدراته وظروفه ولو عاد قاسم أمين ووجد التطرف الكثير الذى لا مبرر له لنادى بالحجاب .. !

قبل أن تتزوجوا الموظفة

— لقد عشت ٣٢ سنة من عمرك مع زوجة موظفة .. فهل تنصح الشباب بالزواج من الموظفات ؟ .

— وايه اللى يخلى الزوجة تشتغل ؟

أنا لا أنصح أبدا بذلك الا عند الضرورة القصوى .. يعنى اذا كان دخل الزوج ضئيلا أو اذا كان الزوج ميتا .. لأن المرأة بذلك تخطىء فى حق أولادها ونفسها وخصوصا اذا كان لديها أطفال صغار .. أما اذا كانت غنية فانها ستسلمهم للخدم ..

— وما الذى أرغمك على الزواج من الأستاذة انصاف ؟ ..

— حينما تزوجتها كان التعليم محتاجا لسيدات من أمثالها ، ومع ذلك عرضت عليها ألا تشتغل .. ولما كانت هى التى أنشأت التعليم الثانوى للبنات وتريد أن تؤدى الخدمة ، فقد قررت أن تظل فى العمل .. وأن تخرج فى أول فرصة ، وقد خرجت قبل بلوغ الستين ..

وما الذى يدفع الزوجة الى العمل ؟ وما الذى يخرجها عن العمل الطبيعى العائلى وهى أضعف بنية ومقاومة .. ما هى الضرورة ؟ . انها مزاحمة تأخذ محلى ومحل أخيك .. ولكن عندما يكون هناك ضرورة قصوى تدفعها الى هذا كقيام النساء بأعمال الرجال أثناء الحرب فلا مانع عندى من اشتغالها .. هنا يكون التفريط فى حق الأسرة لضرورة !! واذا لم تقض الضرورة فلا يجوز أن تعمل .

حب زمان

وسألت الأديب الذى ما زال يحتفظ بالطربوش على رأسه ..

— هل تزوجتما على حب ؟ ..

— تزوجت الصاف على التفاهم والتقدير .

— وكيف ربط التقدير والتفاهم قلبيكما ؟..

— انتدبت يوما فى لجنة للنظر فى اصلاح تعليم البنات فى وزارة المعارف على عهد عبد العزيز جاويش — وفى اللجنة دى لقيت انصاف .. وكانت ناظرة مدرسة الحلمية الثانوية .. وهى قاعدة كانت تتكلم وتناقش .. وكنت أناقش على حساب ما أعلم ومن المناقشة عرفنا بعض .. وعندئذ تحركت نفسى للزواج منها لأن المناقشة كفيلة بكشف حقيقة كل منا وبعدها أرسلت أخويا عدة مرات لوالدتها أسأل عما يسأل عنه كل رجل .. سنها كام .. هل لها أخوات ؟..

وعرفت انها ذهبت الى انجلترا وتعلمت هناك فى مدرسة داخلية وكانت حشمة .. وقد أخذتها وهى بالبيشة .. مبرقعة ولا تنس انها تحرت عنى هى الأخرى .. وتم الزواج عن ظروف خلقتها الطبيعة وكانت سنى وقتها ٤٠ سنة وهى كانت تصغرنى بحوالى ١٠ سنوات .

— كيف ومتى تختلفان ؟..

— لم نختلف أبدا عـلى شيء .. اللهم الا اذا اختلف الطباخ وصنف الطعام .. واذا اختلفنا فى شيء ما ، فانها تحترم آرائى ، وأنا أحترم آراءها .

— كم عدد أولادك ؟

— ولدان وبنت واحـد منهم طبيب فى الجيش والثانى يتم دراسته فى الهندسة والبنت فى كلية الآداب .. سنة أولى .

— ما هى السياسة التى رسمتها لابنتك ؟ .

— أنا من أنصار تعليم البنت ولكن بمجرد أن تخطب تأخذ حظها ..

— هل تسمح لابنتك أن تعمل ؟ ..

— مبدئى للبيت أولا .. واذا فرض أن تزوجت وزوجها مات واحتاجت يمكنها أن تعمل .

— كم مرة شربت الخمر ؟..

— أكذب اذا قلت لا أعرفها .. ذقتها .. ولكن هناك فى باريس .

— كم سنة عشت فى باريس ؟.

— ٥ سنين ونصف وبعدها حصلت على دكتوراه فى الفلسـفة وعلم الأخلاق سنة ١٩٠٨ وكانت رسالتى أول رسالة للجامعة .

حاربنى الخديو عباس

— كيف استقبلوك فى مصر بعد حصولك على أول رسالة جامعية ؟ .

— انت عاوز تستدرجنى .. ؟ خصـومى بالذات وخصـوم الجامعة ماكانوش عايزين حد يتعلم ويطلع حر الفكر .. ومثلى كان يحارب ، لأنهم كانوا عايزين التعليم كله ابتدائى ، وفكرة الجامعة دعا اليها

مصطفى كامل .. ولهذا الغرض اتهمونى يومها بالالحاد والكفر وكان الخديوى عباس حلمى على رأس الأعداء والمحاربين ، لأن الجاسوسية قالت له : ان منصور فهمى ملحد تكلم عن سن الزواج عند النبى !

مدرس الجمال

— ما أهم المواد التى علمتها فى الجامعة ؟..

— علم الجمال .. كنت أفهم تلاميذى ما هو معنى الجمال .. وما هى فلسفته : سواء كان فى الفن أو الأدب وكيف حصل وايه الآراء وكنت عاوز أسير ولكن الوظائف الادارية خطفتنى مرة مدير دار الكتب ، ومرة مدير الجامعة ، جامعة اسكندرية .

— وما رأيك فى اختلاط الطلبة بالطالبات فى الجامعات الآن ؟..

— أرجو أن يكون اختلاطا شريفا وأن يقدر كل منهم شرف الآخر .. !

— وماذا كان حال طالباتك وأنت أستاذ أو مدير جامعة ؟ .

— كنت ألاحظ الفتيات لما كانوا يقعدوا والا يمشوا .. وعند فراغهن من الدروس كانت لهم حجرة خاصة ..

— كم كتابا ألفت ؟.

— قليل الكتابة ، كثير الفكر والقول بلسانى والتدريس .. وقد ألفت كتبا فرنسية تمس الحياة الاجتماعية والرسالة التربوية ومحاضراتى طلعت فى كتاب أخرجه ساطع المصرى .

— ورصيدك من الكتابة ؟ ..

— عمرى ما كنت كسيب من الكتابة أبدا كل ما حصلت عليه كان من الأهرام عن مقالات « خطرات النفس » التى كانت فتحا فى الأدب العربى كما قال خليل مطران .

— من أحب الصحفيين اليك ؟ .

— أحرص على قراءة حسنين هيكل .. والتابعى يوم ما يكتب أجد فى مقالاته النقد ولا أدرى ان كانت من سنه أو ذاتيته .. فهو رجل يعرف بوضوح اللى يقوله .. اسلوبه لا التواء فيه .

— وآخر كتاب قرأت ؟ .

— عائشة والسياسة . لكاتب سورى اسمه سعيد الأفغانى ..

— وانصاف هانم .. وما الذى يشغلها الآن .. ؟

— رئيسة المرشدات بلا أجر ! .

لطفى السيد ليس له نظير

وقلت للأديب المخضرم :

— ما الفرق بينك وبين لطفى السيد ؟ .

— لطفى له أسبقيته فى الأستاذية ، ونحن نرعى له هذه الأسبقية ، ثم انه الرجل الذى دعا الى الديموقراطية ونحن ندين له بهذه الدعوى .. فضلا عن انه رجل معروف بمنطقه السليم وغزارة علمه فى الأدب العربى .. ولا نرى له بديلا .

— لماذا احتفظت بالطربوش حتى الآن ولم تخلعه كما فعل طه حسين ؟

— لو عمل لباس قومى أخلعه .. وأنا افضل اللاسه أو العمة على القبعة . وقد بقيت بطربوشى وأنا فى باريس أربع سنوات ونصف سنة . حتى وقعت الحرب بين بلغاريا وتركيا ويومها ظننى الناس هناك اننى وعبد الحميد سعيد أتراك . ولما فضلت بالطربوش بعدها : الخديو قال دى حموريه ..

— من أحب تلاميذك الى قلبك ؟ .

— عثمان أمين .. ويوسف مراد .. وزيور .

وسألت أمين سر المجمع اللغوى :

— ما السر فى اتهام أعضاء المجمع بالجمود ؟ .

— لا يجوز أن يصدق ذلك .. وأهل المجمع غير مأجورين .. وكل اللى بياخده الواحد منهم ٩ جنيه ونصف فى الشهر بدل ركايب .. هؤلاء أناس يضعون عصارة العمر فى أعمالهم وأهمها وضع ألفاظ للمستحدثات من العلوم القادمة من الخارج وانهم يشتغلون فى كل أسبوع يوما واحدا لمدة ٧ شهورا وثمانية فى السنة ويكفيهم هذا .

قلت :

أنت تزاول عملا شاقا فى الهلال الأحمر لا يزاوله سوى الشباب فكيف تحتفظ بنشاطك ؟ .

— حياتى كلها كانت استقامة ..

— وكيف توفق بين عملك فى الهلال وفى المجمع .. ؟

— أروح المجمع يوم الاثنين علشان الجلسة وبقية الأيام فى الهلال ..

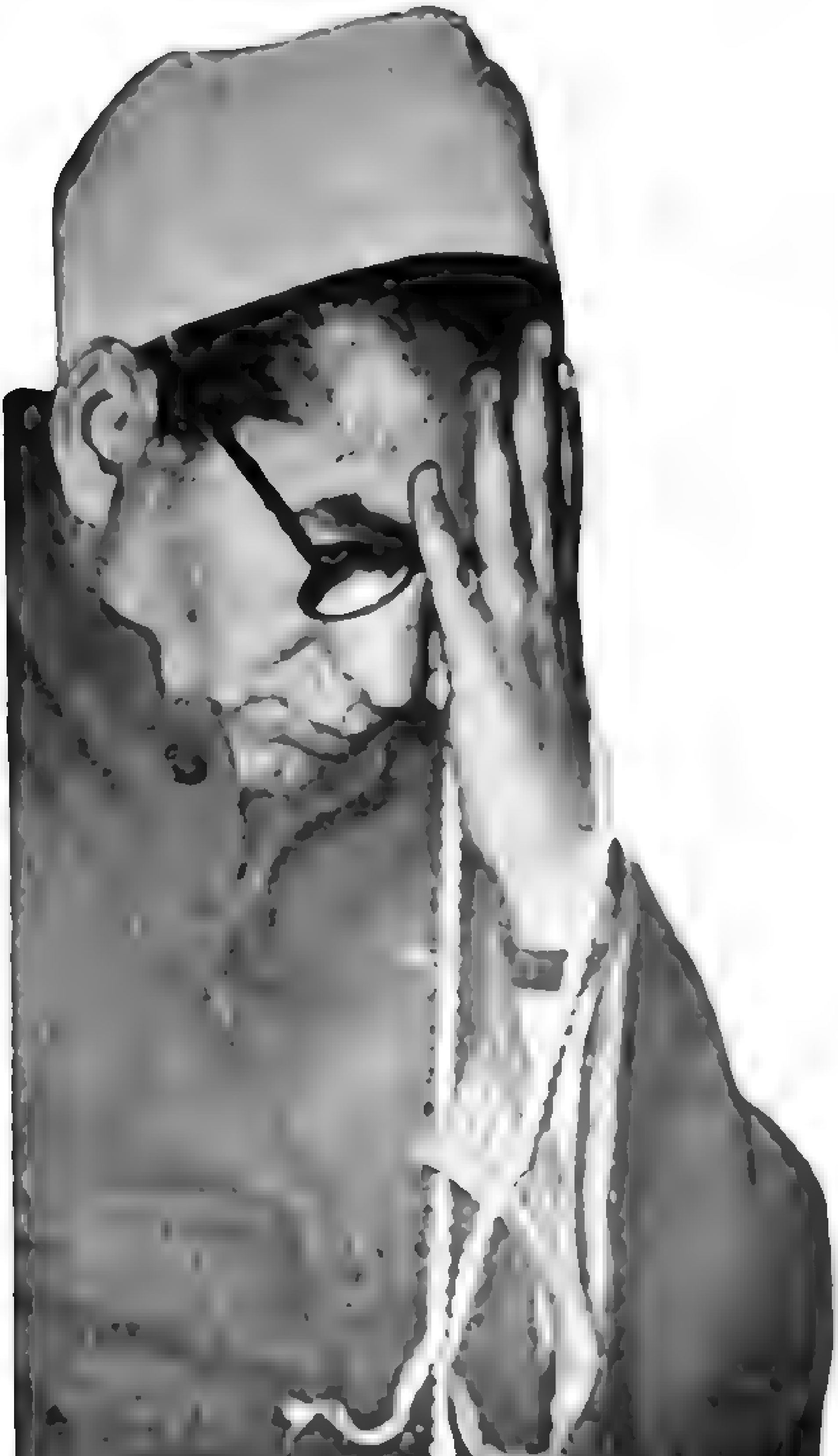
— وما هو سر الخلاف القائم بينك وبين جنان الشواربى وعلية الفار ؟

— المسألة ليست ان تلبس الواحدة منهن لبس الهلال .. وحب الرياسة ليس من صميم أعماله وكان العمل هناك مجهود جماعة من ٣٦ عضوا . ومع ذلك ينسب بكل بساطة الى واحدة أو اثنتين . وأخيرا قالوا مين رزل يسد غير منصور فهمى .. ومن نهار ما حطيت دماغى فيه .. الحقيقة ان الستات لمت نفسها .. ومهما يكن من أمر فاننا تتحملهن .

— كم أجرك من العمل فى الهلال ؟ .

— لا أجر .. والأجر من عند الله . مع ان فيه جمعيات مماثلة فى أوربا تعطى اجورا للمشرفين عليها وأنا وكيل الجمعية منذ ٣٥ سنة وأصبحت الآن رئيسها بعد أن قعد فى بيته سليمان عزمى .

الشيخ أحمد حسن الباقوري



ان الأدباء والشعراء يزعمون أن عرائس الوحى والالهام قد هجرته بفضل الوزارة !! والعلماء يبتسمون — فى دهاء — ويقولون لقد كانت فصاحته وبلاغته تؤهلانه لكرسى الأستاذية فى الأزهر الشريف !!

وأصـدقاؤه المقربون اليه .. والذين يغشون مجلسـه ، أو الذين يستمعون اليه محاضرا .. أو خطيبا .. ينكرون كل هذه المزاعم قائلين : ان عرائس الالهام وربات الشعر لم يطاردها - حتى الآن بريق المنصب الذى يشغله !

أما هو .. فيدعو لأولئك وهؤلاء بلغفران ويقول :

— لعل ما ينفى كل هذه المزاعم أن دواوين الشعر .. وكتب الأدب تحتل مكانتها المرموقة — حتى بمكتبى فى الوزارة .. وأما علوم الدين والشريعة فانها ما تزال من صميم عملى — بوصفى قيما عليها فى وزارة الأوقاف ! ..

وفى هدوء دفعت باب حجرته ودخلت .. وكان يجلس وحيـدا وراء مكتبه الضخم .. وقد خلع عمامته ونحاها جانبـا .. بالقرب من ذراعه اليمنى .. واستغرق فى القراءة .. قلت له :

— أى كتاب تقرأ الآن ؟ .. [1]

ونظر الى بعينيه الفاحصتين — وهو يبتسم — قائلا :

— الأعاصير ، وهو ديوان لشاعر اسمه رشيد سليم الخورى المشهور بالشاعر القروى .

---

(١) يوليو ١٩٥٧



الشيخ الباقوري في خطبة الجمعة

— يخيل الى أنه من أشعر شعراء المهجر ؟ —

— نعـــم ..

— ومتى كان وقت الوزراء يتسع لقراءة دواوين الشعر ؟ ..

وكان رده ..

— أليس من حق كل انسان أن يشغل وقت فراغه بما يحب ويهوى؟..

— وماذا يعجبك فى هذا الديوان ؟ ..

— صاحبه شاعر عربى ، أعجبت بوفائه لمصر ، ولعروبته .. فقد بعث الى مصر من أمريكا الجنوبية بمبلغ كبير من المال لتسليح الجيش .. وأنا أحبه وأقرأ له .. وله قصة طريفة تدل على وفائه لعروبته فقد أحبته فتاة انجليزية اسمها (مود) وبادلها الحب ولكن أصـالة عروبته تغلبت عليه فقال فيها شعرا — هو ما أقرأه الآن ، ولك أن تسمع ، وبدأ الأستاذ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف يقرأ هذه الأبيات :

لعمرك (يا مــود) لولا ذووك ... لمـا ميز الحب بين العبـــاد
فهـم أوغروا بالعـداء الصـدو ... ر وهم أضرموا النار تحت الرماد
فلا تعـذلى شاعرا زاهـــدا ... وكم هـــام بالحب فى كل واد
فانى حـــرام على هـــواك ... وفى وطنى صـــيحة للجهـــاد
ولو لـــم تكونى فرنجيـــة ... لكنت ســـعادى قبل ســـعاد
ولكننى عـــربى المـــنى ... أصـيل الهـوى عربى الفـؤاد

الأدباء أشد تأثيرا من النواب !

لقد كدت أصدق ما يقال انك هجرت الشعر بعد أن تفرغت لأمور الوزارة ؟ ..

فكيف عالجته قبل أن تكون وزيرا ؟ ..

وقال ضاحكا — وهو يعتدل فى كرسيه ، وقد سرح بخياله عبر الماضى البعيـد ..

— زمان .. منذ خمسة عشر عاما .. وأنا فى المعتقل .. ومن هناك كنت أبعث لزملائى المكافحين — فى تلك الأيام — بقصائد الشعر وأذكر منها ما قلته أيامئذ مخاطبا أحد الساسة القدامى :

أنمت على الضيم السيوف المواضيا — ونمت بظل الورد جذلان راضيا
أبا ... امسك عن الوطن الهـوى — ونح المنـايا أن يكن أمانيـا
نثلت جهـاد الشعب سبعين حجة — وأودعته كف السـفير مغـازيا
وبعت دم الأحـرار بيعـة أحمق — أثنا كريما لا يقـدر غاليـا
وأهلكت بيت المال فى غـير رحمة — ألا ان بيت المال قد صـار خاويا
وأنت الذى بالأمس كان اذا انتشى — من العزة القعساء أرضى المغاليـا
« خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبى — لفارقت شيبى موجع القلب باكيا »

— وكيف عالجت شعر الغزل .. وهل لك أن تذكر لقـراء الأدب شيئا منه . ؟ ..

وأجاب فى استنكار :

— لم أعالج شعر الغزل ..

— هل هناك شاعر معين تأثرت به ؟ ..

وفى تواضع قال :

— لعلى لم أبلغ من الشعر منزلة تسمح لى أن أقـول اننى تأثرت بفلان أو فلان !!

— وماذا تنوى أن تصنع للأدب والأدباء حينما تبـدأ نشاطك فى مجلس الأمة ؟ ..

وسرح الباقورى ببصره بعيدا ثم قال :

— الأدباء فى مجال الحياة العامة أقوى انتاجا وأشد تأثيرا من أى فرد فى مجال مجلس الأمة .. فهم بما معهم من الغيرة على الأمـة ومن الحس الدقيق بحاجتها ومطالبها يستطيعون أن يصنعوا للناس أكثر مما يستطيع أى واحد من الناس أن يصنع لهم ، ولهذا لا أرانى قادرا على أن أصنع للأدباء شيئا ..

— ومن هو الأديب الذى تفضله .. وتحب أن تقرأ له ؟ ..

— ان الأدباء فى مجموعهم حديقة غناء فيها فواكه مختلفة الألوان .. والطعوم والشـذى .. واذا كان لكل فاكهة مذاق خاص — يستمتع به الطاعم — فان لكل أديب مذاقا أيضا يستمتع به القارىء ، ولهذا فاننى أقرأ للجميع .. وأجد لذة ومتاعا عند الجميع ! ..

— وما رأيك فى طريقة طه حسـين فى التهجى .. وفيما يزعمه من أن العرب سيعتنقون طريقته ؟ ..

— له رأيه .. وله احترامه فى نفسى ، وفى نفس كل الجيل العربى .. وقد أذكر أن فى القدامى من رأى هذا الرأى — أن تكتب الكلمة كما ينطق بها — وعدم نجاح هذا الرأى — فى الزمن المتطاول — يدل على أنه عسير النجاح فى المستقبل القريب ! ..

لماذا لم احتج على التجارب الذرية ؟

ومرقت بسرعة استطلع رأيه فى بعض المشاكل الدولية كمشكلة الأخطار التى تهدد البشرية من وراء التجارب الذرية فقلت له :

— ان بين يديك قوة هائلة تتمثل فى خطباء المساجد والعلماء .. وبقدر تأثير هؤلاء على الجماهير بقدر ما يكون لاحتجاجهم على التجارب الذرية

والهيدروجينية صدى بالغ فى العالم الاسلامى وغيره .. فلماذا لا تفعلون.. أسوة بعلماء الدنيا ؟

قال — وقد انطلقت الكلمات قوية معبرة على لسانه .. !

— ان القوة من شأنها أن تصم آذان القوى فلا يسمع .. وتعمى عينيه فلا يبصر .. وتميت شعوره فلا يحس .. ولهذا أعتقد أن صراخ الوعاظ والانسانيين لن يحمل القوى الطاغى على أن يكف عن قوته وطغيانه فاذا تجاوز الأمر هذا المعنى الى مجرد دفع التبعة عن الصامت وكان لابد من الكلام فاننى أتمنى أن يلهم الله أولئك الطغاة الأقوياء الرشـــد .. حتى لا يكونوا وسيلة تدمير للانسانية ويحتملوا أوزار هذا الدمار أمام الله ان كانوا يؤمنون بالله .. وأمام ضمائرهم ان كانت لهم ضمائر .

أعراض الناس

وبدأت أتدرج بأسئلتى لأحاول الوقوف على بعض الجوانب الشخصية من حياة الوزير الشيخ الوقور فقلت .. :

الدكتور طه حسين يهاجم ما يكتب فى الصحف ويذاع فى الراديو عن الحب وتؤيده الدكتورة سهير القلماوى فما رأيك أنت ؟ ..

وظل صامتا ، بعض الوقت وكانت عيناه تنظران بعيدا من خلال النافذة القريبة من مكتبه ثم قال :

— هناك لون من الصحافة غايته التماس الرواج ، وهذا اللون من الصحافة نحن لا نحتاج اليه بل نضيق به : .. ونحن محتاجون الى الصحافة النافعة الموجهة الى خير المجتمع .. وليس من خير المجتمع — فى حال — العدوان على دخائل النفوس .. وما يتصل من هــذه الدخائل بأعراض الناس ، والحب وما اليه من العواطف الانسانية لا يليق أن ينشر فى الصحف

ولا أن تتناوله ندوات عامة .. لأن كل حديث فى هذا المعنى يثير الغرائز ويوجه الى الهدم — فى وقت نحن أحوج فيه الى السلامة ، والاطمئنان ، ويسعدنى أن أؤيد الدكتور طه فى رأيه .

قلت على الفور :

— معنى ذلك أننى لن أستطيع أن أقف على أسرارك الغرامية أيام الشباب ؟

قال فى دهشة :

— أية أسرار ؟

واستطرد يقول :

— بكل تأكيد .. لأن الناس فى مصر ينظرون الى من خلال الوزارة .. ونظر الناس من خلال المنصب يعرض صاحبه لكثير من المتاعب .. والتقاليد لها فينا حرمة شديدة والكثير من نجاح زعماء الشرق يتوقف على حياتهم الخاصة وان الانسان المحترم المتحفظ أقرب الى رضاء الجماهير — والى أن يهضم الناس الحقيقة — وهى أن الفروق بين الناس ليست بعيدة فى جوهر الحياة — يحسن بالذين يشرفون على شئون شعوبنا — فى هذا الشرق العربى أن يسايروا التقاليد .. وهذا رأيى ..

— ألا ترى أن الناس يهمهم أن يعرفوا الكثير من أسرار وزرائهم ؟ ..

— نحن فى الشرق نكره الحاكمين .. نتيجة أن حكام هذا الشرق أسرفوا فى مدى مائة وخمسين عاما ، فى التنكيل بالمحكومين .. واستذلالهم.. واستعبادهم .. فكانت الهوة الشديدة بين الحكام والمحكومين .

ومضى الأستاذ الباقورى يروى ما حدث له أثناء زيارته للصين الشعبية حينما سأل الشخص الذى كان مرافقا له عن أبناء شواين لاى فكان جوابه..

لا أعرف .. فقلت له : كيف لا تعرف وأنت تكاد تكون ظلا من ظلاله ؟ فأجاب للمرة الثانية :

أؤكد لك اننى لا أعرف .. وهذه شئونه الخاصة .. فعجبت .. واعتقدت أنه يدلس .. فأقسم لى أنه لا يعرف من جوانب حياته الخاصة شيئا يذكر.. وهنا صدقته .

يلف العمة فى خمس دقائق !!

وعدت الى الأسئلة الشخصية من جديد ، فقلت :

لماذا احتفظت بالعمامة حتى الآن ؟

وقطب الوزير الأديب .. الشاعر .. ملامح وجهه ثم سألنى :

-- ولم لا أحتفظ بها ؟

— لأن الكثيرين من لابسيها يشكون من أن أوقاتهم تضيع هباء فى لف الشال .. وأنت وزير ووقتك ثمين لا يتسع لمثل ذلك العمل ! ..

وفى ابتسامة مشرقة قال :

-- العمامة ألفها مرة كل أسبوع .. وأنا — من جانبى — لا أعتقد أن فيها مضيعة للوقت فاننى ألفها فى أسبوع مرة لا تتجاوز الدقائق الخمس .. ثم أسألك سؤالا آخر .

— ثم ساعة تضيع منك فى الأسبوع وأنت تربط الكرافته .. انك تربطها — على الأقل مرتين فى اليوم فالوقت الذى تنفقه فى ربط الكرافتة طوال الأسبوع وقت طويل جدا — بالقياس الى الوقت الذى أنفقه فى لف العمامة — فلم تحتفظون أيها المبدلون بالكرافتة مع ما فيها من ضياع الوقت .. ثم من جانب آخر هذا زى ألفته مدى أربعين عاما .. ومن

الصعب على نفسي أن أنزل عن الفي .. فأنا في هذا كما يقول أبو الطيب المتنبي :

خلقت الوفا لو رجعت الى الصبى لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ومضت لحظات سكون ، بعدها سألته :

— كم يبلغ عمرك الآن ؟

— ٤٨ سـنة .

— ومتى .. وكم مرة تزوجت ؟

— منذ سبعة عشر عاما .. وتزوجت مرة واحدة .. والحمد لله فليس في نيتي أن أعدد الزواج ...

— وكم عـدد أبنائك ؟

— ٣ بنـات .

— أين يتعلمن ؟

— الكبرى في كلية البنات بالزمالك .. والصغريان في مدارس آمون.

— وما رأيكم فيما ينادى به شيخ الأزهر — منذ عامين تقريبا — من تعدد الزوجات ؟

— هو شيخ الأزهر وهو أدرى بما يقول !!

— ما الفرق بينك وبين شيخ الأزهر ؟

— الفرق الأول ان شيخ الأزهر أستاذي وقد قرأ لي التعيين في الشهادة العالمية منذ ربع قرن .. وهو بعد ذلك يشرف على تعليم أولاد المسلمين علوم الشريعة في مصر ، وفي سائر أنحاء العالم الاسلامى .. فمهمته تعليمية جامعية توجيهية .. ومهمتى هنا في الوزارة .. والفرق بهذا واضح للغـاية ..

وما هو أجمل شيء فى مهنتك ؟

وسكت — حتى حسبته لن يجيب على السؤال — وفجأة قال :

— كل عمل يؤديه الانسان باخلاص هو عمل جميل وأرجو أن أكون ممن يؤدون أعمالهم باخلاص .

— وما هو الشيء الذى يضايقك فى مهنتك ؟

— ان الناس ينظرون الى الوزير كأنه قادر على كل شيء وملوم فى كل حال ..

والوزير بشر محدود العلم .. ومحدود الطاقة .. فهو انسان مظلوم ، وأسوأ شيء فى دنيا الناس الانسان المظلوم ! ..

— وما هى أسعد أوقات حياتك ؟

— الوقت الذى أنصف فيه شاكيا .. أو أرفه فيه عن باك مألوم ! ..

— كم يبلغ رصيدك فى البنك ؟

— لا أعرف قطعا .. أنا أنفق فى الشهر أكثر من ٣/٤ مرتبى ! ..

تجنبوا الأغانى المخنثة من الرجال والمثيرة من النساء !

— هل تستمع الى الراديو ؟

— أسمع تبعا لأولادى .. وهم لا يكادون يكفون عن الاستماع اليه.

— مع ما فيه من عيوب تتردد على ألسنة الكثيرين ؟

— نعم فان أحدنا يقسو على نفسه لكى يرفه عن أولاده .. وقد يضيق خاصة بأمر من الأمور ، ومع ذلك يستديم الضيق به لأن لأولاده فى استبقائه لذة .

— وما هو أحب البرامج الى سمعك ؟

— أخشى أن يكون فى هذا دعاية لبعض الجوانب الاذاعية ومع ذلك

فانني كثيرا ما أعمد الى الاستماع لركن على الناصية ، وجـرب حظك ففيهما طرائف كثيرة نافعة .

— وما هي أغنيتك المفضلة ؟

— لا أستطيع التحديد .. ففى الأغانى كثير من الجيد وفيها أيضا كثير من السخيف .. وقد يرى غير سخيف ما أراه سخيفا ، من الصعب توجيه الاذاعة توجيها يرضى عنه الجميع .. ولذلك يستحسن — كقاعدة عامة — تجنب الأغانى المخنثة من الرجال ، والأغانى المثيرة للغرائز من النساء .. ومن الميسور ايجاد الأغنية الجميلة الممتعة بدون تخنث .. وبدون اثارة .. ولن يرضى الناس عن الاذاعة مهما فعلت ، ولكنها — فى هذا الوضع — سيرضى عنها الكثيرون وسترضى هى عن نفسها ، وسيرضى عنها صالح الوطن العـام .

— هل تستطيع أن تحدد نوعا من طعامك المفضل ؟ .

— كل الأطعمة التى ألفتهـا ، ونشأت عليها أفضلها .. ولا أرضى بها بديلا !

وداد سکاکینی



سلطانہ علی

— راهبة الأدب فى الشمال اسمها وداد سكاكينى ..

جاءت من قلب دمشق النابض بالحنان والحب ..

رقيقة هادئة .. محافظة .. عاشت حياتها راهبة فى محراب الأدب ..

وعندما كانت طالبة صغيرة انصرفت للقراءة الجادة ..

ولم تكن وداد سكاكينى تعلم أنها ستصبح أديبة الشمال الأولى .. وعضو لجنة النثر فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .. وعضو نادى القصة ، وصاحبة عشرات الكتب والقصص .. ثم عضو الاتحاد القومى عن المنطقة الأولى فى دمشق ..

رأيتها هذا الاسبوع لأول مرة .

وجلست وداد سكاكينى تحكى قصة حياتها الأدبية طوال نحو ثلاثين عاما ، وكأنها تقرأ من كتاب مفتوح .

قلت لها : (١)

— هل ورثت حب الأدب عن الأسرة أو أنك أول أديبة فى أسرتك ؟

قالت وهى تعود بخيالها الى الوراء الى سنى طفولتها :

— ان أبى لبنانى الأصل وكان يعمل فى الزراعة وفى وظيفة متواضعة .. وفى لبنان ولدت وتعلمت فى المدارس .. وانصرفت وأنا طالبة صغيرة الى الأدب بدافع تلقائى غير موروث ! .

قلت لوداد :

— ومن هى الأديبة التى تأثرت بها ؟

قالت :

---

(١) يونيو ١٩٦٢ .

— الأديبة (مى) .. كانت مثلى الأعلى .. قرأت لها .. وأعد الآن كتابا ضخما عنها .. وأتصل بكل من عرفها عن قرب وعاشرها .. وأقرأ كل ما كتب عنها .. قبل اصدار الكتاب ..

قلت :

— وما هى مصادر اطلاعك ؟

قالت :

— كتب الأدبين العربى ، والفرنسى ..

قلت لها :

— وكم عدد الكتب التى صدرت لك حتى الآن ؟

قالت :

— صدر لى حتى الآن ١١ كتابا وتحت الطبع عدد آخر من الكتب أما مقالاتى فى الصحف الأدبية وأحاديثى فى المجلات الشهرية فسوف تصدر فى كتابين على الأقل ..

قلت :

— وأحب الكتب الى نفسك ؟ .

قالت :

— كتاب « الستار المرفوع » . و « النيل والنخيل » وهى مجموعة قصص قصيرة مصرية ألفتها فى سنوات مختلفة واصدرتها سنة ١٩٤٧ وجميع القصص تعالج الحياة الاجتماعية والشعبية بعيدا عن الضجيج والاثارة .

قلت لأديبة الشمال :

— ألم تتقدمى ببعض مؤلفاتك لجوائز الدولة فى الأدب ؟

قالت وابتسامة خفيفة .. تظلل شفتيها :

— قبل عشرين عاما فازت احدى قصصى بجائزة القصة .. وكان المحكمون غير حكوميين وكانت قصتى هى الثانية بين قصصى الكثيرة واسمها « الشيخ حمدى » .

. **اوقاتى موزعة بحرص**

قلت لأول أديبة من الاقليم الشمالى فى الاتحاد القومى :

— وكيف تستطيعين التوفيق بين عملك فى مجلس الآداب والفنون ، وبين انتاجك الأدبى .. ثم بين واجباتك كزوجة وأم ؟

وسمعت — لأول مرة — ضحكة رقيقة سرعان ما حبستها داخل صدرها ثم قالت :

— أنا لست كغيرى من السيدات أضيع وقتى فيما لا يعود على بالخير .. لا أحب الزيارات الفارغة ! . الوقت عندى موزع بحساب دقيق .. وبحرص ونظام بين مطالب الأولاد وشئون الأدب والزوج .

قالت لها :

— ومسئوليتك تجاه الاتحاد القومى كيف تواجهينها وكيف تحققين رسالتك الجديدة ؟

قالت :

— أنا نجحت فى الاتحاد القومى بالانتخاب عن المنطقة الأولى فى دمشق . وقد حددت مهمتى فى الاتحاد فى المشاركة فى التوجيه القومى .. وأرى أن المرأة لا ينبغى أن ينحصر نشاطها وتفكيرها فى العمل فى الجمعيات وانما يجب أن تنطلق لتظهر مواهبها .. ولقد كنت مقررة لجنة دور المرأة فى معركة القومية العربية . والقومية العربية كانت

موضوعى الرئيسى فى كتابى « سواد وبياض » الذى صورت فيه انطباعاتى فى الأدب والقومية والحياة ..

قلت :

— وماذا أفدت من الاتحاد القومى ؟

قالت وهى تضغط على كل لفظ :

— ان المؤتمر العام للاتحاد حقق آمالى .. وأرجو أن تتوافر العناصر الممتازة من الجنسين .. والكفايات المتعادلة لخدمة بلادنا الحبيبة .. وقد أفدت من الاتحاد أشياء أخرى .. أنه هيأ لى فرصة اللقاء والتعارف الشخصى بأديبات الاقليم الجنوبى ..

قلت :

— ومن تفضلين منهن ؟

قالت :

— عرفت بنت الشاطىء ، وسهير القلماوى ، وملك عبد العزيز ، وهن من أحسن الأديبات .

قلت :

— وشاعرات العالم العربى أيهن أقرب الى نفسك ؟

قالت :

— فدوى طوقان الفلسطينية ، ولها ديوانان أهمها (وحدى مع الأيام) ونازك الملائكة من أحسنهن .

قلت :

— ومن الأدباء ؟

قالت :

— العقاد .. وطه حسين، وكل واحد له لون وطعم .

قلت :

— ومن الأدباء الشبان ؟

قالت :

— لا أريد أن أغضب أحدا !

الثروة المعنوية اهم

قلت لوداد :

— وبعد أن أمضيت شبابك فى الكتابة فى الأدب ماذا جنيت أخيرا من الثروة المادية ؟

ورأيت ابتسامة اشفاق تداعب شفتيها وهى تجيب :

— لا شىء .. لأن من رأيى أن الثروة المعنوية أغنى ثروة .. وأننى أفضلها على الثروة المادية .

قلت لها :

— وجوائز الدولة متى تتقدمين ببعض انتاجك لها ؟

قالت :

— جوائز الدولة للمحظوظين الكبار ؟

قلت :

— والجوائز التشجيعية لم لا تتقدمين اليها ؟ .

قالت : \

— أنا أنتظر تقدير الدولة ..

ومضت تقول : أننى مهدت بمؤلفاتى للوحدة ويكفينى هذا .. وزوجى من الذين أسسوا التعاون والوحدة الثقافية .

وانتقل الحديث الى آخر مؤلفات وداد سكاكينى .

قلت لها :

— وماذا فى الطريق الى قراء الأدب ؟

قالت :

— روايتان طويلتان .. منهما (الحب المحرم) وهى قصة تصور حياة فتاة شامية .

قلت :

— بهذه المناسبة ماذا ترين من فوارق بين الفتاتين الشامية والمصرية ؟

قالت وهى تبتسم فى صراحة :

— كل منهما لهما طبع مميز .. ومزاج خاص .. المصرية دمها خفيفه وذكية .. والشامية تهتم ببيتها كثيرا وبالأزياء ! ..

قلت :

— والفوارق فى الزواج والحياة الاجتماعية ؟

قالت :

— الزواج فى الاقليم الجنوبى ألاحظ أنه يتم مبكرا لأنها منطقة حارة .. وفى الاقليم السورى يتأخر الزواج لأن التكاليف الزوجية فيها كثيرة عن هنا .. والمهور عندنا غالية . والسر هو مستوى المعيشة .

وكان آخر سؤال أوجهه لوداد سكاكينى هو :

— وماذا فى خيالك عن المجتمع الاشتراكى الديموقراطى التعاونى ؟ .

قالت :

— أتصوره حينما أعيش فيه .. وقد بدأت بشائره السعيدة .

قلت :

— ومتى تغادرين القاهرة ؟

— قالت : بعد غد سأعود الى دمشق مع الوفد النسائى المؤلف من ثلاثين سيدة حضرن المؤتمر الكبير .

فهرست